

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم التاريخ

تخصص: تاريخ – التراث اللامادي الجزائري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم بعنوان:

أهلـس العادات والتقاليد بمنصقة توات

إشراف الأستاذ الدكتور:

شعيب مقتونيف

إعداد الطالب:

عز الدين جعفري

أعضاء لجنة المناقشة:

| | | | |
|----------------|--------------|----------------------|----------------------|
| رئيسا | جامعة تلمسان | أستاذ التعليم العالي | أ.د/ عبد الحق زريوح |
| مشرفاً ومقرراً | جامعة تلمسان | أستاذ التعليم العالي | أ.د/ شعيب مقتونيف |
| عضواً مناقشاً | جامعة تلمسان | أستاذ التعليم العالي | أ.د/ فارسي حسين |
| عضواً مناقشاً | جامعة معسكر | أستاذة محاضرة (أ) | د.ة/ زاجية هرياش |
| عضواً مناقشاً | جامعة معسكر | أستاذة محاضرة (أ) | د.ة/ رحمونة بليل |
| عضواً مناقشاً | جامعة سعيدة | أستاذ محاضر (أ) | د/ بوحسون عبد القادر |

لسنة الجامعية 2017 – 2018م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَلِمَاتُ شُكْرٍ

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف الأستاذ
الدكتور شعيب مقنوني، وإلى جميع الأساتذة
الذين ساهموا في توجيهنا لهيئة مرحلة الماجستير، وإلى
من تلقين على أيديهم مبادئ علم التاريخ في مرحلة
الليسانس، وجميع أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه، كما
لا أنسى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل من
قريب أو بعيد ولو بكلمة تشجيع، وخاصة أصدقائي
الذين كانوا شحنة معنوية لهيئة هذا العمل فجز الله
الجميع خيرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.

الإهداء

أهدي هذا العمل إلى روح جدي وجدتي تغمدهما
الله برحمته.

وأبي وأمي أهما الله في عمرهما.

وجميع إخوتي و أفراد عائلتي حفظهما الله
بعنايته.

مقدمة

مقدمة:

يعتبر التراث الشعبي سجلا حافلا بالمواقف والخبرات والتجارب التي مرت على أفراد المجتمع، وتكيف معها وسن لها قوانين تضبطها ، و طقوس لتذكرها، وممارستها، وهذا عبر تاريخ استقرارهم الممتد لأزمنة طويلة، فكان بصدق الصورة الحقيقة التي تعبر عن كل مجتمع وكل طائفة وكل فرد، فالمبدع الشعبي لا يتكلف ولا يضفي الخيال على إبداعه ليستقطب الجمهور، ولهذا يلقي إبداعه القبول في وسط العامة والخاصة ، وإن تقادم العهد به.

ولذلك تسارعت المؤسسات والهيئات العالمية لحمايته والتعريف به، وكانت هيئة الأمم المتحدة للتربية والتعليم والثقافة أولى تلك المؤسسات، فأشارت في المؤتمر العام والذي عقد في عام 1972م إلى حالة التدهور السريع الذي يشهده التراث بشقيه المادي والمعنوي، فأصدرت بذلك " اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي، والذي يقوم على أسس دولية لتشريع وتنظيم التراث الثقافي. فأصدرت سنة 2003م. اتفاقية لحماية التراث الثقافي الغير مادي، فجعلت من نقل المعارف والمهارات من بين الضمانات لاستمراره ، وكذلك شجعت منظمة اليونسكو الدول على إحداث منظومات وطنية " للكنوز الإنسانية الحية"، ومن بين الدول السبّاقة في ذلك نجد: اليابان، و كوريا الجنوبية، ورومانيا، وبلغاريا وألمانيا، وفرنسا، ونيجيريا ،ومالي، وصولا إلى موريتانيا ،والمغرب والجزائر في السنوات الأخيرة، ولقد كان معهد الثقافة الشعبية التابع لجامعة تلمسان تجربة رائدة في ذلك، ومساهمة لها أهمية في إحياء التراث وإخراجه من غياهب النسيان إلى رفوف المكتبات ليتعرف عليه

العام والخاص، وما الدفعات المختلفة في دراسات ما بعد التدرج – ماجستير دكتوراه – في شتى تخصصات الثقافة الشعبية الجزائرية خصوصا لجديرة بالشكر والتقدير. لمساهمتها في التعريف بالتراث الجزائري.

والتراث الشعبي بمنطقة توات متعدد غزير حتى لا يمكن إيجاد جانب من جوانب الحياة إلا ولل فرد التواتي حضور وموقف في ذلك، ويظهر هذا بشكل جلي في عاداته وتقاليده، هذه الأخيرة التي لا تنفك عن ممارساته الاجتماعية والدينية والاقتصادية، فتفرض عليه نفسها وأن حاول تجنبها، لقوة سيطرتها على عقله، كما أنها تعبر عن هويته وجذوره التاريخية التي تمتد لأزمنة قديمة مرتبطة ببدايات تشكل المجتمع الأولى، ولهذا يصعب التخلي عنها لأنها تُغرس في عقول الأجيال بفعل الممارسة والتكرار، فنجدها حاضرة في أفراحه وأفراحه، ومناسباته اليومية والسنوية.

وبسبب ما اعترى المجتمعات من تغير في البنية الفكرية، والاقتصادية، بفعل العولمة وما نتج عنها، بدأ البعض يتخلى عنها وينظر إليها نظرة ازدراء واحتقار، ويعدها سبب للتخلف والتراجع، وبهذا ارتدى في أحضان الحضارة المعاصرة ونهل منها، وربما هذا ما أفقد الكثير من المجتمعات خصوصيتها التي تميزها عن غيرها، فأصبحت مثل ذلك الطفل الشريد في بلاد الغربة ليست له أسرة يأوي إليها، ولا من يلقي له بالا في المجتمع الذي هو فيه، وربما هذا هو حال الكثير من المجتمعات التي فقدت هويتها وتقلدت هوية غيرها، وهو ما تسبب في زوال الكثير ممن التراث الإنساني خاصة العادات والتقاليد.

ولهذا دار تساؤل كبير حول العادات والتقاليد، باعتبارها أبرز عناصر التراث الشعبي التي ترتبط بالممارسات اليومية للإنسان ، يدور حول إمكانية الاحتفاظ بها و إثرائها كونها تعكس تجربة الآباء، وهوية المجتمع، أو التخلي عنها ونهتّم بحاضرنا وفق ما هو عليه واقعنا المعاصر، فهذا الجدل أفرز إشكاليه مفادها كيف يمكننا اعتبار العادات والتقاليد ركيزة ثقافية تعكس هويتنا وتميزنا عن غيرنا. وهذه الإشكالية؟ نتج عنها مجموعة من التساؤلات هي:

— ما لمقصود بالعادات والتقاليد؟

— وما هي المجالات الاجتماعية التي تتجلى فيها؟

— وما هي أهميتها في الحفاظ على تماسك المجتمع؟

— كيف تعكس العادات والتقاليد ثقافة المجتمع وهويته؟

— ما هو موقفنا من بعض العادات والتقاليد الدخيلة والتي لا تتماشى مع العقيدة الإسلامية؟

وأهدف من وراء هذه الدراسة إلى محاولة التعريف بالمجتمع التواتي من خلال بعض الجوانب التي يظهر فيها وهو في عفويته وبساطته، وهذا من خلال التعريف بعاداته وتقاليدته التي تظهر في طقوسه المرتبطة بدورة حياته منذ الولادة مروراً بحياته اليومية، وقوفاً عند الوفاة، والعادات المرتبطة بالعيش وطرقه، واللباس وأصنافه، والصنائع وإبداعاته فيها، ومجالات استخدامها، وطرق ترفيهه وأهميته ذلك في حياته، والعادات المرتبطة بالنشاطات الاقتصادية اليومية.

ويعود سبب اختياري لهذا الموضوع لأسباب ذاتية وموضوعية ، ومنها كوني من أبناء المنطقة الذين أثارت فيهم الكثير من العادات والتقاليد التساؤل فأعجب بالعجز البعض منها، واستتكر على البعض، ولا حظ زوالها بين عينيهِ وتخلي أبناء مجتمعه عن الكثير منها، فخشي من ذلك، فتجشّم عناء البحث ليسجل القليل منها، لأنها غزيرة وليس لباحث مثلي جمعها كلها، وكذا حالة النسيان والإهمال التي أضحي عليها التراث الشعبي بمنطقة توات عامة، وإلى رغبتني في إثراء رصيد المكتبة ببحث يعرف بالعادات والتقاليد بمنطقة توات.

واقترضت منا هذه الدراسة وضع خطة افتتحتها بمقدمة جاءت كصورة عن الدراسة والبحث، تناولت فيها الإشكالية والمنهج والصعوبات، وقسمتها إلى ثلاث فصول بعد التمهيد الذي جاء كمدخل للبحث تضمن التعريف بالعادات والتقاليد حسب المصادر والمعاجم، وفي الاصطلاح، وتحديد أهم المظاهر التي تتجلى فيها العادات والتقاليد، وأهميتها في الحفاظ على الهوية الوطنية، وتماسك المجتمع.

والفصل الأول خصصته للتعريف بالعادات والتقاليد المرتبطة بالاحتفالات، ودورة الحياة للإنسان، وهو بدوره انقسم لمبحثين، وصفت فيه العادات والتقاليد المرتبطة بدورة الحياة للإنسان، منذ الولادة مروراً بالطفولة والشباب والشيخوخة، وصولاً إلى الوفاة، وما يرتبط بهذه الأخيرة من طقوس كالغسل، وتجهيز الميت، والصلاة والدفن. وما يكون من بعده من إكرام للضيوف ترحماً على الميت.

والمبحث الثاني خصصته للعادات المرتبطة بالاحتفالات مثل العيدين، والمولد النبوي الشريف، والزواج، وبعض الاحتفالات الموسمية والشعبية مثل الوعدة، وبعض الأعياد المرتبطة بأيام السنة.

والفصل الثاني جعلته للعادات والتقاليد المرتبطة بالتعليم وطرقه، والنشاطات الاقتصادية بالمنطقة.

فالمبحث الأول كان للتعليم وطرقه، ومما جاء فيه: مراحل التعليم بالمنطقة، والمناهج المتبعة، وذكر بعض العلماء المسلمين المهتمين بمناهج التعليم، ومدى توافق تلك المناهج مع ما هو عليه التعليم في المنطقة بشيء كبير، وسن التعليم، والثواب والعقاب، وأوقات التدريس، والراحة والعطل، والمواد التعليمية، وأخيراً ختمته ببعض رواد التعليم بالمنطقة.

أمّا المبحث الثاني فتناولت فيه بعض العادات والتقاليد المرتبطة بالنشاطات الاقتصادية لسكان المنطقة، والمتمثلة بالصناعة والزراعة، وما توفره من منتجات، والطرق المستعملة في الحصول عليها، وطرق تخزينها، وبعض العادات التي تنفرد بها المنطقة عن غيرها.

والفصل الثالث وصفت فيه العادات والتقاليد المرتبطة باللباس وأدوات الزينة، واللعب والمرح بالمنطقة.

فالمبحث الأول جعلته للألعاب الشعبية في المنطقة، فوصفت أهم الألعاب، وأهميتها.

والمبحث الثاني تناولت فيه العادات والتقاليد المرتبطة باللباس وأدوات الزينة، فبدأته بالتعريج على بعض المراجع العربية التي اهتمت باللباس العربي والإسلامي، وهذا لسببين الأول التشابه الكبير في اللباس بين المجتمعات العربية، وإن اختلفت فرما في الأسماء، والثاني ندرة المصادر والمراجع التي اهتمت بهذا الموضوع، وبعد ذلك وصفت المواد المستعملة في الصناعة، والتقنيات المتبعة في ذلك، من أساليب الصباغة، وتقنية الزخرفة، ثم عرّجت على تركيبة اللباس التقليدي بالمنطقة، حددت أقسامه مثل لباس الهيئة الخارجية، والمشمولة، وغطاء الوجه، والرأس، والجسد، وملابس الهيئة الخارجية المفصلة والمخاطة، وختمته بوصف الحلي التقليدي وأدوات الزينة، والمواد الأولية المستعملة فيهما، وفي النهاية ختمت بحثي بخاتمة تضمنت مجموعة من النتائج المستخلصة من الدراسة.

ولتدعيم دراستي اعتمدت على عدد من المصادر المخطوطة والشفوية، وهذه الأخيرة كانت الأساس الذي فتح أمامنا الطريق للبحث في هذا الموضوع الذي تعوزه المصادر والمراجع الأساسية، وكذلك مجموعة من المراجع العربية والأجنبية، ومن المخطوطات كتاب القاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد لإسلام، وتضمن هذا المصدر بعض الأحداث التي مرت بها منطقة توات، وهو مصدرا مهم في التعرف على تاريخ المنطقة، وكذلك كتاب محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط (كان على قيد الحياة عام 1210هـ/1795م) مع أن هذا المصدر تضمن جزء كبير منه أخبار تمنطيط لكنه مع ذلك لا يمكن

الاستغناء عنه في التعرف على الحياة الاجتماعية في المنطقة خلال القرن 13هـ، 18م، ورسالة في زينة النساء للمختار بن أحمد الكنتي.

ومن المصادر المطبوعة قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية لأحمد أمين، و كتاب في التعليم وطرقه لمحمد ابن سحنون والموسوم بكتاب آداب المعلمين، وكتاب الإحاطة في أخبار غرناطة، للسان الدين بن الخطيب، وابن خلدون في كتابه العبر، وغيرها من المصادر.

ومن المراجع نجد منها ما هو مختص في المنطقة مثل: كتاب اللهجة التواتية الجزائرية معجمها بلاغتها أمثالها وحكمها وعيون أشعارها، لصاحبه أحمد جعفري، ويعد هذا المرجع مهم في التعرف على التراث الشعبي بمنطقة توات، وتشكل من جزأين الأول عبارة عن معجم لمفردات اللهجة التواتية وكذلك أسماء أهم المنتجات والحيوانات والعمور والروائح وغيرها من عناصر التراث الشعبي بالمنطقة والجزء الثاني تضمن الجانب البلاغي في اللهجة التواتية، وكذلك أمثال وحكم تواتية وعينة من الشعراء الشعبيين بالمنطقة. وكذلك كتاب توات والأزواد لصاحبه محمد الصالح حوتية ويعد كذلك هذا المرجع مهم في التعرف على تاريخ المنطقة، والحركة الصوفية بها . ومراجع أخرى عامة مثل تاريخ أزياء الشعوب لنصر الثريا، ومباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، لإبراهيم القادري بوتشيش، ووسائل الوصول إلى شمائل الرسول، ليوسف بن إسماعيل النبھاني، وكتاب فلسفة الزواج وبناء الأسرة في الإسلام، لعبد الحميد خراز، ومرجع الانثروبولوجيا الاجتماعية، لعلي محمود إسلام الفأر، والحياة الاجتماعية في الأندلس لمحمد سعد الدغلي، وكتاب الدين

والطقوس والتغيرات، لنور الدين طوالي، وغيرها من المصادر والمراجع التي لا يسع المكان لذكرها جميعا، وقد اشرنا إليها في قائمة المصادر والمراجع.

وبخصوص الرسائل الجامعية نجد رسالة. مذكرة عبد الله مزيان ، الموسومة بالأبعاد التربوية في عادات وتقاليد أهالي مغنية ونواحيها، قدمها للحصول على درجة الماجستير، ومذكرة زازوي موفق الموسومة ب: الطقوس الجنائزية في منطقة تلمسان التي قدمها للحصول على درجة الماجستير، ورسالة الطالب صالح بوسليم، الموسومة ب: الصناعة التقليدية – بمنطقة تيدكلت – صناعة الفخار والجلود أنموذجا، وغيرها من المذكرات اشرنا إليها في آخر المذكرة. كما أن هناك عدد من الدوريات والبحوث والمراجع باللغات الأجنبية أشرنا إليها في الأخير.

واعتمدت في دراستي هذه على المنهج التاريخي كون دراستي جاءت. لتتبع بعض العادات والتقاليد بمنطقة توات منذ العصور التاريخية القديمة إلى يومنا هذا كما وظفت إجراءين وهما التحليلي والوصفي، وهذا من خلال وصفي لعادات وتقاليد سكان المنطقة في الأكل والشرب، والفرح والقرح، واللباس وأدوات الزينة، والتحليلي لمحاولة استخلاص أهمية العادات والتقاليد، في الحفاظ على تماسك المجتمع، وإعطائه الخصوصية الثقافية التي تميزه عن غيره، كذا أهمية الألعاب الشعبية خاصة في تنمية مهارات الطفل والفرد التوتي عامة.

وواجهتني في بحثي هذا جملة من الصعوبات منها، أن البحث في مثل هذه المواضيع يعد تجربة أولى لي لم يسبق أن قمت بها، وكذلك

صعوبة الحصول على المادة التاريخية والتي جاءت في مجملها روايات شفوية متشابهة مختصرة في أغلبها لا تشفي غليل الباحث، ندرة الدراسات التي تناولت البحث من طرف أبناء المنطقة، وإن كانت هناك إشارة خفيفة في بعض الدراسات لا تفي بالغرض.

وأخيرا أتقدم بالشكر الجزيل – وإن كان هذا الشكر لا يوفيهم حقهم – إلى كل من أعانني في إخراج هذا البحث وخاصة الأستاذ الدكتور شعيب مقنونيف الذي كان بعد الله نعم العون بنصائحه وتوجيهاته ، وكذا الأستاذ الدكتور عبد الحق زريوح على نصائحه، كما لا أنسى كافة الأساتذة الذين تعلمت على أيديهم مدة مسيرتي الدراسية. وإلى أعضاء لجنة المناقشة كل باسمه على موافقتهم على مناقشة هذا البحث. وشكرا.

عزالدين جعفري تلمسان يوم 11 ديسمبر 2017م

مدخل تمهيدى

التعريف بالعادات والتقاليد ومنطقة توات

المدخل التمهيدي:

المدخل التمهيدي:

التراث الشعبي هو مجموعة الأقوال والممارسات الموروثة عن الأسلاف كالشعر الشعبي والحكمة، والنكتة، والمظاهر الفلكلورية بكل أنواعها من رقص وغناء، وعادات وتقاليد... الخ، لذا يعد بمثابة الصفحة التي يمكن من خلالها التعرف على المستوى الفكري والثقافي لأي مجتمع . فهو كما يقول محمد وقيع الله: " إن التراث الشعبي هو حكمة الجماهير، إنه الجانب الثقافي والعقائدي من عادات وتقاليد المجتمع ، فهو نتاج عصارة تفاعل المجتمع مع الظروف المختلفة في الأطوار المترابطة"¹

والعادات والتقاليد تعد من أبرز تلك الأنواع لكونها الممارسات التي تترجم تلك النصوص الصماء، ومما لا يخفى على أحد أثر الممارسة في ترسيخ الفكرة وإضفاء القداسة على موروث الأسلاف ، كما أنها تختلف من مجتمع لآخر ومن مدينة لأخرى ، كونها الميزة والخاصية التي ينفرد بها مجموعة من الأفراد عن غيرهم، فإذا كانت بطاقة التعريف الوطنية هي الوثيقة التي تفرق بين دولة وأخرى من حيث الحدود السياسية، فالعادات والتقاليد تعد البطاقة التي تفرق بين مجتمع وآخر من

¹ محمد وقيع الله، تحليل التراث هو نقطة الانطلاق في مشروع التحديث، مجلة الإصلاح،

دبي ، العدد 306، 1994م، ص56.

حيث الحدود الثقافية واللغوية (اللهجية) ، فربما نجد في دولة واحدة العديد من المجتمعات التي تفرق بينها مجموعة من الممارسات، والعادات والتقاليد، وبذلك فمجتمعنا الجزائري يضم في داخله العديد من المجتمعات التي تفرق بينها مجموعة من الممارسات والعادات التي تؤكد التنوع الثقافي ببلادنا من جهة، والتأثيرات الحضارية والفكرية التي عرفتها بلادنا خلال الحقب التاريخية المختلفة من جهة أخرى.

وقبل وصفنا العادات والتقاليد التواتية سنحاول الوقوف على تعريف العادات والتقاليد ذاكرين طرق تشكلها، والأهمية التي تحملها.

(1) – التعريف بالعادات والتقاليد:

(أ) – العادات:

لغة: اعتاد الشيء أي صيره عادة لنفسه، والعادة هي ما يعتاده الإنسان ويعود إليه مرارا وتكرارا ، وهي جمع عادات وعوائد، أما التقاليد جاءت من قلد فنقول قلد السيف أي جعل حاملته في عنقه، أما قلده في عمله فعل مثل فعله.

وعنها جاء في دائرة معارف القرن العشرين، المجلد السادس بأنها من: **عَادَةً عوداً صيره عَادَةً، وأعاد الشيء** "بدأه ثانياً، وعاود الرجل رجوعاً،

وأعاده أرجعه و " تعود الشيء جعله من عادته ومثله " اعتاده " والعادة ما يعتاده الإنسان".¹

والعادة كما ذكر ابن منظور هي من العودَة، أو ما يعاد إليه معروفة وجمعها عادات وعيد ... أنما العيد لما يعود إليك من الشوق، والرضا ونحوه ...

وتعود الشيء وعاده معاودة وعوادا واعتاده واستعاده وأعاده أي صار عادة له ، وكما أنشد ابن الأعرابي:

لم تزل تلك عادة الله عندي والفتى آلف لما يستعيد

وقال:

تعدّه صالح الأخلاق إني رأيت المرء يآلف ما استعاد²

(ب) – التقاليد :

نقول قلد المرأة قلادة جعلها في عنقها، وقلده العمل فوضه إليه و" قلده في الأمر " أتبعه فيه من غير نظر.

وكما جاء في لسان العرب لابن منظور: قلده الأمر ألزمه إياه وهو مثل بذلك التهذيب، وتقليد البدنة أي جعل في عنقها عروة.¹

¹ محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، ط3، دار المعرفة، بيروت لبنان، 1971م، ص 775.

² ابن منظور، لسان العرب ، ط3، دار صادر بيروت، لبنان، 1971م، ص317.

جمع تقاليد ، ضد الابتكار، ويستعملون التقليد لما يكتبه السلطان أو الأمير الحاكم مصرحا له بتقليده الحكم ، وهو ما انتقل إلى الإنسان من آباءه ومعلميه ومجتمعه من العقائد والعادات والعلوم.

(ج) العرف:

هو الأمر الذي تتفق عليه الجماعة من الناس في محيط حياتها ، وكما عرفه الجرجاني هو ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول وتلقته الطبائع بالقبول²، والعادات تتمثل في العمل المتكرر من الأحاد، والجماعة إذا اعتادت الجماعة على أمر من الأمور صار في النهاية عرفا لها، وعليه يجوز القول إن العادة إذا تكررت لدى الجماعة دون اعتراض عليها أو مخالفتها صارت عرفا لها ، وهي في رسالة " نشر العرف " لابن عابدين مأخوذة من المعاودة، وهي بتكرارها ومعاودتها مرة بعد أخرى صارت معروفة ومستقرة في النفوس والعقول متلقاة بالقبول من غير علاقة ولا قرينة، حتى صارت حقيقة عرفية.

والعادة - فيما يتصل بتعريفها - ظاهرة أساسية من ظواهر الحياة الاجتماعية للإنسان، فهي حقيقة أصيلة من حقائق الوجود الاجتماعي، فنصادفها تؤدي الكثير من الوظائف الاجتماعية الهامة، عند الشعوب البدائية، كما عند الشعوب المتقدمة، وفي حالة الاستقرار، كما في حالات

¹ نفسه، ص 365-367.

² محمد تقي، مصادر التشريع الإسلامي، (دم)، وطبعة، 1994م، ص 161.

الانتقال والاضطراب والتحول، وهي موجودة في المجتمعات التقليدية التي يتمتع فيها التراث بقوة القاهرة وإرادة مطلقة، استطاعت أن تحافظ على كيانها ووجودها في ظل مجتمعاتنا العلمانية المتطورة، وابتكرت لذلك عددا من الأشكال والصور الجديدة التي تناسب العصر، ويؤكد ذلك محمد الجوهري بقوله: " ولذلك فمن الخطأ الكبير الاعتقاد بأننا لا يمكن أن نلتصق العادات الشعبية، أو العادات الاجتماعية إلا في التقاليد العتيقة المتوارثة فحسب. أما أنه من العبث الاقتصار عند محاولة تفسيرها على إرجاعها إلى صورها القديمة وأصولها الغابرة. فالعادات الشعبية ظاهرة تاريخية ومعاصرة في نفس الوقت."¹

والعادات تتشكل بتكرار مجموعة من السلوكيات الاجتماعية التي يتناقل أفراد المجتمع محتواها وطريقة تأديتها بالتواتر من جيل لجيل ، والتي يلعب فيها المجتمع الدور الأساسي في سننها وتمثيلها وترسيخها والحفاظ عليها كما أن العادات هي سلوك متكرر ومكتسب اجتماعا ، ويُتعلّم اجتماعا ويُمارس اجتماعا ويُتوارث اجتماعا.

فهي تتبع من مجموعة الأعراف الاجتماعية التي تعد بمثابة النصوص والمعارف التي تجسدها وتمثلها تلك العادات والتقاليد، والعرف هو مجموعة السلوكيات والقواعد التي تنظم العلاقات الاجتماعية والسلوكية للأفراد، وهي تنشأ عادة كما تنشأ الكائنات الحية بمختلف أشكالها وأصنافها، فتمر بمرحلة الفكرة (الطفولة) ثم مرحلة

¹ محمد الجوهري، مقدمة في دراسة التراث الشعبي المصري، دم، والسنة، ص38.

الممارسة (الشباب) ثم مرحلة التوريث (الكهولة) وأخيرا تصبح عرفا يحمل من القداسة ما يجعل من يخالفه معرض للعقوبة، وفي نظر العامة مرتكبا لجرم لأن تلك العادات صارت ملكا لجميع أفراد المجتمع يسهرون على حمايتها، وسن القوانين لحفظها، ويشير لذلك لحسن الساعاني بقوله: " ... تنشأ القاعدة العرفية التي تترعرع مثل أي كأن حي لتصبح مع مرور الزمن والوقت عبارة عن مجموعة من القوانين الغير مكتوبة يصهر أفراد المجتمع على تطبيقها بدون البحث عن ماهية وظروف نشأتها لأنه مجتمع نقل وتقليد لا مجتمع عقل وتأمل فكري.¹"

وهي تعد قانونا اجتماعيا ملزم لجميع أفراد المجتمع يعاقب كل من يخالفه، أو يدعو إلى التخلي عنه، فهي قواعد ملزمة وإن كان مصدر إلزامها من التعليم والتلقين مستمد قواه من خلال الفلسفة السائدة في المجتمع حسب البيئة ، فهي من أمتن المواثيق التي تحكم تماسك المجتمع ، فمخالفتها يلزم عقوبة اجتماعية مادية ، وفي أغلب الأحيان نفسية ما يعطيها القوة والعمق كما يقول دوركايم : " القاعدة العرفية هي أقوى وأمتن من القانون، لأنها وقائع جمدت واستقرت في شكل نماذج انتقلت إلينا عبر الأجيال التي ساهمت في إنشائها وتطورها ليلتزم الأفراد

¹ لحسن الساعاني، علم الاجتماع القانوني، دار المعرفة، القاهرة، 1960م، ص10.

بطاعتها واحترامها وكل مخالف لها يستهجن".¹ ويؤكد ذلك الباحث بوتشيش إبراهيم آخر بقوله: " العرف...، ويتخذ مصدره من سيرة الأجداد ويطبق بفعل الضغط الذي تمارسه المجموعة على الفرد ، وكل من خرج عن الأعراف، لفظته الجماعة"²

كما أن العرف يعد بمثابة الميثاق الذي يضبط النظام الاجتماعي، ويصون سلوك الأفراد ويوجهه لما فيه صلاحهم وصلاح المجتمع الذي يعيشون في داخله، ويشير لذلك نفس الأستاذ الأخير بقوله: " من المتعارف عليه أن العرف القبلي عبارة عن ميثاق ينظم المجموعة القبلية لما فيه مصلحتها ومصلحة أفرادها"³ ينظم الم

كما أنها تنمو وتتطور وتتعمق في الذاكرة الشعبية مع مرور الزمن ما يعطيها ذلك البعد التاريخي والعمق من القداسة الإلزامية، والسلوك هو الذي تفرضه الجماعة على الأفراد عند التنشئة، فيكبروا على الإلتزام بقيمة السلوك، وترسخ في وجدانهم العادة العرفية فيشيبون على اتباعها والخضوع لطرق مرسومة للقيام بها نتيجة القوة الإلزامية الكامنة فيها وبذاتيتها.

¹ عثمانى محمد ، الزواج في منطقة تزاررة، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية جامعة تلمسان، 2002م، 2003م ، ص 52.

² إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ص 238.

³ المرجع نفسه، ص 238.

وبذلك العرف هو مجموعة القواعد والقوانين التي تنظم العلاقات الاجتماعية والسلوكية للأفراد، فالعادات والأعراف فرضتها ظروف خاصة كالبيئة وطريقة عيش جماعة معينة، فمثلا عادات الزواج واللباس والأفراح والأقراح... في المجتمع الصحراوي تختلف عن سكان المنطقة التلية، فالحرارة والعوامل المناخية الصعبة التي يعاني منها المجتمع الأول تفرض عليه قوانين وسنن حياتية خاصة تمكنه من التكيف مع تلك البيئة، وبذلك تجد تلك العادات استحسانا وقبولا عند أفراد تلك البيئة أكثر من غيرهم، وهذا ربما ما يعطيها صفة القداسة والأفضلية والمثالية عندهم، وهذا ما يسمى ب **الاثنوسو نتيزم**¹، ومع مرور الزمن تصبح تلك العادات من صميم العقيدة الثقافية للمجتمع حتى تصبح في نظر أبناء المجتمع هي الأمتل والأحسن مقارنة بالعادات الأخرى لدى المجتمعات، كما تضيف الباحثة فوزية دياب: " ... تأتي لهم ذلك بالاعتقاد على إتيان السلوك وتكراره اجتماعيا وممارسته ميدانيا وبالتقليد والتواتر والتلقين حتى ترسخ لديهم فكرة هو الأمتل "².

والقاعدة العرفية أو العادة بصفة عامة تنشأ عندما يعتاد الأفراد عليها ويسود الاعتقاد لدى العامة بصحة إتباعها، و الالتزام بالخضوع لها،

¹ الاثنوسونتيزم Ethnocentisme هي فلسفة يعتقد أفرادها أن مجتمعهم هو الأفضل من قيم المجتمعات الأخرى. ينظر عثمانى محمد ، المرجع السابق ،ص43.

² فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية — بحث ميداني في بعض العادات الاجتماعية دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،ص104.

فهي قاعدة موجودة غير أنه لا يمكن تحديد تاريخ بداية الأفراد العمل بها كسلوك تنظيمي إلزامي لأنه يكفي في تنشأتها شعور الأفراد بضرورتها واحترام منهجها.

ولهذا كانت قديما أو في الوقت الحالي لدى بعض المجتمعات هي المنظمة للعلاقات بين الأفراد ، وإن كان السلوك العرفي تختلف طقوسه من بقعة لأخرى، ومن عرش لأخر حسب الوسط البيئي وأسباب اختلاف العيش ، والعرف والعادة تخضع في أغلب المجتمعات لعامل الدين ، فتكون قوة تجذرها قوية عند المجتمعات المتدينة إذا كانت متماشية مع الدين والعكس . وبذلك في العرف يكون لدى البدو أكثر رسوخا منه عند الحضرة، فعند تقصي أخبار المغرب الإسلامي خلال الفترة الوسيطة نجد نماذج كثيرة عن ذلك ، فمثلا ما حكاه النويري، عن أحد الفقهاء الذين طلب منهم أبو عمران الفاسي التوجه نحو القبائل الصنهاجية في الجنوب استعفى من ذلك تحت مبرر أن هؤلاء ألفوا سيرا نشئوا عليها، فمتى نقلوا قتلوا من أمرهم بخلافها ، كما أن عبد الله بن ياسين رغم نجاحه في تأسيس دولة مترامية الأطراف لم يتمكن من تغيير أعراف قبيلة لمتونة خاصة عندما طلب منهم معاقبة القاتل بالقتل ،

والسارق بقطع اليد، والزاني بالجلد حسب ما تقتضيه نصوص
الشريعة.¹

والعادات والتقاليد ارتبطت بشتى المجالات الاجتماعية للأفراد،
فمنها ما له علاقة بالسكن والتغذية واللباس، ومنها ماله علاقة بالأعياد
والاحتفالات الشعبية، وماله علاقة بالألعاب والترفيه، وعادات مرتبطة
بدورة الحياة كالولادة والوفاة وتربية الطفل، وماله علاقة بالصناعة
والنشاطات الاقتصادية...

وهي رغم بساطتها، وعفويتها لها أهمية كبيرة في الحفاظ على
تماسك المجتمع، فهي دعائم يقوم عليها التراث الثقافي للإنسانية، وتساهم
في ضبط وتنظيم الأفراد داخل الجماعة، فدورها لا يقل عن دور
الشريعة والقوانين في ضبط وتنظيم حياة الأفراد.

فيرى أفلاطون² في كتابه القوانين بضرورة احترام العرف والعقائد
والطقوس الدينية لأن هذه الأمور وما إليها تكون مجموعة من القوانين

¹ النويري (أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تح مصطفى أبو ضيف
أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، د.ت، ص 254.

² أفلاطون: (427 - 347 ق.م). فيلسوف ومعلم يوناني قديم يُعدُّ واحدًا من أهم المفكرين
في تاريخ الثقافة الغربية، وله مذهب في المثالية القديمة، وعنه أخذت المثاليات المختلفة في
التاريخ المتوسط والحديث، ويتميز على تعويله على الرياضة موضوعا، وأخذه بالجدل
منهجي، وتصويره للحياة الإنسانية تصويرا روحيا، وإيمانه بقدرة العقل على الوصول إلى

غير المكتوبة فهي الدستور المكتوب، وهي فوق ذلك المعين الأول الذي تستقي منه التشريعات والقوانين الوضعية مادتها وأصولها الأولى¹

والمجتمع التواتي باعتباره ضمن البنية الكلية للمجتمع الإسلامي تخضع أغلب أعرافه وعاداته للشرعية الإسلامية، وهو ما يظهر في ارتباط أغلب تلك العادات بالمناسبات الدينية من جهة، ومحاولة إعطاء الفرد التواتي النص الشرعي لكل سلوكياته وممارساته، لتجد الترحيب والقبول في المجتمع، ويزيل الحرج عند المجتمعات الأخرى، وما هو على غير ذلك سرعان ما يزول بزوال الأفراد الذين وضعوه أو دعوا إليه. لأن العادات ليس في كاملها اجتماعية لأن هناك ما هو شخصي نابع من وجهة نظر شخصية كما ذكرت ذلك نفس الباحثة: " ليس كل سلوك متكرر يدخل في إطار العادات فهناك أنواع من السلوكيات المتكررة تعتبر عادات خاصة بالفرد، أي هي شخصية وليست عادات تشترك فيها الجماعة"²، وذلك لأن العادات هي أعم من خلال المنشأ والممارسة والغاية، فأنشأتها الجماعة ومارسنها ساعية من خلالها إلى تحقيق مصلحة ودفع مفسدة سواء فقهاها الفرد أم جهلها، على خلاف سلوك الفرد الذي يكون في أغلب الأحيان ناتج عن قناعة وتوجه فردي

الحقيقة المطلقة. ينظر مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ص18.

¹ فوزية دياب، المرجع السابق، ص109.

² نفسه، ص104.

ينحصر في ممارسته أو في محيط أسرته في أكثر الأحيان، كما قال
دوراد سابير: " العادة مصطلح يستعمل للدلالة على مجموع الأنماط
السلوكية التي تحتفظ بها الجماعة وترسمها تقليداً، وهذا يميزها عن
النشاطات الشخصية التي يقوم بها الفرد"¹

والعادات والتقاليد — المستمدة من تلك الأعراف — التواتية كثيرة
ومتشعبة مرتبطة بمختلف مراحل حياة الفرد اليومية فنجدها في أكله،
وشربه، وأفراحه، وأقراحه، وحياته وموته... وغير ذلك فهي كما قال
ابراهيم بوتشيش " ... تشمل مختلف الأمور الحياتية من زواج وطلاق
وطعام ولباس وقضايا جنائية ، وغير ذلك مما يمس السلوك
العام، وتتخذ مصدرها من سيرة الأجداد"²

وأخيراً ما يمكننا قوله هو أن العادات والتقاليد لا تتفك عن الأعراف ،
فتشمل تجارب الأسلاف في معتزك الحياة، فهي تجسد طريقة أكلهم
وشربهم ، ونومهم، ولباسهم، وجدهم، وهزلهم، وفرحهم وقرحهم وغير
ذلك مما واجههم في هذه الحياة، تتجسد في الممارسات اليومية، لتشد من
تماسك المجتمع، وإعطائه خصوصية تميزه عن غيره من المجتمعات.

2- التعريف بمنطقة توات:

¹ نفسه، ص 106.

² ابراهيم بوتشيش، المرجع السابق، ص 138.

منطقة توات هي إحدى مناطق الإقليم التواتي الثلاث (قورارة، توات، تيدكلت)، وهي اليوم سياسيا تابعة لولاية أدرار إحدى ولايات الجزائر ، ونظرا للمكانة الكبيرة التي كانت تحظى بها المنطقة مقارنة بجيرانها، أطلق اسم الإقليم عليها، وهي تقع ما بين نهايات الهضبة العليا للقورارة التي تشكل الحافة الشرقية لوادي مسعود، والحافة المقابلة له المسماة العرق الغربي ، فتوات العليا تبدأ من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رغان، موقعه بين هضبة تادميت شرقا. وعرق الرمل¹ غربا، ومن الشمال منطقة قورارة ، ومن الجنوب منطقة تيدكلت، وتضم المنطقة كثير من القصور²، وهو يتوسط الأوطان التالية: المغرب الأوسط والأقصى وجميع بلاد السودان³ وبلاد الهقار.

1 وهي الكثبان الرملية المسماة بعرق شاش.

² القصر، في الاصطلاح المحلي هو القرية المحصنة بالأسوار، والأبراج، ويظهر هذا من خلال إحتواء أغلب قرى توات على قصور قديمة بأبراجها، مما يثبت أن تلك القصور كانت تحصينا لسكان القرية قبل اتساعها يوما ما.

³ بلاد السودان :تطلق كلمة السودان على الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى فسمو بلادهم ببلاد السودان ، يحدها من الشمال الصحراء الإفريقية وجنوبا درجة 10 درجة شمال خط الاستواء ، والمحيط الأطلسي غربا ، وينقسم إلى السودان شرقي وسودان غربي ، هذا الأخير يطلق على افريقية الغربية التي تقع الى الجنوب ، يحدها شرقا بحيرة التشاد ، غربا المحيط الأطلسي، وجنوبا خليج غنيا. ينظر يحي بو عزيز ، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية

-16-20م ،دار هومة ،الجزائر، د.ت ،ص 09.

وموقعها الفلكي ينحصر بين خطي طول 01° شرقاً و 03° غرباً وبين دائرتي عرض 20° و 30° شمال خط الاستواء¹، ويعرف هذا الحيز الجغرافي باستواء سطحه وقلة ارتفاعه.

(أ) – تضاريس ومناخ المنطقة:

باعتبار البلاد واقعة في المجال الصحراوي، فإن السمة الغالبة عليها هي استواء أرضها، فهي مسطحة الشكل تتألف من الرق والعرق والسبخة والهضبة والحمادة والوديان. فالرق هو سهل مغطى بالحصى الجافة تنتشر منها الرمال لتكون العرق، الذي هو: عبارة عن رمال تمتد سهولها وكثبانها بين المغرب والسودان، وينطلق من المحيط الأطلسي إلى النيل شرقاً، وأشهر العروق عرق شاش وعرق إيكيدى والعرقان الشرقي والغربي، وتتخللهم هضاب صخرية أفقية الاتجاه تدعى الحمادة.

أما السبخة فهي عبارة عن بحيرة تتبخر مياهها صيفا وتتحول إلى ضاية من الملح تسمى بـ"الشط" أو "السبخة" أو "زاغز"، وأهم سبخات توات سبخة تمنطيط، و تيمي، وأزلماتي بجنوب رقان. كما أن هناك بعض الهضاب من أهمها هضبة تدمائت وهضبة الإقلاب التي ينبع منها وادي شناشن ويختفي في عرق شاش.

وكانت توات في العصور الأولى بحراً فكان بها المحارات والآثار البحرية، تمر بها الزوارق ما بين تماننين إلى بودة، ثم إلى

¹ - حاج أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات، ط2، دار الحبر، الجزائر، 2011م، ص40.

أوقروة¹ . وكما يقول صاحب درة الأقلام من أن القطر التواتي قبل الإسلام كانت أغلب قصوره مجرى لوادي كثير وأن من السبخة التي بين تيمي وتمنيط إلى تمدنين² التي في بلاد رقان كانت تقطع بالسفن³ ، وهذا إشارة لوفرة مياه واد مسعود وطول امتدادها.

ويقول الأستاذ نيكلو عبد القادر: "وقد استمر المناخ الرطب قديماً خلال العشرة آلاف سنة الماضية إلى غاية التحولات التدريجية في المناخ حيث يبدأ التصحر المستمر، الذي كان له سببان هما: فعل الطبيعة، وفعل الإنسان نفسه، وقد ساعد ذلك المناخ المعتدل والأمطار الفوارة في القديم على تكوين طبقات المياه الجوفية الكبيرة المعروفة الآن بحوض الماء الجوفي الألبى «ALBIEN». ومن حظ هذه المنطقة أنها تتربع على مثل هذا الحوض الذي يمتد على مسافة كبيرة تقدر بحوالي 2 مليون كم² ويمتد إلى تونس وليبيا، ولعل نهرها العظيم يستمد قوته من هذا الحوض، وهذه الأحواض هي التي تجعل الماء يكون قريباً

¹ - محمد باي بلعالم، التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها. أعمال الملتقى الثقافي الأول للتعريف بمنطقة ادرار: 13-14 شعبان 1405هـ/3-4 ماي 1985م ، ص 43.

² تمدنين هو إحدى قصور دائرة رقان يبعد عن الولاية ادرار 150 كم.

³ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، المصدر السابق، ص 04.

من السطح كما هو الشأن بنواحي أدرار أو تعلو على السطح تماماً كما هو الشأن في بعض مناطق تيميمون.¹

وتنتشر بتوات مساحات شاسعة مغطاة بالرمال، تعتبر تهديدا خطيرا للأراضي الزراعية والفقارات والقصور²، فزحف الرمال يؤدي إلى إتلاف الأراضي وانسداد فوهات الفقارات، ومحو آثار القصور التي هجرها أصحابها، كقصر أولاد ميمون الذي زاحمته الرمال من الجنوب³. ولوقف زحف الرمال عمل أهل توات على صنع حواجز من جريد النخل تسمى "أفراك"⁴ لحماية النخيل والفقارات والقصور.

(ب) - **التشكيلة الاجتماعية:** يتشكل مجتمع توات من عدد من الأجناس التي استقرت في المنطقة، وتفاعلات مع من سبقها، ومنها:

¹ رشيد بايوسف، غاية الأمان في أجوبة أبي زيد التتلائي (1189هـ) دراسة وتحقيق، مخطوط مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، 2012 -2013م، ص54.

² أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره 870 -909هـ/1465 -1503م. مخطوطة رسالة ماجستير بقسم الحضارة الإسلامية، 1999 -2000م، ص 08.

³ محمد الطيب بن عبد الرحيم، القول البسيط في أخبار تمنطيط. تحقيق فرج محمود فرج، الجزائر، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1977م، ص 17.

⁴ أفراك: هو السياج بلغة البربر. ويتكون من جريد النخيل اليابس، وهو فعال في صد الرمال، إضافة إلى تكلفته المنخفضة. مصطفى أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة الغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين، ط1، مطبعة دار النشر المغربي، المغرب، 1982م، ص 242.

1- ب - البربر: هم أول السكان استقرار بالإقليم التواتي، وتعتبر قبيلة زناته في مقدمة القبائل التي وطئت قدمها الإقليم بفروعها المختلفة وذلك قبل الفتح الإسلامي بسنوات ، ودانوا في بادئ الأمر بالديانة اليهودية ثم المسيحية، وبعد الفتح الإسلامي اعتنقوا الإسلام، وكانت قبيلة "لمتونه"¹ هي أول القبائل البربرية استقرارا بالمنطقة، فيقول محمد بن باب حيدة في ذلك: "إن أول من نزل بالمنطقة هم اللمتون أولاد يوسف ابن تاشفين حين انكسرت دولتهم بالمغرب والأندلس على يدي العبيدين² ومالكهم ابن تومرت ، فجاءوها فارين وهاربين إلى أن بلغوا ارض توات، فوجدوا بها الجذب فعرفوا أنها ارض أمان لان الجند لا يستطيعون المقام بها، وكان أول قصر بنوه "تيلوة"³.

ولسبب أسبقية الاستقرار للبربر بأرض توات رجح بعض الباحثين أن يكون أصل تسمية توات بربريا ، مستدلا بقول محمد العنابي الذي يشير في هامش تحقيقه لفهرسة قاضي الجماعة بتونس ومفتيها محمد بن قاسم

¹ لمتونة: هم فرع من القبائل البربرية التي سكنت صحراء المغرب، وعرفوا هم وقبيلة جدالة بالملثمين لتخاذهم اللثام شعارا لهم يميزهم عن سائر قبائل المغرب وذلك لعنقا دهم بان ظهور الفم عورة يجب إخفاءه . ينظر: عبد اللطيف عصمت ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار الغرب الإسلامي،المغرب، 1988م ،ص29.

² انكسرت دولة المرابطين على يد الموحدين، وليس العبيدين وبالتحديد سنة541هـ/1146م.

³ تيلوت: المزود ، ينظر ، محمد بن باب حيدة:المصدر السابق، ص187.

الرصاع المتوفي عام 894هـ/1489م قال محمد العنابي بأن كلمة توات هي إسم لقبيلة من قبائل البربر من صنهاجة اللثام بالصحراء قائلًا: " والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الإسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنهم قبائل الطوارق، ولمتونة، والتوات..."¹ .

واشتهر البربر بزراعة الأرض لتوفر المنطقة على وديان استعملوها في سقي المزروعات، ومارسوا الرعي وسكنوا الخيام حيث اعتصموا بالأماكن المنعزلة، وقاموا بحفر ما يعرف بالفقارة بسبب انخفاض منسوب المياه من الوادي الكبير وما يدل على اشتغالهم بالزراعة أسماء الوسائل الزراعية التي تأخذ مصطلحات بربرية، زيادة على توقيت زراعة بعض المحاصيل مثل "توبر" غوشة "...لخ، كما اشتغلوا بالتجارة خاصة مع بلاد السودان الغربي، وبنوا القصور والأسوار والخنادق في حالة الحرب واهم هذه القبائل أولاد يعقوب وأولاد يحي.²

ومن القرى التي اختطوها بالمنطقة بعد استقرارهم نجد: قصر واجّ ، وودرارو، وبموسى، وامغر ويوسف، وولمعزو، وسعد الله، ويحي، وأنكوس، وقصر الجير، وأم اصباح وأنكد، ومكرة، وغرميانوا،

¹ عبد الله حمادي الإدريسي ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني، ط1، ابتكار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م ، ص192.

² - عائشة بو شقيف ، الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي بإقليم توات والسودان الغربي ق 15م/9هجري، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ تلمسان ، 2010/2011م ، ص08.

وتورير، وأقبور...¹، وهذه القرى هي واقعة في قبلة المنطقة تواتية من مشرق الشمس.

وعن بعض القبائل البربرية التي دخلت المنطقة وتاريخ دخولها نجد: من اللمتون " قبيلة دكوان دخلت سنة 536هـ، وجاءت أولاد حسين 528هـ. وأولاد بن سليمان 531هـ، أولاد خير الله 516هـ، أولاد عياش 502هـ، أولاد بن يدر 520هـ...²

2- ب - العرب: هم ثاني من استوطن بالإقليم بعد البربر بفعل الفتوحات الإسلامية التي عرفتها بلاد المغرب في القرن الأول هجري، ودخل العرب أرض توات بقصد نشر الإسلام وتعاليمه السمحة، وممارسة التجارة فاستقروا بالمنطقة، وكانت أول قبائل العرب استقرارا هم "المعقل"³، واستطاعوا النمو بسرعة لدرجة أنهم تمكنوا من السيطرة على أبرز القصور، وربما يرجع سبب ذلك لحالة الفوضى التي كان يعيشها البربر قبلهم، وعدم وجود قوة مركزية يتحد تحت رايتها الكل، ويشير صاحب الاستقصاء إليهم بقوله: " أقام بنو المعقل هؤلاء في القفار وتفردوا في البيداء، فنموا نموا لا كفاء له وملكوا قصور الصحراء مثل قصور السوس غربا ثم توات ثم بودة ثم تمنطيط، ثم وركلان ثم تسابيت ثم تكورا رين شرقا، وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور

¹ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، المصدر السابق، ص 06.

² نفسة، ص 07.

³ المعقل: هم من عرب اليمن ينتسبون إلى ربيعة بن كعب بن الحارث ينقسمون إلى ثلاث

بطون رئيسية: ذوي عبد الله، ذوي منصور، ذوي حسان.

عديدة ذات نخيل وانهار أكثر سكانها من زناته وبينهم فتن وحروب
على رياستها¹ .

ثم دخلت قبيلة كنتة، ثم قبيلة أولاد علي بن موسى القرشية² الذين
أشار إليهم محمد الطيب بن عبد الرحيم بقوله: "هم من أكابر الناس دلت
على ذلك حالتهم وسيرتهم فهم أهل سنة ومروءة ورياسة"³

ومن القبائل الأخرى قبيلة "المقابل" التي أشار إليها ابن خلدون إذ
تمكنت هذه القبيلة من بسط نفوذها على المنطقة خاصة في الفترة التي
عرفت فيها المنطقة صراعات على الرياسة فيقول: "وبعدما بسطت هذه
القبيلة نفوذها على المنطقة وبدأ سير الضعف في أمراء بني مرين
على مناطق الصحراء، استطاعوا أن ينفذوا إلى المدن والقصور
والواحات الواقعة في مجالات سيرهم في الصحراء"⁴ .

وبسبب الضعف والتفكك الذي كان عليه المجتمع التواتي، استطاع
العرب السيطرة عليه بسهولة، وأوجبوا على أهله أتوات، ويشير لذلك
محمد بن عمر بن المبروك الجعفري نسباً البوداوي منشأ بقوله: "وقيل

¹ احمد أبو العباس الناصري، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، تح جعفر الناصري، محمد
الناصرى، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954م، ص159.

² أولاد علي بن موسى: هي من أعظم قبائل تمنطيط منهم، أولاد بابا، موساوي، وقاد
يري،.

³ محمد الطيب بن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص178.

⁴ ابن خلدون عبد الرحمن: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من
ذوي السلطان الأعظم، تح سهيل زكار و خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2000م
ج6، ص120.

أن أمة العرب لما خرجوا من جزيرتهم ودخلوا المغرب، وعمرُوا أمصاره، دخلوا بلاد توات وتغلبوا على أهلها من زناته، فوضعوا عليهم الأتوات، فسموها بذلك بلاد الأتوات"¹.

ومن القبائل العربية التي سيطرت على البربر نجد: أولاد محمد والخنافس، والمحارزة، وأولاد طلحة، وأولاد بحم، وأولاد ملوك، وأولاد غانم، وأولاد الحاج وأولاد عايد وغيرهم ممن نزل المنطقة من عرب الساحل.²

3- ب - اليهود: استوطن اليهود في مختلف المناطق الخاضعة للمسلمين نظرا للمعاملة الخاصة التي لقوها من المسلمين، فأمنوهم على أرواحهم وممتلكاتهم مقابل جزية يدفعونها للدولة الإسلامية، فامتزج اليهود بالعرب في بلاد الحجاز، حيث تخلقوا بأخلاقهم وتأثروا بعباداتهم ومن ثم اتبعوا سبيلهم في العادات والتقاليد الاجتماعية، وجاءت الدعوة الإسلامية واتسعت حركة الفتوح فامتزجت حضارات البلدان المفتوحة مع الحضارة العربية، وافرز هذا الخليط الحضارة العربية الإسلامية التي أثرت بدورها على سكان اليهود بالشمال الإفريقي بطبيعة الحال وتشير المصادر إلى قيام مجتمعات يهودية ببعض حواضر المغرب الإسلامي مثل: " القيروان -المهدية -أشير - تلمسان -فاس -وسجلماسة" عاشت بين أهل المغرب الإسلامي من العرب والبربر المسلمين وتأثروا بهم واثروا فيهم ، خاصة انه لم

¹ محمد بن عمر البوداوي، نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط، خزانة بن حسان تتلان، أدرار، ص05.

² محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، المصدر السابق، ص08.

يفرض على اليهود مكان لسكن وإنما وفرت لهم السلطات الإسلامية حرية السكن والتنقل، ورغم طبيعة اليهود القائمة على المكر والخداع لم يتعرضوا في بلاد المغرب إلى الاضطهاد إلا نادرا حتى اعتبر بعض المستشرقين ما حدث لهم من اضطهاد حدثا عابرا¹. ودخل اليهود بلاد المغرب بعدما أجبرتهم اسبانيا والبرتغال على الرحيل من الأندلس فقصد نحو 100 ألف نسمة بلاد المغرب الأقصى و50 ألف في بقية بلاد المغرب العربي.²

وفد على الإقليم التواتي هجرات يهودية مبكرة إلى كل من تاخيفت وتمنطيط، ويذكر يعقوب وليل (Jacob oliel) في كتابه يهود توات أن المنطقة شهدت ثلاثة هجرات يهودية، أولها كانت في القرن 2م، وانطلقت من السرانيك ومرت بجبال نفوسة ومزاب إلى أن دخلت توات. أما الهجرة الثانية فقد انطلقت من الموصل في القرن 6م، والتقت مع جاليتين أخريتين في الصحراء الليبية أولما أتت من الحجاز في القرن 7م، والثانية جاءت من خيبر واتجهوا نحو توات.

¹ - عبد الرحمن بشير ، اليهود في المغرب العربي 642-1071م، ط1، عين لدراسات والبحوث الإسلامية، مصر، 2001م، ص111.

2 عبد الملك خلف التميمي ، أضواء على المغرب العربي ،دار البصائر ، الجزائر ، 2011م ، ص69.

أما الهجرة الثالثة فكانت من الجهة الشمالية الغربية وانطلقت من الأندلس في القرن 10م، واستطاعوا أن ينشئوا مجتمعا يهوديا قائما بذاته واستغلوا مهاراتهم في تدبير المال.¹

وكانت أرض توات قبلة لكثير من الأسر اليهودية فاستقروا بالمنطقة ليشكلوا الشريحة الثالثة بالمنطقة بعد البربر والعرب، و نزحوا إلى المنطقة لتوفرها على العوامل الأساسية لنشاطهم خاصة الأمن والاستقرار كما تعتبر المنطقة محطة تجارية لمختلف القوافل العابرة لصحراء في الفترة الوسيطة والحديثة خاصة.

فعرف الإقليم هجرات اليهود قبل الفتح الإسلامي فاستقروا بعد نزولهم بمناطق مختلفة من الإقليم مثل " تمنظيط، تيطاف، تاخيف، تاسفوت، تماسخت، ويعود تاريخ دخولهم إلى قصر تاخيفت مثلا إلى أوائل القرن 11هجري وأواخر القرن/16م، وبالضبط 1003ه/1594، واستطاعت هذه الجالية أن تشكل علاقة وطيدة بينها وبين اليهود المستوطنين بقصر تماسخت²، وحسب تاريخ استقرارهم يرجح أنهم من نازحي الأندلس بعد سقوطها.

غير أن شوكتهم علت بتمنظيط فزكت أموالهم بها وسيطروا على التجارة والأسواق فيذكر عبد الحميد بكري نقلا عن محمد بن الطيب "

¹ علي بومدين، الفنون والعادات التقليدية وأهميتها في التنمية البشرية — دراسة نموذجية لمنطقة توات — ، مخطوط رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2009م /2010م، ص 10.

² - A.G.P .Martin , op,cit.p37 .

..انه كان بتمنيط وحدها ما يفوق 363 سائغا يهوديا يبيعون ويشترون في الذهب والفضة .." ¹

ويضيف يحي بوعزيز بقوله " .. وسيطر اليهود في القرون الوسطى على واحات توات وبسطو نفوذهم على كل النشاطات الاقتصادية والسياسية والقضائية ولم يعد لتواتيين أي سلطة في الإقليم.. " ²

وانقسم اليهود في الإقليم إلى ثلاث أقسام :

– يشتمل القسم الأول على اليهود الأصليين الذين كانوا من أهل الذمة والمشرفين على قضايا جالياتهم ، وهم الذين عاثوا في الأرض فسادا بسبب ما كانوا عليه من سوء وتدبير المكائد والأذى للمسلمين، مع أن المسلمين أمنوهم على تجارتهم وأموالهم حتى صاروا في بعض الأزمنة أمناء للتجار يضعونهم على رأس قوافلهم ، لكنهم خانوا الأمانة واقتفوا بذلك اثر أجدادهم وآبائهم. ³

– والقسم الثاني هم كذلك من الأصليين الذين اعتنق آباءهم الإسلام واندمجوا مع المسلمين، وكانوا يترددون على المساجد ويصومون رمضان وكانت تجري عليهم أحكام الإسلام وذلك لامتزاجهم بالمسلمين من سكان البلاد، فاتبعوا الحرف والتقاليد

¹ – عبد الحميد بكري: المرجع السابق ،ص14.

² – يحي بوعزيز :أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة ،ج2 ، ط1 ،دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1995م،ص146 .

³ عبد الحميد بكري،المرجع السابق ،ص14.

الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع التواتي من طعام وشراب ونظافة وطهارة وزي.¹

وفي الأخير نقول أن اليهود كانوا يؤدون شعائرهم الدينية بحرية تامة دون مضايقة من المسلمين وأنهم ملكوا بيع تأسست منذ القديم، كما أن الفقهاء المغاربة قالوا بان الوفاء لأهل الذمة واجب وأباحوا لكل طائفة منهم بناء وحدة لإقامة شعائرها ولكن منعوهم من دق النواقيس².

وبسبب ما كان عليه اليهود من طغيان وسيطرة على مجريات الحياة بالمنطقة خاصة الأمور التجارية، أصبحوا أهل العقد والحل، ذو كلام مسموع ورأي متبوع، يخدعون الناس بالأموال فتبعهم في ذلك الغوعاء فعانى المسلمين منهم الكثير لكن دون ناصر أو معين، لأن أصحاب الرأي بالمنطقة كانوا تحت سيطرة اليهود لما قدمه هؤلاء لهم من أموال ومتاع زائل، واستمر الحال إلى أن قدم محمد بن عبد الكريم المغيلي لتمنيط من قصر أولاد سعيد³ حاملا على عاتقه

¹ عطاء أبو ربية، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر ، ط1 ، أترك للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2005م، ص25.

² كمال أبو مصطفى السيد : جوانب من الحيات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال المعيار المغرب للونشريسي ، مركز الإسكندرية ، مصر 1996. ص . 37.

³ أولاد سعيد هي إحدى قصور منطقة فورارة ، دخل المغيلي لها 856هـ/1452م، وخلف فيها آثار لا تزال باقية إلى اليوم منها، قبر زوجته" زينب" وابنه" علي"، ومسجده، والسوق، ومصلى العيد، والكرسي الذي أقامه في وسط السوق لحل النزاعات، ينظر نور الدين حاج

إنهاء سيطرة اليهود على المنطقة، لكنه وجد معارضة شديدة من قاضي تمنطيط حين إذ وهو عبد الله بن أبي بكر العصنوني (ت1520م¹، فحدث بينه وبين هذا الأخير نقاش شديد حتى وصل إلى خارج حدود المنطقة²، وخارج المغرب الأوسط (الجزائر) أحيانا أخرى³، واتخذ المغيلي من زاويته الكائنة بقصر بوعلى مركزا لمحاربة اليهود الذين استوطنوا بالمنطقة خاصة قصر " تاخيفت " ⁴ وفي النهاية تمكن من وضع حد لسيطرة اليهود لتنتشر المنطقة منهم حتى وإن خرجت آخر دفعة بعد الاستقلال خوفا على نفسها، كما أن هناك من الباحثين من يرى بأنه لا يزال في المنطقة بقايا لبعض الأسر اليهودية ولكن

أحمد، المنهج الدعوي للإمام المغيلي، مخطوط رسالة ماجستير، قسم أصول الدين، جامعة باثنة، 2011، 2010م، ص41.

¹ هو العلامة الجليل سيدي عبد الله بن أبي بكر بن عثمان العصنوني.

² وكان ممن أيد المغيلي في رأيه (أبو عبد الله محمد التنسي "ت899هـ/1493م" و الشيخ

محمد بن قاسم الرصاع "ت894هـ/1488م") مفت الديار التونسية، والذين أيدوا رأي

العصنوني (أحمد بن محمد بن زكري التلمساني "ت899هـ/1493م" و القاضي أبو زكريا

يحي الغماري التلمساني "ت910هـ/1504م" وغيرهم ينظر عبد الله بن حمادي

الإدريسي، المرجع السابق، ص20.

³ و أيد المغيلي من خارج الوطن (العلامة أحمد بن يحي الوشريسي "ت914هـ/1508م"

نزيل فاس)، والذين أيدوا العصنوني من الخارج (العلامة المغربي مفتي فاس أبو مهدي

عيسى بن أحمد الماواسي الفاسي "ت896هـ/1490م" و العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن هلال

السجلماسي "ت903هـ/1497م"). ينظر الشريف ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء

والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908م، ص245.

⁴ . 130 ; cit ; op ; Martin

اعتناقها الإسلام حفظ حقوقهم كغيرهم من المسلمين، لهم مالهم وعليهم ما عليهم.

4- ب – الفرس "البرامكة": استقرت بالبلاد التواتية أيضا بعض القبائل العجمية الفارسية الأصل، وهم المسمون بالبرامكة وقصتهم شهيرة في تاريخ الدولة العباسية حيث نقم عليهم الخليفة هارون الرشيد¹، وكان أعيانهم قد تولوا الوزارة بالدولة يومها، فمن قبضوا عليه كان مصيره الهلاك، ومن نجا منهم تفرق هاربا في البلاد ومنهم هذه الطائفة التي وصلت من بلاد المشرق إلى بلاد توات سنة 656هـ/1258م، كما ذكر ذلك صاحب درة الأقاليم²، وكانوا أنصار للإمام المغيلي بالبلاد التواتية، وهم من أنزلوه بداره وزاويته بوادي بو علي بتوات الوسطى.³

6- ب (الأشراف :

1 البرامكة: هي إحدى القبائل الفارسية كانت على المجوسية قبل اعتناقها الإسلام، واستطاعت هذه الطائفة من أن توسع نفوذها داخل الدولة العباسية، ويعد خالد بن برمك من الشخصيات البارزة في بغداد على عهد الخليفة المنصور، وأدى ازدياد نفوذ البرامكة إلى التناف الناس حولهم دون الرشيد، وتغنى بجودهم وفضلهم الشعراء والأدباء، ولذلك استاء الرشيد من ازدياد نفوذهم واستبدادهم بأمور الدولة دونه فنقم عليهم وانتقم منهم، وحكم الرشيد ما بين (149هـ، 191هـ /766م، 806م). ينظر عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، معالم التاريخ الإسلامي، دار الفكر، القاهرة، د. ت، ص198.

² محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيقي التواتي (ت1374هـ/1955م)، المصدر السابق، ص07.

³ عبد الله حمادي الإدريسي، المرجع السابق، ص425.

وهم آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من بني حفيديه الحسن والحسين ابني سيدتنا فاطمة الزهراء وزوجها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنهم أجمعين، ومن الأشراف بالمنطقة:

7- ب - الأدارسة: وهم من ذرية إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل، واصطاح في بلاد توات على تسيبدهم بتقديم كلمة سيدي عن الاسم، ومنهم من يضيف إلى أسمائهم كلمة مولاي .

قدموا إلى بلاد المغرب بعد موقعة فخ¹، واستطاعوا تأسيس دولة عمرت 216 سنة (172هـ/788م إلى 375هـ/985م)، وأجداد الأسرة الإدريسية الذين تفرعت عنهم السلالة هم أبناء إدريس الأكبر وهم: القاسم ، محمد، عيسى، عمر، أحمد، عبد الله، داود، يحيى، جعفر، حمزة، علي، كثير، وزاد العشماوي عمران، وزاد بعضهم الحسن والحسين)، وتفرعوا ببلاد المغرب الإسلامي فرارا من بطش بن أبي العافية، ويشير لذلك السيوطي بقوله: " خرج من مدينة فاس سبعمائة رحيل من الشرفاء فارين إلى جبال غمرة واثنًا عشر رحيلًا إلى جبال تادلة وسبعة إلى فجيح² وأربعة إلى سجلماسة وعشرة إلى السوس الأقصى وأربعة إلى دكالة وأربعة إلى تامسنا وسبعة إلى اوطاطا

¹ دارت هذه الواقعة بين العباسيين والعلويين بالمشرق ، وتعرض العلويين لنكبة كبيرة راح ضحيتها الكثير منهم حتى أوشكوا على الاندثار، ولهذا فر إدريس الأكبر دفين زرهون فدخل المغرب 172هـ/788م، فاستقر بوليلي ،فبايعه البربر أميرًا عليهم ، واستمر كذلك حتى توفي سنة 177هـ/793م مسموما، وترك زوجته كنزة حاملا في شهرها السابع ، وبعد ما ولدت سموا الولد إدريس الأصغر واصل ما بدأه أباه إلى أن توفي 212هـ/827م معقبا من الأولا د بضعة عشر، ومنهم تفرعت السلالة الإدريسية الشريفة. نفسه، ص428.

² فجيح: فقيق

وسبعة إلى وادي عزة وثمانية إلى الساقية الحمراء وعشرة إلى الأندلس¹

— الأشراف العلويين: سكن هؤلاء الأشراف بلاد المغرب بعد الأدارسة بقرون، وهاجر جدهم المولى الحسن بن القاسم من بلده ينبع النخيل بجزيرة العرب إلى بلاد سجلماسة" تافيلالت" بطلب من أهلها، وهذا في أواخر القرن 07هـ/13م وبالتحديد سنة664هـ/1265م كما ذكره بعض المؤرخين² ، والجد الذي أخذ الأشراف العلويين النسبة إليه هو الولي الصالح مولاي علي الشريف بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل...الحسن المثني بن الحسن السبط ابن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. توفي847هـ/1443م، ومنهم بأرض توات مولاي عبد المالك بن مولاي عبد الله الرقاني³. وفد الكثير منهم إلى المنطقة وامتلكوا البساتين والحدائق التي يعمل فيها العبيد، وبعض المتطوعين من سكان المنطقة، وكان لهم

¹ نفسه، ص 432.

² نفسه، ص434.

³ مولاي عبد الله الرقاني: هو الولي الصالح مولاي عبد الله بن علي بن الزين بن محمد المدعو حمو بن الحاج، كان له كرامات جلييلة توحى برفع قدره عند الله، توفي1148هـ/1735م بزوايته الشهيرة ببلاد رقان أحد دوائر ولاية أدرار، واشتهر بالزهد والعلم والتقوى والعديد من الكرامات الظاهرة، أخذ الطريقة الزيانية القندويسية عن والده مولاي عبد الله. ينظر ابو عبد الله الطالب محمد البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، تح محمد حجي، ط1، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1981م، ص201.

نفوذ وسلطة قوية باعتبارهم حماة للدين.¹ لذلك حرص سكان الإقليم على اكتساب رضاهم والتبرك برؤيتهم وعمل عدة بمناسبة وفاة جد الأسرة الشريفة يختم فيها القراءان ويقدم أصحاب القصر الطعام والشراب لزائرين.

08 – ب – الأشراف القادريون: وهم من بني مولانا عبد القادر الجيلاني دفين بغداد وهو من حفدة سيدنا موسى الجون أخ المولى إدريس الأكبر جد الشرفاء الأدارسة المذكورين، ويوجد بتوات بعض العائلات الشريفة من غير من ذكرنا فصل الحديث عنهم صاحب درة الأقاليم وصاحب نسيم النفحات.

واستقر الكثير من هؤلاء الأشراف بالمنطقة لأجل الدعوة وتعليم الناس، فكان أغلبهم أصحاب زوايا دينية تنورت بها البلاد وسعد بها العباد. فهم أصحاب الرأي والحل والعقد في جميع القصور التواتية، فهم بالنسبة لتواتيين خليفة رسول الله من بعده، وتتجلى فيهم بركته صلى الله عليه وسلم. كما أن الكثير منهم لجأ للمنطقة فرارا من البطش الذي لاقوه في الشمال.

09 – ب – النازحون من السودان " عبيد وأحرار ومحررين " : عرفت المنطقة نزوح أفواج كبيرة من بلاد السودان الغربي، وذلك جراء عوامل كثيرة دفعتهم نحو الشمال، ويعتبر الجوع والفقير إضافة إلى الاسترقاق من ابرز العوامل التي أثرت في ذلك، كما كانت هناك أفواج

¹ - فرج محمود فرج، الجزائر، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب،

1977م، ص46.

أخرى لجأت إلى المنطقة مهاجرة تبتغي أرضاً غير أرضها، أو بدافع طلب العلم بفعل ما كانت تذخر به المنطقة من نهضة فكرية.

ومنهم الأحرار كقبيلة فلان مثلاً وهؤلاء منهم الشيخ محمد باي بلعالم، ومنهم العبيد الذين تم جلبهم من بلاد السودان الغربي عبيد أرقاء، ثم إن هؤلاء العبيد المذكورين من تحرر منهم اصطلاح على تسميته بـ"الحرطاني"، والكلمة هي تصحيف لكلمة "الحر ثاني" أي أنه حر من الدرجة الثانية، وفي هذا يقول السلاوي في الإستقصاء: "واعلم أنه قد وقع في هذه الأخبار لفظ الحرطاني، ومعناه في عرف أهل المغرب العتيق حرثان ثم كثر استعماله على الألسنة فقليل الحرطاني على ضرب من التخفيف"¹.

هذا ومن العلماء من كان يرى في كثير من هؤلاء العبيد السودانيين الحرية وعدم جواز رقهم، وذلك أنهم استرقوا بطريقة مخالفة للشرع إذ كانوا على الإسلام، وإنما اعتدى عليهم بنو جلدتهم ببلادهم فضربوا على رقابهم الرق وهم أهل إسلام، ثم باعوهم بأسواق النخاسة بالبلاد المغاربية، إذ ربما كان يعتقد جل من اشتراهم من التجار أن مجرد السواد هو كاف في جعلهم أرقاء، وفي بيان خصالهم يقول السلاوي: "قد تبين لك بما قصصناه عليك من أخبار السودان ما كان عليه أهل تلك البلاد من الأخذ بدين منذ لدن قديم، وإنهم من أحسن الأمم إسلاماً وأقومهم ديناً، وأكثرهم للعلم وأهله تحصيلاً ومحبة، وهذا الأمر شائع في جل ممالكهم الموالية للمغرب كما علمت، وبهذا يظهر لك شناعة ما

¹ الناصري احمد أبو العباس، الاستقصاء لدول المغرب الأقصى، بتح جعفر الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، 1954م، ج7، ص58.

عمت به البلوى ببلاد المغرب من لدن قديم من استرقاق أهل السودان
مطلقاً".¹

وعموما كان الرقيق من الفئات التي قامت بدور هام في المجتمع
المغربي، فكانت أسواق النخاسة وتجارة الرقيق رائجة في المغرب
الإسلامي بصفة عامة، ويذكر الونشريسي أن بعض الجوارى كنّ يتمتعن
بموهبة الغناء، فيشير إلى أن رجلا من أهل المغرب كان يقتني جارية
تغني في الأعراس وغير ذلك من المناسبات الأسرية السعيدة مقابل اجر
معلوم، ويضيف بأنه لم يكن يجوز لمولاها أن ينتفع باجرها، وكان عليه
أن يتصدق بهذا المال إذا ما توفيت، كذلك تقيد إحدى النوازل بهروب
بعض الرقيق من أسيادهم، ولذا كان السيد يضع في قدم مملوكه خلخالاً من
حديد ليعرف بذلك من رآه انه أبق.²

لكن هذا الخليط المشكل للمجتمع التواتي انسجم في بيئة عرف كيف يتعامل معها
ليلبي حاجيته، فمع مرور الزمن تحول إلى طينة واحدة يصعب الآن التمييز بين
مكوناتها، كما أن هذه التشكيلة توحى بغنى المنطقة تاريخيا وحضاريا واقتصاديا.
فلكل طائفة تشكيلة ذهنية وعرقية تختلف عن غيرها

¹ نفسه، ج5، ص131.

² - كمال أبو مصطفى السيد: المرجع السابق، ص 36.

- الفصل الأول: العادات المرتبطة بدورة الحياة، والاحتفالات بمنصقة توات.

*- المبحث الأول العادات المرتبطة بدورة الحياة والأكل الشعبي.

1- العادات المرتبطة بدورة الحياة..

الميلاد. - التسمية - العقيقة - الختان . - تربية الطفل - الوفاة

2 - عادات وطقوس ما بعد الموت.

رمزية اليوم الأربعين - عادات الحداد والعدة - العادات المرتبطة بالأكل

* - المبحث الثاني: العادات المرتبطة بالاحتفالات.

1 - الاحتفالات الدينية

إحياء مناسبة العيدين - الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

2 - الاحتفالات الشعبية

الزيارات (الوعدة) - الاحتفالات الموسمية

3- الزواج.

الخطبة - العرس

4- الأغاني والإيقاعات الشعبية

- رقصة الحضرة - رقصة البارود - رقصة العبيد (قرقابو). - الطبل

رقصة الركبية - رقصة بابا عاشور - رقصة صار - رقصة الحسانية -

رقصة

التويذة - رقصة برزانة.

المبحث الأول: العادات والتقاليد المرتبطة بدورة الحياة والأكل الشعبي:

1. العادات المرتبطة بدورة الحياة:

ترتبط حياة الإنسان بعدد من الأحداث التي يمر بها خلال أطوار حياته المختلفة، فمن الميلاد إلى الصبا، ثم الطفولة، وبعدها المراهقة، والشباب، ثم الكهولة، وأخيراً الهرم، وأخيراً نهاية الحياة بالموت، فهذه الأحداث التي تمر عليه ويشاهدها جعلته يبتكر مجموعة من القوانين، و يمارس مجموعة من الطقوس للتعامل معها. وسنحاول من خلال هذا المبحث التعرف على أهم العادات والتقاليد المرتبطة بدورة الحياة لدى المجتمع النواتي مثل الميلاد والزواج والوفاة.

1) الميلاد:

كانت فكرة الميلاد بصفة عامة والإنجاب الذي يعد الحلقة الأولى فكرة محيرة لدى الشعوب القديمة، ولهذا حاولت أن تجد لها تفسيرات من مواقعها، وبعد عجزها ربطتها بعالم الغيب وما وراء الطبيعة، كما فعل سكان غابات استراليا " أبوريجنالز " فهم يؤمنون بأن الآلهة تنتشر أرواح البشر على الأشجار وتلقي بها في أعماق المياه الجارية، وحين تختار تلك الأرواح أن تأتي إلى الحياة تلج في أرحام الإناث فيحملن بها،

وهو ما يعني بالنسبة لهم أن هناك قرب وتواصل بين الأنثى والآلهة
المقتصدة"¹

ف نجد أن الأنثى التي تعد الأساس في عملية الإنجاب لها قداسة كبيرة
لدى الشعوب الأسترالية لفضلها الكبير على كل مولود في هذا الكون،
ولأنها تحمل جزء منهم وهو الأرواح، ولهذا أعطت مختلف الشعوب
على مر العصور المتعاقبة مكانة للمرأة، والسبب في منحها تلك المكانة
هو العلاقة الخاصة التي تربط الأنثى بالطبيعة والمتمثلة في الإنجاب
والحمل، فالكثير من الأصنام الأثرية القديمة التي تبقت من العهد الأموي
حين عثر عليها في المعابد والمناسك ضخمت بطن الأنثى وبالغت في
ثديها لأنها رمز الاستمرار والعطاء.²

و للإنجاب أهمية كبيرة على مستقبل المرأة بعد الزواج، فعلى أساسه
تتحدد العلاقة بينها وبين زوجها وأسرته، والمجتمع الذي تعيش في
داخله، فالصينيون القدامى يقولون عن المرأة ذات النسل الكثير أنها
مباركة من الآلهة، وجاء في القانون الموسوي بأن العقم كان معتبرا
قصاصا من الآلهة وهو لا يزول إلا بولادة مولود ، وكان هذا العار

¹¹ عمر رضا كحالة، النسل والجمال، جولة في ربوع التربية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ،

1984م، ج11، ص07.

² نفسه، ص19.

عظيما في عرفهم حتى أن المرأة العاقر كثيرا ما كانت تلجأ إلى التبني إخفاء لعارها.

والإنجاب وظيفة فطرية في كل الكائنات الحية وهي وسيلة لحفظ النوع واستمراره في الحياة ، وترتبط عند الإنسان بكثيراً من الدلالات العاطفية والنفسية، والاجتماعية وبقدر ما هي غريزية عند الكائنات الحية الأخرى فقط، فإن الإنسان يتميز فيها هو أنه يمتلك نوعاً من الإرادة والقدرة على التحكم بممارستها حتى لا تصبح غريزية بدون ضوابط، وبما يحقق الأفضل له ولمجتمعه وللشريعة من هذا الإنجاب.¹

وللأهمية الكبيرة التي يحملها المولود في المجتمع التواتي يحفل جميع أفراد المجتمع به، فيسارعن إلى تهنئة أمه على سلامتها أولاً، وبيباركن لها مولودها متمنين له السلامة والصحة والعافية، فلا يخلوا يوماً بيتها من الزوار والمهنتين، فيحمل الأقارب مساعدات مادية من ثياب وأكل وأموال لأهمهم، والبقية كل يساهم حسب تخصصه فهذه تقدم نصائح في طريقة التكفل بالطفل في صغره، وهذه تقدم أدوية شعبية واصفة طريقة ومواقيت استعمالها، وهذه تحمل معها من بستانها بعض الخضر الموسمية كالبصل والثوم والفلفل... الخ .

¹ عصام فوري وعبد الرحمن بوداقي، السكان نظريات ومفاهيم، دار الرضا، دمشق، 2002م، ص72.

وبعد محاولة اقترابنا من بعض النساء باعتبارهم أصحاب التخصص والأحداث في حقيقتها وكما هي، قصد التتبع و التعرف على بعض العادات الخفية التي لا تظهر للعيان إلا في العالم النسوي، والمرتبطة بالمولود منذ الحمل إلى البلوغ وجدتها في أغلبها كما يلي:

(أ) – **الحمل:** هو البشارة الأولى للأم إذا كان في المرة الأولى، والاستعداد لاستقباله إذا كان غير ذلك، فما أن تشعر به المرأة ويظهر عليها إلا وتتلقى التهاني من أسرتها المصغرة، وبعد ذلك تتصل بأم الزوج وأما لتتعلم منها فنون تربية الطفل وكيفية التعامل مع الحمل، وهم بدورهم يعلمون ما تعاني المرأة خلال الحمل، ولهذا يخفون عنها ذلك بحكاياتهم ونصائحهم، كما أن المرأة تشعر بنوبات نفسية تسمى بالوحم.¹

وبعد أن تكون المرأة في شهرها، وهو الشهر التاسع للجنين تشرع في التحضير لاستقباله وذلك بتحضير ما يحتاجه من ثياب وحليب.

¹ الوحم: هو في المعتقد الشعبي له أهمية كبيرة، ولا يمكن تجاهله بسهولة، فهو عبارة عن خواطر نفسية تمر على مشاعر المرأة أثناء الحمل تشعر من خلاله بالرغبة في الحصول على بعض الأشياء مثل: نوع من الطعام أو الشراب، أو السفر إلى مكان معين، فهو حسب اعتقادهم يعبر عن رغبات الطفل في بطن أمه، وأن من يخالفه سيكون لذلك تأثير على الجنين كتعرضه لتشوه خلقي، أو غير ذلك.

وعطور، ومن ذلك أم الناس¹ والحميرة²، والعباءة التي يلبسها الصبي في يومه الأول وتسمى " أدليق"، أما اليوم فأصبحت مستلزمات المولود تفوق حاجيات الكبير ومن ذلك، مختلف أنواع الثياب والعطور والرضاعة، والخدر، والمحمل...إلخ.

(ب) – الوضع: بعد أن تشعر المرأة بالمخاض وقرب الوضع تتصل بأم زوجها لتخبرها وهذه تتصل بالقابلة والتي تسمى في المنطقة ب" قطّاعة السرة"، وهذا لأنها تساعد المرأة على الولادة، وتفصل جنينها عنها بكل عناية وتتحمل مسؤولية قطع سرتة، ولا يخفى على أحد الخطر الكبير الذي تحمله هذه المسؤولية أمام نقص الأدوية وندرة المراكز الإستشفائية و فقرها للمواد الضرورية إن وجدة، ولهذا أغلب عمليات الولادة كانت تتم في البيوت، فبعد تتبعنا لأغلب المواليد قبل تاريخ 1970م، نجد أنها تمت في البيوت، فبعد أن تقطع له سرتة تقوم القابلة بغسل الصبي، ويكون غسله كغسيل الكبير وهذا حتى يتطهر، وتنشفه بقطعة قماش،

¹ أم الناس: هو نوع من الأعشاب له حبيبات صغيرة، يستعمله النساء في المنطقة لاعتقادهم بأنه يطرد الشياطين ويرفع البأس والشورور.

² الحميرة: هي نوع من الغضار أو الطين يستخرجونه من حفرة تسمى في المنطقة " تفاقزة" وهي تأخذ ألوان مختلفة منها الأحمر والأصفر، وتتميز عن الطين بصلابتها وألوانها الزاهية. وتساعد في تخفيف الآلام.

ويجب أن تكون المرأة التي تقوم بقطع السرة طاهرة، وهذا لأن في اعتقاد سكان المنطقة عدم طهارتها يصيب الطفل بمرض النار الفرسية¹ وإذا كان استقبال المولود بهذه الطريقة، فإن أمه هي الأخرى تأخذ من العناية الشيء الكثير، فبعد أن تضع المولود يقدمون لها وجبة تساعد على تخطي ألم المخاط، وهي: الفياض (البيضة النيئة- الدمشي أو الجلبان)² والسفوف² و الحليب.

وبعد ذلك يقدمون لها بيضة فائضة تكمد بها عينيها، ويذبحون دجاجة بمناسبة هذا المولود، وبعد ذبحها يطوفونها على الصبي حتى يكبر مثلها في اعتقادهم، ثم يطبخونها ويقسمونها كالتالي:

النصف لقطاعة السرة، وجزء للأم والباقي للحضور، ويجب أن لا يبقى منها شيء بعد ذلك اليوم، ولمدة أسبوع في كل يوم يذبحون دجاجة إلى حين بلوغ الصبي أسبوع من عمره، إذا كانت المرأة تلد للمرة الأولى فإنها تقيم عدة النفاس وهي أربعة أسابيع في بيت أمها وأبيها، وأما إذا كان الولد الثاني أو الثالث أو غير ذلك فتبقى في بيتها وأمها هي التي تحضر لمساعدتها.

¹ النار الفرسية: هي تسمية يطلقها التواتيين على مرض يصيب الجلد يشبه البرص ويزيد بوجود حبوب حمراء يشوه الجلد، ويسبب ألم شديد.

² السفوف، هو تمر مكسر بشكل صغير، ويكون قاسي، وهذا حتى يحافظ على طبيعته ولا يتعفن، وتكون عادة من التمر الجاف، ويستحسن التمر الأبيض.

(ج) - الوليد: تعنتي المرأة التواتية بابنها وتعطيه عناية كبيرة، فنجدها تصونه من جميع الأضرار والشورر الجسمية والنفسية، منذ اليوم الأول من ولادته فساعة يخرج إلى الدنيا تغسله غسل الطهارة حتى يكون طاهرا من جميع الشورر والأنجاس و الآثام، ثم يؤذن له في أذنه، فيكون هذا الأذان من دون صلاة لتؤجل هذه الأخيرة إلى يوم وفاته المحتوم، وهذه إشارة إلى أن حياته ما هي إلا الوقت الفاصل بين الأذان والصلاة، ثم تصعد به أمه إلى السطح وتفتح له عيناه في الشمس حتى يرى جيدا وتكبر عينيه في اعتقادهم.¹ وبعد ذلك تطوف به في البيت والسطح لاعتقادهم، أن فعلهم لذلك يجنبهم اختلاط ابنهم بابن الجان الذين يسكنون معهم في البيت، ثم يبخرون حبوب من عشبة أم الناس في البيت، وبعد ذلك تعود به أمه لتضعه في خدرها و تتعهده لمدة شهر.

¹ هذه العادة ربما تعود لبقايا تقديس الشمس لدى المجتمع البربري الجزائري قبل دخول الديانات السماوية، فطالما ألهمت الشمس الشعوب فرأوا فيها رمز الخصوبة، فعندما تأمل المصريون خصوبة أرضهم غير العادية أدركوا بغير شك أن النيل والشمس مسئولان عن هذه الخصوبة، ومن هنا فقد كتبت السيادة الإلهة التي ارتبطت بهاتين القوتين الطبيعيين، فالإله رع كان هو الذي يمثل أساسا قوتها في مجمع الإلهة، وقد استخدم المصريون لفظ "رع" كاسم يعني الشمس...، كما أن المجتمع البربري عبدوا الشمس والقمر ومثلوا الشمس بقرني الثور، ولقد اتخذوا لقرصها تمثالا يضعونه على رأس صورة تيس كما دلت على ذلك الآثار. ينظر جفري برنارد، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يناير 1978م، ص 39. وينظر مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د.ت، ص121.

ومن عادات بعض سكان المنطقة أنهم إذا ولد لهم مولود تطلق طلاقة بارود تقاؤلا بأن يكون شجاعا وباسلا لا يهاب المدافع، ثم يغرز مسمارا في المكان الذي سقط فيه المولود ولا يغسل إلا بعد مرور سنة ، ولا يحلق شعره إلا بعد مرور أربعين يوما ، مع أن السنة تقول يوم سابعه يغسل ويطهر، ولا يراه أحدا إلا إذا كان من أهله مدة أربعين يوما معتقدين أنه يصاب بمكروه، وهذه من العادات السيئة التي عرفتھا المنطقة وكانت من وضع اليهود كما بين ذلك الشيخ أحمد باي رحمة الله عليه¹

(2) - التسمية: تعتبر التسمية من سنن الله الأولى، وقد سمي الله - عز وجل - آدم وحواء يوم خلقهما، وعلم آدم الأسماء كلها، فقد جاء في التنزيل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾² ، ولقد اختلف الفقهاء في الأسماء التي علمها آدم ، فقال بعضهم علم اسم كل شيء، وقال بعضهم الآخر: هي الأسماء التي يتعارف بها الناس مثل: إنسان، دابة، بحر،

¹ احمد باي، محاضرة تتناول التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها بمناسبة مرور 486 سنة على وفاة الشيخ المغيلي، مخطوط خزانة كوسام ، أدرار،ص19.

² سورة البقرة، الآية30.

سهل...الخ، وقال آخرون إنما علم آدم اسماً خاصاً من الأسماء، وقيل بل علم آدم أسماء ذريته.¹

وتختلف أسماء البشر على مر العصور وعلى اختلاف لغاتهم، وإذا أمعن النظر في سور القرآن الكريم نجد أن الله تعالى تولى بنفسه اختيار بعض الأسماء لأنبيائه، فمثلاً اختار الله لنبيه يحي عليه السلام هذه التسمية، فيقول تعالى: ﴿يَزَكَرِيَّاءَ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ إِسْمُهُ: يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾² كما سمى الله سيدنا عيسى عليه السلام كذلك.

وكان من عادة المجتمعات العربية تسمية المولود البكر إذا كان ذكراً باسم جده، والأنثى باسم جدتها، أو عمتها بحيث ترتسم في الأسرة الجديدة أسرة الأب الراغب في تخليد أبويه عبر أبنائه وبناته، وفي جميع الأحوال نجد في التراث الشعبي تفضيل الاسم الموحى بالخصوبة، والخير، والجمال خاصةً دون غيره.

وتسمية المولود في المجتمع الجزائرية عامة، والتواتر خاصة لها أهمية كبيرة، حيث يتولى ذلك الأب أو الجد، أو المعيل، وقد تلجأ بعض الأسر إلى طلب تسمية مولودهم من أحد الرجال الذين يتوسمون فيهم

¹ شفيق الأرنؤوطي، قاموس الأسماء العربية، دراسة شاملة للأسماء العربية ومعانيها ودليل الأبوين في تسمية الأبناء، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1994، ص06.

² سورة مريم، الآية07.

الصلاح والبركة، عسى أن يعود ذلك على المولود بالخير والبركة، وغالبا ما يتم تسمية أول مولود ذكر ب " محمد" والأنثى " فاطمة الزهراء"، ومن العادات أيضا إطلاق على المولود اسم الشهر الذي صادف يوم مولده مثل: رجب، شعبان، رمضان، ذو الحجة...إلخ، كما يسمى " ربيع" نسبة لفصل الربيع، أو نسبة للأعياد الدينية، مثل: العيد، عاشوراء، المولد النبوي، وإذا ولد يوم الجمعة يسمى بوجمعة...إلخ.

كما يشيع تسمية المولود نسبة للولي الصالح الموجود في القرية أو المنطقة، وأشهر هذه الأسماء " عبد القادر" الذي يتواجد ضريحه في أعظم المدن، والقرى، و" الطيب" نسبة لشيخ الطريقة الصوفية الكثيرة الانتشار في المنطقة، وهو الشيخ مولاي الطيب الوازاني...إلخ

وهذه العادة سائدة في أغلب المدن الجزائرية على السواء، فمثلا: مدينة الجزائر يشيع فيها اسم " عبد الرحمن"، وإسمي "الغوتي" و" بومدين" في تلمسان، واسمي "أحمد" و" أحمد الكبير" في البليدة، واسمي " براهيم" و" الغبريني" في شرشال، و" أحمد" و" بن يوسف في " مليانة" و" بركان" و" الصحراوي" في المدينة، و" علي" و" مبارك" في القليعة...، ومن الأسماء التي تخص منطقة دون أخرى نذكر الأسماء القبائلية مثل: آكلي، أمزيان، قاسي...، ومن الأسماء الشائعة في وادي ميزاب نجد: بكير، زكري، عدون، حمو، باكلي...

إن تسمية المولود في منطقة توات تأخذ بعد تاريخي بالدرجة الأولى، فإذا توفي جد الأسرة أو والد الأب فإن تسمية ابنه تكون كتسمية أبيه، وهذا تعبيراً عن الوفاء وتخليداً للوالد. ويتم اختيار أحسن الأسماء للأبناء، كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم مع أبنائه وأصحابه، فعن أبي موسى رضي الله عنه أنه قال لما ولد له غلام أتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسماه إبراهيم فحنكه بتمرّة ودعا له بالبركة ودفعه إلي¹

تقليداً وامتثالاً لسنة المصطفى اهتم التواتيون بالتسمية، من الأسماء المفضلة عندهم نجد:

— الذكور: محمد و أحمد ، عبد القادر، وعبد الرحمن وعبد العالي...
وشمس الدين ونور الدين وعز الدين... و بوجمعة.

والعبيد كانت لهم تسميات خاصة تميزهم عن الأحرار مثل: بوجمعة و رابح فراجي وبركة و مولود ومسعود و عبد النبي...إلخ.

— الأنثى: عائشة، فاطمة، كلثوم، خدوجة، فاطمة الزهراء، مبروكة خيرة، الطاهرة، الكاملة، حدهم...

أما العبيد فلهم تسميات خاصة تميزهم عن الأحرار مثل ميمونة فرجية ، مسعودة.

¹ الزبيدي، مختصر صحيح البخاري، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 2013، ص453.

من أكثر الأسماء شيوعاً في المنطقة هو اسم النبي " محمد " صلى الله عليه وسلم، أو أحد أسمائه التي عرف بها مثل: مصطفى، الطاهر، البشير، الحبيب...، ولقدسية هذا الاسم في المجتمع الإسلامي والجزائري على الخصوص، ومحبة للرسول صلى الله عليه وسلم، يتخرجون من تسمية آبائهم بهذه التسمية خشية أن يرتكبوا قبيح فعلاً فيجعل الناس يشتمونهم، أو يسبونهم فيكونون قد شتموا اسم الرسول صلى الله عليه وسلم، فاحتاطوا للأمر، واهتدوا إلى طريقة يجمعون بواسطتها بين الوفاء للنبي(ص)، وبين التنزيه لاسمه الشريف على أن يناله سوء أو أذى ، فكان أسم المولود " محند " وهذا الاسم تشتهر به منطقة القبائل.¹

ولقد حاول الاستعمار الفرنسي طمس الثقافة الجزائرية من خلال تشويه أسماء وألقاب الجزائريين، وحاول الحط من بعض الأسماء المقدسة في العرف الإسلامي مثل اسم فاطمة، حيث يطلق بلا تمييز اسم فاطمة على كل عاملة في بيوتهم² ، واسم محمد على كل عامل استهانة بهذين الاسمين الشريفين.

ولو نظرنا عن قرب إلى التأثير اليهودي الفرنسي في منح الألقاب، والأسماء لوجدنا أثر للعنصر اليهودي، فقد جاءت فلسفة

¹ محمد الهادي الحسني، مجلة الشروق اليومي، إخبارية وطنية، العدد 320، الأربعاء 2001، ص24.

² Frants Fanon. Sociologie dune revolution: lan v de la revolution Algerienne . parisM Francois. Maspero.1966.p40 .

المستعمر أن تشكيل الحالة المدنية هو عمل يهدف إلى إسقاط الجنسية والهوية، والمصلحة كانت في تحضير أرضية للصهر بمعنى آخر فرنسته بكل جرأة، ونذكر في هذا الصدد على سبيل المثال بعض الأسماء التي تعرضت للتحريف فنجد: أحمد (أميدي) ، خميس (كاميل)، بن عمار (برنار)، شارف (شارل)، لحسن (لنسل)، مريم (ماري)، جنات (جانيت)، سليمان (سيمون)... إلخ¹، والشواهد كثيرة ومن ذلك أن اللقب " فرعون" للكاتب مولود فرعون كان من وضع الإدارة الفرنسية، وأن لقبه الحقيقي هو " آيت شعبان"²

ويتم اختيار الاسم في المنطقة في اليوم السابع، وذلك بحضور العائلة والأحباب والأصحاب، ويسمى الابن الأول للأسرة على جده من أبيه إذا توفي ، ويكرهون تسميته باسمه وهو على قيد الحياة ذلك أنه ينذر بوفاته وخلافته، ونفس الشيء مع البنت فكانت تسمى لجدها لأبيها، وقد تتخذ السماء أبعاد أخرى فمثلا إذا ولد المولود يوم الجمعة يسمى (بوجمعة) والبنت (جمعة) ، وإن ولد يوم العيد يسمى (العيد)، وفي رمضان سموه (رمضان)...

¹ عيسى شنوف، يهود الجزائر، 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة، الجزائر، 2000، ص214..

² Bouzar Wadi. La mou vance et la pause : regards sur la societe algérienne(essai). T.2.ALGER :SNED ;1983 ;P131 .

وفي يومنا هذا أصبحت التسمية مجانية لكثيراً من ذلك ، فدخلت أسماء جديدة للقاموس اللغوي للمنطقة، وهذا بفعل الحداثة وامتزاج الثقافات وتقارب المجتمعات ومن هذه الأسماء: نسرين، هدى، صوفيا، شريهان...

3) طقوس التضحية المرتبطة بيوم السابع (العقيقة):

قبل أن يشرع الإسلام الأضحية للمولود، اهتم الرجل العربي في الجاهلية بذلك وإن كان القصد والنية مختلفة، فلقد اعتاد عرب الجاهلية أن يتركوا للآلهة شيئاً من المحصول عند أول قطاف ، ويقدمون لها المولود الأول من بعض الحيوانات، فاعتقد العربي قبل الإسلام بأنه لا يمكن الانتفاع بابنه البكر دون تقديم تضحية.¹

فقد ساد الاعتقاد أن الطفل ملك للآلهة ، ولهذا يقدم المولود الأول كضحية للآلهة استغفارا، وتكفيرا عن تعديه على ملكها، وحيث أن كل ملك أي كل جديد هو للقوى الغيبية، فعلىنا قبل استعمال هذه الملكية الإقرار للآلهة والاستغفار رداً على انتفاعنا مما هو لها.

ولقد سادت هذه الظاهرة في العديد من المجتمعات البدائية والقديمة، فانتشرت عند بعض قبائل الهنود الحمر في منطقة الإكوادور، وبعض

¹Chelhod(Goseph). Le sacrifice chez Les arabes : recherches sur l evolution des rites de sacrifice en arabes occidentale. Baris :PUF ;1955 P100 .

أجزاء مصر القديمة، وبلاد الرومان بشكل مبالغ فيه ، وعند قدامى العبريين.¹

وبعيدا عن تلك التفسيرات الظنية للشعوب القديمة حول العقيدة، نجد أن الإسلام قد جعل الاهتمام بالمولود الجديد ورعايته من أبرز سمات الأسر المسلمة، حث عليها الرسول صلى الله عليه وسلم. ورغب فيها، ومما روي عنه: عن سلمان بن عامر الضبي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مع الغلام عقيقة فأهريقوا عنه دما وأميطوا عنه الأذى²

ومما ذكره الونشريسي عن عادات سكان بلاد المغرب في الاحتفال بميلاد أطفالهم، بأنهم كانوا يعدون العقيقة، وهي وليمة تتكون من أحد الخراف ونوع من الحلوى اشتهر بها المغاربة وتسمى العصيدة، ويطعم من ذلك الفقراء وأقارب وأسرة المولود احتفالاً بقص أول خصلة من شعر الطفل في اليوم السابع لولادته³

¹ مصطفى الخشاب، دراسات في الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص68.

² نفسه، ص453.

³ كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص47.

بعد إتمام الوليد أسبوع من عمره في المنطقة تقام له وليمة يدعى إليها الأقارب والأحباب وبعض سكان القرية ومن عادات سكان المنطقة فيه ما يلي:

بالنسبة للمولود يغسلونه ويطهرونه ثم يبخرون له عشباً نوم الناس ويطلون جسمه بالحميرة الممزوجة بالبيض، ثم يقطعون له شعرة من رأسه ويعلقونها مع نوم الناس.

ويوم العقيقة يذبح خروف وتقدم وجبة عشاء للأقارب والضيوف وسكان القرية، كما أن هناك من يستغل الفرصة ويستدعي بعض الفقهاء لختم القرآن في بيته وقت العشاء مع الدعاء، وتتكون الوجبة من: الكسكس، و اللحم، والبيض والسلطة، ونوع من الفاكهة الموسمية.

واتخذت أضحية العقيقة أبعاد أخرى في بعض المجتمعات فهناك من يضع تحت لسانها قطعت ملح، والأخطر من ذلك أن هناك من يسرق دم الشاة ليستعمله في أعمال سحرية.¹

كما عرفت المنطقة بعض العادات السيئة بشأن العقيقة – التي لم يبق منها إلا الشيء اليسير للدور الكبير الذي قام به العلماء والدعاة في محاربتها والتتكير على فاعلها – ومنها أنهم إذا ذبحت يقومون بدفن

¹ عبد الله مزيان، الأبعاد التربوية في عادات وتقاليد أهالي مغنية ونواحيها، مخطوط رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2003-2004م، 26.

ربعها في التراب، وفي بعض القرى يطبخون الربع الأمامي دون فصل العظم عن اللحم يأكله الأبووان، ويعلقون العظام في سقف البيت، ومنها إعطاء الرأس والجدد للقابلة أجرة، ومنها تعليق جلدها على حائط الدار.

وبخصوص الحلاقة، فكانوا يتركون جزء من الشعر في مقدمة الرأس، ووسطه، وخلفه لأولادهم، وهذه الفعلة قد نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم لما فيها من التشبه باليهود.

(4)- الختان: الختان من السنة والفطرة، التي حث عليها الإسلام، ودعا إليها، وما يؤكد ذلك في السنة، ما حدّث به أبو بكر بن أبي شيبة، وعمرو الناقد، وزهير بن حرب جميعا عن سفيان قال أبو بكر حدثنا بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الفطرة خمس أو خمس من الفطرة الختان والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب.¹

بعد بلوغ المولود مرحلة معينة يُقدم والده على ختانه، وتسمى هذه العملية في العرف الشعبي بالطهارة وكأن الفتى يتطهر، وهذه العملية

¹ الزبيدي، الزبيدي زين الدين أحمد بن عبد اللطيف، مختصر صحيح البخاري، ط2، دار الإمام مالك، الجزائر، 2013م..

قديمة تعود لعهد الفراعنة كما ذكر ذلك أحمد أمين، وسبب حرصهم على ذلك أنه بقي الأطفال من الأمراض.¹

يحرص التواتيون على الختان ويفضلون بلوغ الصبي سن السابعة أو حتى العاشرة أحياناً، وبعض الأسر في الفترة الحالية تختن أولادها في الأيام الأولى من حياته، خاصة إذا كان مريضاً.

وينطلق الاحتفال بالختان منذ الصباح الباكر ، فيتطهر الصبي ويرتدي عباءة بيضاء واسعة، ثم يخلق له رأسه، ويوضع له الكحل في عينيه، والحناء في يديه وقدميه ويعلق على ساق قدمه بعض التمام لتقيه من الشرور، كما توضع بعض الأعشاب التي يعتقد في المنطقة بأنها تقي هي الأخرى من الشرور.² ، ثم يستدعى الطبيب والذي يسمى "الزيان"³، وهو عادةً اكتسب هذه الحرفة إما عن أجداده أو عن طريق الممارسة دون أن يتلقى تكويناً أكاديمياً، ويستعمل وسائل بسيطة على رأسها موس حاد يلفه في كتانه تقيه من الأوساخ، وزيت اليتون، ليعقم الجرح، وقطعة قماش لإيقاف النزيف الدموي، ويجلس الطفل قديماً عند

¹ أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، مؤسسة هنداوي، مصر، 2013م، ص194.

² اسم هذه العشبة هي نوم الناس: وتكون عبارة عن حبيبات صغيرة الحجم تنبت في بساتين السكان وسنشير إليها في الجناح المخصص للملاحق.

³ يسمى الختان بمنطقة توات، بالزيانة، وكأن الفتى يتزين بهذه العملية.

إجراء الختان على مهراز¹ ، ليساعد على سيلان الدم دون توسخ الصبي، ومما يعاب على الختان قديما في المنطقة أن الصبي بعد ختانه يترك لمدة والدم يسيل منه دون أن يوضع له أي معقم ليساعد على إيقافه ، وهو ما يعرض الطفل لنزيف حاد يصيبه بالدوار أحيانا، وكانت العناية الإلهية حاضرة في إيقائه على قيد الحياة، وبعد انتهاء العملية يقدم للطفل وجبة تساعده على استعادة قوته، وهي مكونة من سبعة بيضات ، وقطعة كبيرة من اللحم تسمى " القصير " ، وأكلة المرود، وبعد ذلك ترغرد النساء وتمدح أحد النساء الطفل وعائلته، وتغنى النساء بعض الأهازيج ومن ذلك قولهم:

المُخْتَارِ يَا الْمُخْتَارِ الحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ.

وتقام مأدبة يدعى إليها الأقارب والأحباب، وكبار سكان القرية إذا كانت العائلة ميسورة الحال. وعادة إكرام الضيوف بهذه المناسبة نجدها عند أغلب سكان بلاد المغرب كما وضح ذلك الونشريسي، مما يؤكد التشابه الكبير بين عادات وتقاليد سكان بلاد المغرب بأكملها² ، وإذا كانت العائلة ميسورة الحال فإنها تستدعي بعض الفرق الفولكلورية للمشاركة في هذه الحفلة مثل، فرقة البارود أو قرقابو(العبيد).

¹ المهراز: هو أداة خشبية تستعمل لتهريس التمر الجاف، ويصنع من الخشب.

² كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص47.

يفضل سكان المنطقة أن يختنوا أبنهم مع إخوته، أو أحد أقاربهم، وهذا لغرض تخفيف المصاب على الطفل من جهة، وتخفيف التكاليف من جهة أخرى، فبعد نهاية الحفلة يترك الأولاد في غرفة خاصة ليتلقى الرعاية من أمه أو جدته، وبعيدا عن الضوضاء، ولتلقى التهاني على بلوغ الطفل هذه المرحلة، ذلك أن الختان يعد فاصلا بين مرحلة الطفولة والمراهقة في أغلب الأحيان.

ولأهمية هذه العملية تحرص عليها أغلب المجتمعات الإسلامية كما هو الأمر لدى المصريين الذين يعمدون بعد ختان ابنهم – خاصة الطبقة الكبيرة والوسطى – ومن عادة المصريين قديما أنهم كانوا يلفون القطعة التي فصلت من الولد في منديل ويوضع عليها ملح حتى لا تتعفن ويربط المنديل في عنق الولد على شكل عقد حتى إذا شفي من هذه العملية رماها في النيل أو في الخليج¹

ويعد الختان ذو أهمية كبيرة عند المجتمعات السامية، ومن ذلك اليهود الذين يشترطونه في الزواج، حيث لا يطالب بالزواج إلا الرجل المختون، الذي في اعتقادهم ارتبط بالله مضحيا له بدمه، ويتلقى بالمقابل منحة إلهية: إمكانية عقد الزواج²

¹ أحمد أمين، المصدر السابق، ص194.

² نور الدين طوالي، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيه البعيني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م، ص44.

6- تربية الطفل:

إن تربية الطفل والعناية به نفسياً وبدنياً كانت من الأساسيات التي حفظها الدين وأقرتها المجتمعات على مر العصور، فأوجبت على الوالدين إطعام الصبي وكسوته وإرضاعه على قدر المستطاع، وأكد ذلك القرآن الكريم ، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضْعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنِ تِرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُنَّ أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّفُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝¹

فالشرع ضمن كفالة الصبي وجعلها على عاتق والديه، وفي مقابل ذلك أكد وأوجب إحسان وبر الولد لأبيه وأمه عند كبره وطعنهما في السن ، وعن عادات سكان توات في العناية بأبنائهم فإنها كانت تتم حسب مستوى العائلة الاقتصادي، كما أنها اختلفت من فترة زمنية إلى أخرى وذلك على حسب تغير المستوى المعيشي لسكان المنطقة وسعة وقدرة الأسرة. وبعد سؤال أمهاتنا عن عاداتهم في القيام بهذه المهمة

¹¹ سورة البقرة، الآية 233.

الرئيسية كانت إجاباتهم متقاربة وهناك اختلافات طفيفة من منطقة إلى أخرى فوصفوا لي ذلك بأن:

تستقبل الأم التواتية مولودها بفرح وسرور، وهي بذلك تسهر على حمايته وتربيته نفسيا وبدنيا، وبسبب عدم توفر مادة الحليب الجاف الموجودة في أيامنا هذه كانت الأم قديما تقدم حليب الأغنام لأبنائهم ، وكانوا يفضلون حليب الماعز للذكور وحليب النعاج للأنثى¹، وهذا بعد حليب الأم بالتأكيد. والوسيلة التي يقدم له فيها ذلك الحليب هي إناء من الطين له فم صغير لعدم توفر الرضاعة الحالية.

وأما بخصوص اللباس فكانت عباءة خفيفة تسمى " أدليق " تخطها الأم لابنها قبل ميلاده، وبسبب البرد الشديد الذي كان يجتاح المنطقة خلال السنوات الماضية كان هذا اللباس غير كافي لوقاية الصبي منه، فابتكرت المرأة التواتية وسيلة تحمي بها طفلها وتؤكد عبقريتها المتواضعة، فكانت تظلي صبيها بشحم الأغنام وزيتها، فكان الزيت يشكل طبقة على الجسم تحمي جلده الرقيق والحساس من البرد الشديد، ولكن مع ذلك توفي الكثير من الصبيان بسبب البرد الشديد وفاقة والديه.

¹ سبب ذلك يعود إلى رغبة الأمهات في اكتساب الذكر بعض صفات الماعز وهي الخفة والحركة والقوة، والأنثى بعض صفات النعاج وهي الترزن والتعقل والهدوء. وهذا تأكيد صريح على اهتمام الأم بمستقبل رضيعها وخوفها عليه.

واجتهدت المرأة التواتية كذلك في تربية ابنها ووقايتها نفسيا من الشرور والعين الحاسدة، ولهذا كانت تعلق له في قدميه أو يديه أو على صدره عدد من التمام والصدف والأعشاب، فتجد بعض الصبيان يحملن على صدرهم حرز من القرآن ، وفي قدمهم عشب نوم الناس التي قلنا سابقا بأنها في معتقد المنطقة تقي من العين والشرور، وتبخر هذه العشب في المنزل وتعلق فيه ، وهذا لأن الصبي أكثر عرضة للشرور من الكبير، وتبقى الأم إلى جانب صبيها فترة طويلة ونادرا ما تفارقه.

كانت هذه بعض عادات التواتيين في تربية أبنائهم في زمن عازتهم فيها الوسائل الضرورية ناهيك عن الكمالية للقيام بهذه المسؤولية العظيمة، وفي يومنا هذا نجد أن هناك اختلاف طفيف عن الماضي، ويبدو ذلك واضحا في لباس الصبي وغذائه، فأصبحت ولادة المرأة تتم في المستشفى ونادرا ما تلد في البيت وهذا ما يقلل من احتمال الوفاة، وأصبحت أمّ اليوم تسهر على توفير لباس صبيها قبل ميلاده للفضل الذي قدمه العلم في تعرف الأبوان على جنس صبيهم ذكر أم أنثى، على غرار الوسائل فإن باقي الأمور التي أشرنا إليها – الاهتمام بالجانب النفسي – بقيت على حالها بسبب تحكم العرف فيها والأم هي التي تشرف على تعليم ابنتها فهي بذلك تنقل إليها عادات وأبائها قبلها وكأنها نصوص محفوظة مقدسة تنكر على ابنتها مخالفتها. وذلك لقوة العرف " فالعرف القبلي عبارة عن ميثاق ينظم المجموعة القبلية لما

فيه مصلحتها ومصلحة أفرادها ، فهو يشمل مختلف مراحل الحياة من زواج وطلاق وطعام ولباس وقضايا جنائية وغير ذلك مما يمسك السلوك العام، ويتخذ مصدره من سيرة الأجداد، ويطبق بفعل الضغط الذي تمارسه المجموعة على الفرد وكل من خرج عن الأعراف لفظته الجماعة¹

وبعد بلوغ الطفل سن الخامسة يدخله أبوه الكتاب ليتلقى العلوم الشرعية من قرآن وحديث وفقه، وإذا ظهر منه قوة حفظ وجدية في التعلم أخذه أبوه إلى إحدى المشايخ بالمنطقة لينتمي إلى زاويته القرآنية و يواصل تحصيله للعلوم الشرعية – سنتحدث عن عادات سكان المنطقة في التعلم في الجانب المخصص لذلك – كما يسهر الأب على تكوين ولده لمواجهة معترك الحياة فينقل إليه حرفته কিفما كانت الفلاحة أو البناء أو الصناعة... والأم هي الأخرى تحرص على تكوين ابنتها لتحمل مسؤولية البيت من طبخ وتنظيف، وصناعة اللوازم الضرورية من أطباق وأفرشة.

¹ ابراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر

المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ص240.

وإذا ولد المولود معاقا أو تأخر في المشي، فتتكفل مجموعة من النسوة بوضع الصبي في قفة ويملئونها بالحلويات، ويطوفون به في القصر عبر منازل الحي ثلاث مرات، وهن يرددنا:

يا عماتوا ياخالنوا طلقوا ليه رجيلاتو لهذا الشي
مابغي يمشي

وكثيرا ما كانت هذه العملية تنتج ويستعيد الطفل عافيته ويتمشى على قدمه، ويلعب إيمان النسوة بنجاح هذه العملية دور كبيرا في ممارستها والاهتمام بها والحفاظ على استمرارها.

إذا كان الولد كثير المرض وخشي عليه أهله، فإنهم يبيعونه للعبيد ، وتتم العملية بأن يحضر رجال العبيد¹ ويأخذون في الرقص، ثم يطلبون من أبيه أن يعاهدهم على أن لا يأكل هذا المولود شيء من الأشياء المباحة شيئا واحدا فقط مثل الكبد أو الرأس²، وبهذا يصبح المولود ملك للعبيد يدفع أهله مكافأة لهم سنوية قد تكون نقدا أو من المنتجات الزراعية. وإذا لم يقوم بذلك يصاب المولود بمرض ويعود لحالته القديمة، وهذه العادة من العوائد التي دخلت المنطقة من البلاد

¹ العبيد: هو مصطلح يطلق على رجال يختصون بممارسة أحد الرقصات الشعبية الفولكلورية، وموطنهم الأصلي هو دول الساحل، مثل دولة مالي والتشاد ، والنيجر...قدموا للمنطقة بحثا عن حياة أفضل.

² أحمد باي، المصدر السابق، ص20.

الإفريقية والتي جلبها معهم الأفارقة الذين استقروا في المنطقة مع غيرها من العوائد الأخرى.

ومن العوائد الشنيعة كذلك ما يزعمون أن الولد إذا لم يبلغ العام الواحد وتجاوز فقارة البلد الأخيرة يقع له ضرر كفقد أحد أعضائه، أو مرض أو موت.¹

(6) - الوفاة:

إن أبرز الحقائق التي يؤمن بها جميع الناس دون استثناء ، هو اعتقادهم الجازم بأنه سيأتي اليوم الذي تنتهي فيه الحياة بالموت، وهذا الأخير لا يفرق بين الكبير ولا الصغير، ولا الصحيح ولا المريض، ولا العاقل ولا المجنون، ولا يقتصر على مجتمع أو بلد دون آخر، مصداقا لقوله تعالى: " كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ " 2 .

ولذلك هو الحقيقة والتجربة التي يمر عليها الجميع، لهذا السبب شغلت الموت لفترة طويلة العقل البشري، فابتكر لها الطقوس والشعائر التي يشيع بها موتاه، فأصبحت شغله في حديثه وتفكيره كما يشير لذلك الأستاذ سمير عبده بقوله: "... قلما تخلو عبارات الإنسان اليومية من ذكر الموت حتى أن ما من فيلسوف إلا وتفلسف في هذا الموضوع، كما أنه ما من رجل دين إلا وذكرنا بيوم الممات، وما ينتظر الإنسان

¹ نفسه، ص19.

² سورة العنكبوت، الآية 57.

نتيجة أعماله، والموت في كل ذلك يحصدنا يضحك علينا يبكيها في
أجمل لحظة نحيها مع من نحب...".1

فالموت نهاية محتومة وقدر، لكنه يعد سر ولغز ورهبة وغموض
ومجهول، ولهذا تتعامل معه العقلية العامية بالتجاهل والنسيان وربما
واجهته بالنكتة والاستطراف ، أو الأغنية والأشعار والأهازيج، بل ربما
جعلت الموت موضوعاً قصصياً غريباً عجبياً وممتعاً وتلك كلها
وغيرها آليات تعتمد إليها الذهنية الشعبية في محاصرة خوفها ورهبتها
من ذلك المجهول.2

وهذه الحقيقة تعاملت معها كل الشرائع باختلافها السماوية والوضعية
مثل الإسلام واليهودية والنصرانية والبوذية والهندوسية ، لكن لكل
عادته وطقوسه في التعامل معها، فمثلاً البوذية رغم كونها من الديانات
الوضعية الضالة إلا أنها تعتقد بوجود حياة بعد الموت يعاقب فيها
الإنسان على أخطائه ويكافأ على حسناته.

فيعبر عن ذلك الدكتور محمد عبد الرحمن مرحباً بقوله: " يؤكد
البوذيون الثواب والعقاب والمسؤولية في حياة أخرى غير هذه الحياة

¹ سمير عبده، التحليل النفسي لقوة الاستدلال وتخيل الأحداث قبل وقوعها، ط1، دار علاء
الدين، دمشق، 1994م، ص18.

² زازوي موفق، الطقوس الجنائزية في منطقة تلمسان، مخطوط رسالة ماجستير، قسم الثقافة
الشعبية، جامعة تلمسان، 2001-2002م، ص01.

حتى أنهم يكفرون كل من يعتقد بأن الموت من شأنه أن يضع حدا
لحياة الإنسان 1 .

إن العادات والتقاليد المرتبطة بالموت بمنطقة توات خصوصا
والعالم الإسلامي عموما عرفت جملة من التغيرات بفعل التأثيرات
الكبيرة التي عرفتها المنطقة بسبب المذاهب والتيارات الفكرية والدينية
التي عرفها العالم الإسلامي، ولهذا تجد تعارضات كبيرة في المنطقة،
بين متمسكا بالشرع معارضا للابتداع، وآخر متمسكا بتقاليد الأجداد وإن
كان فيها تعارض مع الشرع، و يؤكد هذا الاختلاف الفكري في المنطقة
العربية الأستاذ علي أحمد سعيد بقوله: " لقد دخلت إليه - المجتمع
العربي - عناصر تنوع وتعدد ومنظومة من التناقضات أي من
التوترات ... هكذا نرى الصوفي إلى جانب الفقيه الشرعي، وألف ليلة
وليلة إلى جانب علم الكلام والفلسفة، والنزعة الشعبوية إلى جانب
النزعة القومية، والفكر الإلحادي إلى جانب الفكر اللاهوتي، وهذيان
الحلم والرؤيا إلى جانب الحكمة العملية والتعقل.2

وسنحاول الوقوف على أهم المراحل التي يمر بها الفرد التواتي من
قبيل الوفاة إلى الوفاة ثم إلى العزاء والتشييع، وهذه المراحل هي:

¹ محمد عبد لرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط3، ديوان
المطبوعات الجامعية، الجزائر، منشورات عويدات، بيروت، 1983م، ص66.

² أدونيس علي أحمد سعيد، الثابت والمتحول - بحث في الإلتباع والابتداع عند العرب،
الأصول، ط4، دار العودة، بيروت، 1983م، ج1، ص03.

(أ) - عادات الاستعداد للموت:

كما قلنا سابقا في التمهيد بأن الموت هي حقيقة يؤمن بها الجميع، ولهذا يعيش الفرد التواتي حياته كلها وهو في استعداد لها، ويظهر ذلك في قلة تمسكه بالدنيا ، واستعداده للرحيل منها، فيميل إلى البساطة في أكله ولباسه ومسكنه، ومن عاداته في التحضير للموت نجده يشتري كفنه بنفسه، ويحرص على إحضاره من البقاع المقدسة إذا سمحت له الفرصة وحظي بالذهاب لأداء فريضة الحج، وإن لم تسمح له الفرصة يوصي من يحضره له، وبعد حصوله عليه يضعه في مكان عزيز عليه، أو بين ثيابه الخاصة، كما يستعد لهذا بأن يحرص على كتابة وصيته ، فيستدعي أحد أئمة القرية ليملي عليه وصيته، وكان من عادة بعض التواتيين كما هو حال كثير من المسلمين بأن يوصي قبل وفاته بوقف للمسجد يعد له صدقة جارية بعد وفاته ومن الأشياء التي يوصون بها: البساتين (الجنة) ، أو منازل قديمة قريبة من المسجد، أو مصاحف، أو كتب...

ولأن الموت حقيقة تخيف الإنسان حاول أن يجد لها تفسيرات كثيرة ليخفف من خوفه، ويتنبأ بحدوثها، ولهذا هناك الكثير من الأحلام التي يفسرها التواتي بأنها علامة للموت ومثالا على ذلك: إذا رأى النائم في حلمه حقل من القمح وهو جاهز للحصاد كان هذا دليل على موت أحد في تلك القرية ، أو رأى في حلمه شخص يذبح جملا أو شاة ويقسمها أجزاء، أو رأى حفل زفاف في أحد البيوت فهذه إشارة إلى أن هناك جنازة ستحل في ذلك البيت، وأحلام بالعكس كمن رأى في منامه رجل توفي فهذه إشارة لطول عمر الشخص وامتداده، وذلك أن الأحلام حسب

المعتقد التواتي تأتي متخالفة ومعكوسة. وإذا شعر الفرد بقرب أجله استدعى أحد الأئمة ليملي عليه الوصية الأخيرة التي يقسم فيها أملاكه وفق الشريعة الإسلامية، وبعد الفراغ من كتابة الوصية يحتفظ بها صاحبها، أو يتركها لدا الشيخ الذي أملاها عليه، وهذا يحتفظ بها، ويكتم ما جاء فيها سراً إلى حين وفاة صاحبها، وبعد وفاته يسلمها لكبير أولاده الذي يجمع أخوته ويقتسمون تركة أبيهم بالتراضي.

(ب) – **الاحتضار ولحظة الموت:** بعدما يشعر الفرد التواتي بقرب أجله، والذي عادة ما يكون بعد مرض عضال يستدعى أهله وأقاربه إذا كانوا يسكنون في قرية بعيدة عن المكان الذي يقطن فيه المريض، وهذه اللحظة يحرص عليها الأبناء كثيراً لأن أبيهم يدعوا لهم فيها بدعوة الخير التي تقوم عليها حياتهم فيما بعد ، ويفرد له أهله غرفة خاصة لا يدخل عليه في اللحظات الأخيرة إلا الأخيار عسى الانتفاع ببركتهم في هذا الوقت الحرج من عمر الإنسان، يشرع الحاضرون في قراءة بعض السور مثل سورة "يس" " وتبارك" و يلقنونه الشهادة، وذلك بترديد لا إله إلا الله محمد رسول الله لعله يتذكرها وتكون آخر كلامه من هذه الدنيا. وبعد خروج الروح من الجسد يستدعى أحد الكبار من القرية والذي له دراية بمعرفة الوفاة وخروج الروح من الجسد، وبعد تأكيده لموت الفرد، يشاع الخبر في القصر ويحدد مكان ووقت الصلاة عليه، وعادة يكون الدفن مباشرة بعد الوفاة. وخبر الوفاة سرعان ما ينتشر بين سكان القرية، ومن الوسائل التي يعتمد عليه في إشاعة الخبر، التصريح بذلك في المسجد بعد نهاية الصلاة في مختلف مساجد المنطقة القريبة من مكان الجنازة ، أو يشاع الخبر من الإذاعة المحلية. وحين ذلك تحضر

بعض النساء القريبات من المتوفي ويبكين على الجثة ، وفي هذا
تتشرك الكثير من المجتمعات كما ذكر ذلك مثلا عالم الانثروبولوجية¹
راد كليف عن إشاعة الخبر في إحدى جزر العالم وهي الاندمان بقوله: "
فإن خبر الموت سرعان ما ينتشر وتتجمع النسوة حول الجثة ويبكين
بصوت مرتفع."2

ب) - طقوس إعداد الميت:

- **الغسل:** بعد خروج الروح من الجسد يشرع أهل الميت في
التحضير للدفن وأول عمل يقومون به هو غسيل الميت، ويكون ذلك من
قبل رجال ثقات في المجتمع يعرف عنهم الصلاح وكرمان السر،
وبالنسبة للمرأة تغسلها نساء مثلها، ويغسل بالماء إضافة إلى القطن ،

¹ الأنثروبولوجيا Anthropology: إن لفظة أنثروبولوجيا هي كلمة إنكليزية مشتقة من
الأصل اليوناني المكون من مقطعين: أنثروبوس ، Anthropos ومعناه " الإنسان، " Locos
لوجوس .ومعناه " علم " ، وبذلك يصبح معنى الأنثروبولوجيا من حيث اللفظ " علم الإنسان "
أي العلم الذي يدرس الإنسان ،. ولذلك تعرف الأنثروبولوجيا، بأنها العلم الذي يدرس الإنسان من
حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة
..ويقوم بأعمال متعددة، ويسلك سلوكاً محددًا؛ وهو أيضًا العلم

الذي يدرس الحياة البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدًا
على تطوره عبر التاريخ الإنساني الطويل. ينظر عيسى الشماس، مدخل إلى علم الإنسان)
الأنثروبولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م، ص13.

² علي محمود إسلام الفار، الأنثروبولوجية الاجتماعية، الدراسات الحقلية في المجتمعات
البدائية والقروية والحضرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1976م، ص78.

ويضاف لهما الحنوط الذي يتشكل من الكافور¹ وبعض العطور الأخرى، ويرى بعض الباحثين بأن هذه العملية تعد امتدادا للتحنيط² لدى الفراعنة وهذا الباحث هو فاخر عبد الواحد فيقول: " ولعلنا نجد بعض بقايا عادات التحنيط وطقوسه في طقوس وعادات دفن الموتى حتى الوقت الحاضر لاسيما في مصر ، ومنها رش العطور ووضع البهار وبعض المواد الحافظة على جسم الميت"³، والحنوط أكدته السنة فعند وفاة الرجل المؤمن يبعث الله إليه ملائكة، فأخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: " إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع عن الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن

¹ الكافور: هو مادة تستخرج من شجرة الكافور التي هي طويلة السيقان بيضاء الأزهار خضراء الأوراق ينمو أغلبها في اليابان والصين وتايوان، ويستخدم، في مستحضرات التجميل، والأدوية، ويستعمل روح الكافور كدواء مطهر، ويستخدم الباراكلورفينول الكافور أحيانا كدواء قاتل للجراثيم، ينظر الموسوعة العربية الميسرة إصدار 2004م، مادة كافور.

² التحنيط: يبدأ التحنيط عادة بشكل عام عقب الوفاة مباشرة لكن في بعض الحالات كانت تؤجل لحين أن تبدأ الجثة في التآكل، فالمحنطون يستدعون لمنزل الميت ويضعون الجسد على منضدة، ويأخذونه إلى معلمهم الذي كان عبارة عن خيمة تسمى مكان التطهير أو " المنزل الطيب"، وكانت تستمر الإجراءات إلى سبعة أيام، وتبدأ بغسل جسد الميت بماء النيل، ثم تنزع الأجزاء الرخوة، والتي هي أكثر الأعضاء قابلية للتآكل، ويغمر الجسد في ملح النترون، ثم ينقع ويغشى بالزيوت، والدهون والعطور، وتوضع عليه مختلف التمام، ثم يلف بحرص في لفائف الكتان، ويوضع في التابوت... للمزيد ينظر يارو سلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر أحمد قدرى، دار الشروق، القاهرة، 1996م، ص 144.

³ فاخر عبد الواحد عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، دار الكتاب للطباعة والنشر، بغداد، 1979م، ص 241.

وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى جلسوا منه مد البصر، ويجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها الروح الطيبة أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من السماء..."

وأما ذو الروح الخبيثة من الكافرين والمنافقين فقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضبه، فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول...1

ومن خلال الحديث يتضح لنا أن الحنوط من الأمور المحببة للمؤمن فلو لم يكن كذلك لما أحضره معهم الملائكة من الجنة، و الحنوط الذي يضعه التواتيون على الجسم ليس بقصد حفظ الجسم، ولكن لغرض التطهير وإعطاء الجسم رائحة زكية لأنه سيلاقي ربه في حياة أخرى برزخية، وأثناء الغسل يجلس عدد من القراء لترديد سورة يس إلى حين نهاية الغسل، وبعد الانتهاء يغطي الجسد بقماش أبيض يسمى الكفن ويترك في مكان بارد حتى لا يتعفن إلى حين حضور وقت الصلاة، ومن عادة بعض التواتيين أنهم يضعون على نعش الميت قطعة من الحديد وقاية لها من الأرواح الشريرة والجان.

– الدفن والصلاة على الميت:

¹ رواه أحمد، قال المنذري رواه محتج بهم في الصحيح، الترغيب والترهيب. ينظر ابو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004م، ص 223.

حين حضور وقت الصلاة يجتمع المصلون في ساحة واسعة قرب المقبرة، لأن من عادة التواتيين في تخطيط القصور، والهندسة العمرانية للمنازل أنهم يضعون بجانب المقبرة ساحة كبيرة لهذا الغرض، ثم يُحضر الميت بعض الأفراد من أهله أو من أصحاب القرية وهم يرددون في طريقهم إلى المقبرة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، يحضر المصلون إلى مكان الصلاة قبل إحضار الميت بنصف ساعة تقريبا لتلاوة بعض السور من القرآن، وهذه السور هي " يس ، الواقعة، تبارك ، والجزء الأخير من القرآن" وحين وصول وقت الصلاة يقف الجميع ويخطب فيهم الإمام خطبة صغيرة يفتتحها بقول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْفِيئَةِ مِمَّا زُكِرْتُمْ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ بَغْدًا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ (ربع) ﴿١﴾ ، ويذكرهم بالموت وفناء هذه الحياة وهوانها على الله سبحانه وتعالى، و يصلي على الميت، وبعد نهايتها يرفع المصلون أكفهم بالتضرع والدعاء لله سبحانه وتعالى سائلينه الرحمة والمغفرة لهم وللميت، وبعدها يحمل أهل الميت ميتهم إلى القبر الذي يكون قد أعد سابقا، وعن عادة أهل المنطقة في حفر القبر أنهم يحفرون قبر يتسع للميت يحفره أحد المتطوعين مقابل أجر، وبعد النهاية من حفر القبر يتركون فيه المعول إلى حين وضع الميت معتقدين أنه تسكنه الجن 2 ، وعند وضع الميت في القبر يهب الجميع لتقديم المساعدة فهذا يقدم الماء وهذا التراب وهذا اللبن... إلخ، والقبور في المقبرة متساوية إذا لا يبني

¹ سورة آل عمران الآية رقم 185.

² أحمد باي، المصدر السابق، ص 20.

السكان على القبور ، ولهذا سرعان ما تخفي معالمها مع مرور الأيام فلولا الحجرتان اللتان توضع إحداهما عند الرأس والأخرى عند القدم ، لما تعرف المار على القبر، كما يضع السكان قرب الحجرة إناء أو صحن يضعون فيه حصى صغير يقرؤون عليها الفاتحة، ويضعون على طول القبر جريدة من النخيل خضراء لعلها تخفف عنه من العذاب، وبعد ذلك ينصرف المصلون كل إلى شغله.

– وضع الشواهد:

الشواهد وهي الأحجار التي توضع على قبر الميت، وسميت كذلك لأنها تشهد على شبيهة الرجل في الإسلام، وإذا كان ولد ولم يتزوج توضع له حجرة واحدة، والمرأة تثبت حجرة الشاهد التي عند قدمها بشكل مخالف لما هو عند الرجل للتمييز بينهما.

وتكون الشواهد من حجارة عادية عبارة عن صفائح، مسننة في الرأس، وقديما لم تكن تعلم تلك الشواهد بأي كتابة، وهو ما يؤدي إلى صعوبة التعرف على القبر بعد مرور فترة من الزمن خاصة إذا كان أهل الميت لا يزورونه، ولهذا قلد سكان منطقة توات غيرهم في تعليم الشواهد بأن يدونوا عليها بعض المعلومات عنه ، وتعرف في بعض المناطق " الرويسات"، وهي تتدرج ضمن المصروف الذي خصص للجنائز، أو قد يقدمها الأقارب والأصدقاء لأهل الميت كمساعدة لهم إذا كان مستواهم المادي ضعيف أو كهدية تقدم للميت من قبل من كانوا يحبونه.

يكون الشاهدان على شكل المسجد أي: صومعتان تتوسطهما قبة مصبوغة بالأبيض، ومكتوب عليها بالأسود مع إدخال بعض الألوان على الزخرفة كالأخضر والأحمر في بعض الأحيان، أو تترك باللون الأبيض فقط، وتكونان مصنوعتان من الأسمنت، أو الرخام.

يكتب على الشاهد الرأسي البيانات المرتبطة بالمتوفي، أما الشاهد من جهة القدمين فيكتب عليه آيات قرآنية تكون على شكل أدعية كقوله

سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٣٢﴾ ارجعي إلى ربك راضيةً مرضيةً ﴿٣١﴾

﴿بَادِئِ فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٥٧﴾ ١﴾ ، أو ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِفَةٌ الْمَوْتِ ثُمَّ إِنَّا نُرْجِعُونَ ﴿٥٧﴾ ٢﴾... الخ.

أمثال هذه الآيات تكتب ليقراها كل مار على قبر المتوفي ليتذكر مصيره بعد هذه الحياة، وعظةً يتعظ بها، كما أنها تخفف من مصاب الجدد في ميتهم، فتبين لهم بأن فقيدهم ما كان ليخلد، وأنه قد سبقهم ولحق بمن كان قبله، وأنهم صائرون حتماً إلى ما صار إليه، أما عبارة " يا واقفا على هذا القبر ادع لصاحبه أو (لنا) بالرحمة والمغفرة، فكأن أهل الميت أو هو نفسه يترجى الحي بدعوة أو قراءة من تيسر من القرآن.

وإذا كان ما هو مكتوب بالخط العريض على الشواهد عبارات موحدة في عمومها نجد بعضها يختص بصيغ وعبارات كتبت من أهل الميت ،

¹ سورة الفجر، الآية، 32.

² سورة العنكبوت، الآية 57.

أو بطلب منه شخصيا قبل وفاته، فمثلا كتب على قبر النبي صلى الله عليه وسلم: " يعذب الميت ببكاء أهله عليه"¹

وقد يكون ما كتب بعض الأبيات الشعرية التي تحمل الكثير من الأمل، وعدم القنوط من رحمة الله تعالى، ومثال ذلك: بعض الأبيات من قصيدة البردة للإمام البصري:

يَا نَفْسِي لَا تَقْطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ إِنَّ الْكَبَائِرَ فِي الْغُفْرَانِ
كَاللَّمَمِ²

والمقبرة بمنطقة توات موحشة خالية من كل نبات أخضر على عكس بعض المقابر في الشمال³، ليتعظ الحي بأنه سينتقل من دار عامرة إلى دار خراب موحشة. وندكر قول الإمام علي كرم الله وجهه:

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت أن السعادة فيها ترك ما فيها

¹ زهيرة ديابي، المرجع السابق، ص 154.

² البصري، البردة، تق التيجاني المحمدي، مكتبة المنار، تونس، د.ت، ص 30.

³³ تغرس في المقابر أعشاب خضراء تعرف في المنطقة بـ " اللوأي"، وهو نبات آخر يحمل أزهارا تسمى بزهرة الخردل، وكلاهما يتكاثر بسرعة فائقة فيشكلان متعة للناظر لذلك يحرص أفراد المجتمع الشعبي خاصة العامة على الإكثار منه، وتعهد سقايته كلما أتاحت لهم الفرصة لزيارة موتاهم، ويغرس في بع المقابر نبات "الصبار"، وكان اختيار الأهالي لهذا النوع من النباتات بدافع اعتقادي يتمثل في انعكاس الصبر والسلوان على الميت من جهة، وعلى أهله من جهة أخرى، وسمى الصبار بهذه التسمية لاحتماله المناخ القاسي، وصبره عن الري بالماء، فيبقى أخضر يانعا لأطول فترة، حتى لو أهملت رعايته، وتركت سقايته لأن الإخضرار يستفيد منه الميت في تخفيف العذاب، وهذا المعتقد مستمد من قصة الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه عند مرورهما بأحد القبور... ينظر زهيرة ديابي، المرجع السابق، ص 156.

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها
فإن بناها بخير طاب مسكنه
أموالنا لذوي الميراث نجمعها
أين الملوك التي كانت مسلطنة
فكم مدائن في الآفاق قد بنيت
لا تركننا إلى الدنيا وما فيها
لكل نفس وإن كانت على وجل
المرء يبسطها والدهر يقبضها
إنما المكارم أخلاق مطهرة

إلا التي كان قبل الموت بانيتها
وإن بناها بشر خاب بانيتها
ودورنا لخراب الدهر نبنيتها
حتى سقاها بكأس الموت ساقيتها
أمست خرابا وأفنى الموت أهلها
فالموت لاشك يفينا ويفنيها
من المنية أمال تقويها
والنفس تنشرها والموت يطويها
الدين

07- عادات وطقوس ما بعد الدفن:

بعد الانتهاء من الدفن يشتغل أهل الميت في إعداد الطعام لإكرام الضيوف وأهل القرية ، وهنا تنقسم منطقة توات لقسمين، فقسم يتعامل مع هذا الأمر الجلل الذي ينزل على أهل الميت بأن يشتغل أهل البلدة بإكرام المعزين ومصاريهم، ولا يشعل أهل الميت النار في بيتهم لمدة ثلاثة أيام ويأتيهم الطعام من عند سكان القصر، وقسم آخر يترك كل شيء على كاهل أهل الميت فهم الذين يكرمون الضيوف، وغير ذلك.

لمدة ثلاث أيام يقرأ سكان القرية القرآن على الميت، فيحضر الطلبة وحفظة القرآن إلى بيت الميت بعد صلاة العصر في الغالب، ويقتسمون القرآن فيما بينهم أجزاء حسب الحضور، ويقدم لهم أهل الميت التمر والحليب ووجبة خفيفة مشكلة من المرق بالعدس أو غيره، والملفوف، وهذا حسب طاقتهم ووسعهم، وفي الليل يكون عشاءهم عند هم) عند

عائلة الميت)، وبعد الانتهاء من العشاء يدعون للميت وأهله، وتكرر هذه العملية لمدة ثلاث أيام.

ومن بدع¹ الجنائز في توات ما يسمى بـ "صباح" لقبور أو التاعموت، وتسمى في بعض الأماكن من المنطقة بالعود، وهو صباح الأيام الثلاثة التي تعقب الدفن حيث يخرج أهل الميت إلى المقبرة لزيارة ميتهم ومعهم عدد من سكان القرية، وهم يحملون معهم التمر والحليب والكسكس، وتسمى هذه العملية في المنطقة (بالعود) وذلك أنه حسب اعتقاد سكان المنطقة في اليوم الثالث تقع عين الميت. وتكون السلكة² في هذا اليوم.

1 – رمزية الأربعين في معتقد الشعوب وأهل المنطقة:

وهو مرور أربعين يوماً على دفن الميت، لأنه ربما وافاه الأجل خارج بلده، أو بقي في مكان يسمح للجثة بالمحافظة على خصائصها دون التعفن – كما يفعل اليوم مثلاً في وضع الجسم داخل الثلجة – فالعبرة عندهم بيوم الوفاة في مثل هذه الحالات.

¹ هناك عوائد عديدة لا يدري لها أصل من الدين ولكن مالا يعد مخالفة صريحة للشرع فقد أمضاه العلماء. ينظر. عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها الطباعة العصرية، الجزائر، 2010م، ص 25.

² السلكة: هي ختمة كتاب الله في يوم واحد، وتكون القراءة سرية، يقوم بذلك في المنطقة "الطلبة" مع بعض تلامذتهم الذين يحفظون القرآن الكريم، وتكون القراءة سرية، فيتم تقسيم القرآن إلى أجزاء كل جزء مشكل من (05 أحزاب) أو (حزبان)، وأثناء ذلك يقدم لهم رب البيت وجبة خفيفة تعينهم على مواصلة الدراسة، وكمؤشر على ترحيبه بهم واحتفائه بالقرآن الكريم. وعند الختام يدعوا الطالب والحضور لرب البيت بالمغفرة وسعة الرزق.

فالعدد أربعين يحمل معاني كثيرة في الدين الإسلامي، والتفكير الشعبي، فكثيرا ما يتكرر هذا العدد في السنة النبوية، والقرآن الكريم، فذكر الله تعالى هذا العدد إشارة إلى مدة الميعاد الذي كان بين الله وسيدنا موسى عليه السلام فيقول تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيفَتُ رَبِّهِ ۚ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾¹

وورد ذلك في السنة النبوية كثيرا، ومنه قوله النبي في وصف المراحل التي يمر بها الجنين في بطن أمه ، قبل أن يؤكد ذلك العلم الحديث – فتعالى الله الذي علم نبينا الأمي فخرا وتشريفا، فيقول عليه الصلاة والسلام:

عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم – وهو الصادق المصدوق – : ﴿إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات، بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد، فو الله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها﴾²

¹ سورة الأعراف، الآية 142.

² رواه البخاري ومسلم.

كما اهتم صحابة رسول الله صلى الله عليه بهذا الأمر، ورجبوا فيه ،
ومن ذلك قول عمر لرجل: كم رابطت؟ قال رابطت ثلاثين. قال: ألا
رابطت أربعين.¹

أما المجتمع الشعبي فيذهب في اعتقاده إلى كون الأربعين يوما هي
مرحلة انتقال من وضع إلى آخر، ومن مرحلة إلى أخرى سواء تعلق
الأمر بمناسبة الولادة، أو الوفاة ، فالتشابه الكبير بينهما يمكن أن نسجل
أن هناك علاقة غريبة بين طقوس الموت، والميلاد لا يكاد يربط بينهما
إلا الباحثين في الفلكلور مثل طقوس " أربعين الميت"، وأربعين الولادة،
وهي الفترة التي ينقطع فيها الدم عن المرأة قبل أن تعود لها خصوبتها،
وأربعين الميت التي يعاد فيها إحياء ذكراه

ولعل لهذا الاعتقاد جذور قديمة، وبالتحديد إلى الحضارة الفرعونية،
حين سخر الإنسان المصري آنذاك تفكيره للعمل لما بعد الموت أي
للعالم الآخر، يقول أحمد رشدي صالح: " وإن كان الاحتفاء بالأربعين
في حادث الميلاد يرتبط باستعادة الوالدة صحتها، فإننا نجد فيما قرأنا
وسمعنا سببا ظاهرا للتشابه بين " أربعين الولادة"، و"أربعين الوفاة"
إلا أن يكون هناك ثمة علاقة قديمة اعتقادية عند بدء الحياة الدنيا
الأولى وبدء الحياة الأخرى"²

يذهب الفرد الشعبي المذهب نفسه حيث يجعل مدة الحداد ترتبط
بفترة بدء الحياة الأخرى للميت، وهي أربعين يوما، فقبل هذه المدة
الزمنية لا تزال روحه مرتبطة بعالم الأحياء.

¹ سعيد حوى، تربيئنا الروحية، دار عمار، بيروت، 1989، ص144.

² صالح رشدي، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3، 1974م. 248.

ب - بعض الممارسات الفعلية المرتبطة بهذا اليوم:

في يوم الأربعاء لوفاة الشخص يقوم الأهل على دعوة بعض الأقارب، والأحباب، وسكان القصر الذي كان يسكنه المتوفى، حيث تقام وضيمة، ترحمًا على الميت، ووقتها اليومي يختلف باختلاف الفصول فتكون في الصباح " في الشتاء والربيع" وفي الليل " في فصل الصيف، والخريف" وهذا خوفا من البرد، والحر.

فيدعوا أهل الميت بعض "الطلبة" وحفظة القرآن الكريم لختم القرآن ترحمًا على الميت، وابتغاء المغفرة والثواب، فيقرؤون ذلك بعد صلاة العصر في العادة إذا كانت الدعوة للحضور في الليل، ووقت الضحى إذا كانت الدعوة للحضور في النهار، والوجبة التي تقدم في العادة متوسطة تتكون من :

الكسكس باللحم ، بعض الفاكهة الموسمية. وبعد الانتهاء يدعو الحضور للميت بالمغفرة، وحسن الثواب.

وبعد مرور أربعين يوما على وفاة الميت يكرم أهل الميت جميع سكان القصر والضيوف، ويسمي أهل المنطقة هذه العملية بالسلكة الكبيرة (الفاتحة الكبيرة).

ج - عادات الحداد والعدة:

إذا توفي ذكر أو بنت أو امرأة مطلقة ليست تحت كفالة رجل يعد لها زوجا، فهؤلاء ليس فيهم خلاف فعزاهم يتم بشكل عادي، أما إذا توفي زوج المرأة فإنها تعدد لوفاته عدة أقرها الشرع و تسمى المعتدة في اللهجة التواتية (الرابطة)¹

¹ الرابطة: وذلك لأنها ترابط في بينها ولا تخرج منه إلا بعد تمام العدة.

وتمكث المرأة المتوفى زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام عدة لزوجها في بيتها لا تبرحه إلا لضرورة كمرض مثلا، وخلال هذه المدة تتردد عليها النساء لزيارتها والاطمئنان عليها ، وخلال هذه الزيارة تحضر لها النسوة معها مساعدات مادية متنوعة منها: بعض المحاصيل الفلاحية الموسمية كالبصل والقمح والتمر والبطيخ والكاكاو أو مبالغ مالية كل حسب استطاعته، وعندما تنتهي مدة العدة يقام لها احتفال كبير تغير من خلاله ملابسها بعد خروجها مع النسوة لمكان مخصص لذلك يطلق على هذه العملية محليا بأن " تلوح لباسها"، ويردد النساء عند خروجهن مع الرابطة:

أعطوا الطريق لمسعودة

وفي منطقة تميمون وضواحيها يقال نفس الأغنية غير أن ذلك باللهجة الزناتية فيقولون:

أوشتْ ابريدْ

وبعد انتهاء ارتدائها لملابسها الزاهية اللون تعبيرا عن انتهاء مدة الحزن يفسح لها المجال للتعبير عن سعادتها ، ويجول بها النسوة في كامل أنحاء البلدة مثل العروس، ليعيدها إلى منزلها بعد غروب الشمس.

II. العادات المرتبطة بالأكل الشعبي:

يعد الأكل والشراب أساس الحياة، لأن الإنسان لا يستغني عنهما، ولهذا أبدعت الشعوب في تحضير غذائها وتأمينه، فتنقل الإنسان من مكان لآخر بحثاً عن قوته وتوفيره، فكان قوته بسيطاً يتكون من الثمار، والأعشاب، واللحم، ومع مرور الزمن تطورت معيشة الإنسان وتنوعت، وتكيفت مع بيئته الجغرافية وابتكر لها أغذية تساعد على ذلك، فغذاء الذي يعيش في الصحراء ليس هو نفسه عند الساكن في القطب المتجمد الشمالي، و غذاء الساكن قرب البحر ليس شبيهه بغذاء من يبعد عنه، وكما يختلف حسب البيئة يختلف حسب الدين والأعراف، فقيدت الديانات غذاء الإنسان، فرغبت في البعض منها، وحرمت البعض الآخر، كما حرم الإسلام، والديانات السماوية أكل لحم الخنزير، وشرب الخمر. ودعا إلى الأكل من الطيبات من الرزق فقال في ذلك الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَّالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾¹.

والمجتمع التواتي كغيره من المجتمعات له بعض الخصوصيات في غذائه تميزه عن غيره من المجتمعات، وتجعل له خصوصية بين المجتمعات، وإن كان هناك بعض التشابه في البعض منها كالكسكس والحريرة(الحساء) كون هذه الوجبة من تقاليد المجتمع الجزائري. فالاختلاف يكمن في المواد التي تستعمل في تحضيرهما، وطريقة التحضير.

¹ سورة البقرة، الآية 167.

سنحاول من خلال هذه الدراسة تقديم وصف لبعض الأكلات الشعبية بالمنطقة، وطريقة تحضيرها، والمواسم التي تقدم فيها، ومن الأكل الشعبية مايلي:

(1) – الكسكس: هو سيد الأطباق الجزائرية التقليدية بل هو أهمها، ويكثر استعماله على كامل تراب الولاية، ويتناوله الفرد التواتي يومياً، ويسمى في المنطقة العيش، والطعام، ويعد الوجبة الرئيسية في أغلب المناسبات بالمنطقة، ويتم تحضيره من قبل النساء بطريقة جماعية، و ذلك بأن يجتمع النساء في بيت صاحبة الدعوة.¹ والتي تحضر لهم الدقيق والسميد وقليل من الملح، والماء، ويحضر النساء معهم بعض الأدوات² لتساعدهم على تشكيل حبيبات الكسكس، وبعد الانتهاء من تحضيره يتم تفويره في قدر كبير بواسطة بخار الماء، تسمى هذه العملية التعصار.³ وبعدها يصبح جاهزاً يتم تعريضه لأشعة الشمس ليحفظ، وبعد ذلك يملأ في أكياس ، ويدخر.

ويقدم بعد طبخه مع المرق بالخضر واللحم ، وخلال المناسبات يضاف إليه البيض المسلوق، مع الملفوف.⁴

(2) – كسكس الشعير: هو شبيه بالكسكس المشكل من القمح إلا أنه يضاف إليه قمح الشعير أثناء تحضيره، ويحضر بنفس طريقة تشكيل

¹ هي المرأة التي تدعو النساء ليحضروا لها الكسكس.

² ومن تلك الأدوات الغربال بمختلف الأحجام والأشكال. و صحن كبير من الحديد يسمى في المنطقة القسري. وملعقة كبيرة وبعض الأطباق المصنوعة من سعف جريد النخيل.

³ اطلقت هذه التسمية على هذه العملية وذلك أن الكسكس بعد تحضيره يحتوي على كمية كبيرة من الماء، وخلال هذه العملية يتم عصره لتتبخر منه تلك المياه.

⁴ الملفوف، هي الكبد مع الشحم تشوى على النار ، ويضاف إليها بعض البهار.

الكسكس العادي، إلا أنه يحتاج لكمية كبيرة من السمن، ويفضل تناوله مع اللحم، ويكثر تناوله خلال شهر رمضان لأنه يقوي على الصوم ويساعد على مقاومة الجوع والعطش.

3) خبز أنور: هو كذلك أكلة شهية تشتهر بها المنطقة ، ويحضر بدقيق القمح المعجون بالماء، وقليل من الملح ، ويتم طهيه بطريقتين إما في التتور¹، وبعد إشعال كومة من الحطب في داخله تشتد سخونة جوانبه، وهو ما يساعد على إنضاج الخبز بعد بسط العجين على جوانبه بسمك رقيق، ولهذا يسمى بالخبز الرقيق، ويترك هذا لمدة من الزمن ثم ينزع بواسطة سكين ويوضع على طبق تضعه المرأة بجانب التتور لتجمع فيه الخبز، وتكرر هذه العملية لعدة مرات حتى تكمل كمية العجين التي أحضرتها، ومع مرور الزمن تخلت المرأة تدريجياً عن التتور واستعملت صفيحة من الحديد يتم تسخينها على الفرن المعتمد على الغاز، وهناك طريقة أخرى يتم فيها الاعتماد على القلة الطينية²، وتتم هذه العملية بأن تشعل المرأة النار داخل القلة، ثم تمرر على سطحها العجين بشكل سميك، ويترك هكذا لمدة من الزمن، وبعدما ينضج الخبز تنزعه المرأة بشفرة حادة، أو سكين.

¹ التتور: هو قدر من الطين ، يوقد في داخله نار وبعد تسخين جوانبه يوضح عليه العجين لينضج ويكون خبزاً قابلاً للأكل بعد إضافة المرق إليه.

² القلة، هي إناء مصنوع من الطين كانت تستعمل قديماً في تبريد الماء، ولكن بعد ذلك استعملتها المرأة التواتية في طهي الخبز.

وبعد الانتهاء من المرحلة الأولى وهي تحضير الخبز تشرع المرأة في تحضير المرق، وتتشكل هذه الأخيرة من الخضر، واللحم، والتوابل التي توضع داخل قدر وتمزج بالماء، وبعدما تتضج يوضع الخبز في صحن ويسقى بتلك المرق، ويكون السقي ووضع الخبز بالتوالي، وفي الأخير يوضع اللحم فوق الخبز. ويقدم للأكل.

(4) - طبق الكسرة: وهي أيضا تعد من الأطباق التي تحتل الصدارة في الأكل الشعبي التواتي، وهي تحضر بدقيق القمح، وتطهى في بعض الأحيان بالرمل الساخن، ويتم ذلك بأن توقد المرأة النار فوق صخرة دائرية مسطحة حتى تسخن، وبعد ذلك يوضع العجين على تلك الصخرة وتشعل عليه النار، حتى يتماسك ويحترق الجزء الأعلى وهذا ما يمنع التصاق التراب بالعجين، وبعد ذلك تضع المرأة التراب الساخن على العجين، ويترك هكذا لمدة من الزمن حتى تتضج، ثم تمسحها المرأة من التراب، وتهيئها للأكل بأن تقسمها لقطع صغيرة في صحن ثم تصب عليه المرق، وبعد ذلك تقدم باللحم في الغالب. والكسرة تكون محشوة بالخضر واللحم أحيانا، وأحيانا تسقى باللبن المعد بطريقة خاصة.

(5) - طبق المردور: هو شبيه بالكسكس لكن حباته غليظة، ومن خصائصه أنه يمزج بالمرق المحتوي على الحمص.

(6) - خبز الشعير: هو شبيه بخبز القمح لكنه سميك عليه، ويشكل عادة من الشعير، وبعد تحضيره كما يحضر الخبز يقطع إلى قطع صغيرة، ويمزج بالمرق بعد ذلك، ويسمى هذا الخبز في المنطقة بالتنكال.

(07) - المردوف: هو أيضا يطهى في أنور فوق الصفيحة كالخبز الرقيق، ويختلف عنه في أنه يأتي سميكاً، كما أنه يحشى من الداخل

بالخضر والتمر واللحم والتوابل، وهناك من يسميه بالمبطن، وخبز الشحمة.

08) – طبق التقدير: هو أكلة تكاد تختفي، ويتم تحضيره بأن تحضر مرق من الخضر مع بعض الحبوب كالعدس أو الحمص أو الفول، والقليل من الحلبة مع اللحم، وبعد التأكد من أن المرق يكاد يطهى تحضر كمية من الدقيق وتعجن بالماء والملح، ثم تشكل منها عدد من الكرات الصغيرة الرقيقة ، ثم ترمى في المرق ، وهكذا حتى تنتج الطبقة الأولى ثم الثانية ثم الثالثة وهكذا حتى تغطي المرق بأكملها، ثم يقدم في طبق.

09) – الحساء (الحريرة): هو شراب معد من الخضر والفواكه، ودقيق القمح الأخضر المحمص في النار¹ ، ويتم تحضيره في المنطقة بأن يوضع الماء في قدر ويترك على النار حتى يغلي، ثم يضاف الدقيق، ويحرك حتى لا يلتصق في القاع، ويضاف إليه بعض التوابل والملح، والطماطم في النهاية، ويعرف نضوجه عند تصاعد بعض الفقاعات منه.

يعد طبق الحساء من الأطباق الرئيسية في المنطقة، كما أن له رمزية في المعتقد الشعبي، تذكر المتناول له وتذكره بأيام رمضان حين يتناوله في أول الفطور، ويتناول الحساء في الشتاء بسبب البرد الشديد في المنطقة عند الصباح الباكر، وبعد المغرب، وذلك لتخفيف البرد. ويعد في شهر رمضان من الأطباق الرئيسية عند الفطور.

¹ يسمى القمح الأخضر المحمص في المنطقة بذبو.

(10) - طبخ الشاي: يعد الشاي الشراب الرئيسي لسكان الصحراء الجزائرية على الغالب، ومنطقة توات على الخصوص اشتهرت به، حتى صار من خصوصياتها التي ما تذكر إلا ويتبادر إلى الذهن هذا الشراب، ومن خصوصيات الشاي أنه لا يتناول إلا في جماعة، ولا يمكن لشخص واحد أن يطبخه بمفرده، لأنه يعد في الغالب لتبادل الحديث، ومناقشة المسائل العالقة في المجتمع، ومن الأحسن طبخه على الفحم في الهواء الطلق، وأدواته بسيطة عبارة عن إبريقين وعدد من الكيسان أحدهم كبير يعد لمزج الشاي بالسكر، والنعناع، ويضاف إليه في بعض الأوقات بعض الأعشاب¹.

ولقد أثار الشاي الإعجاب ي نفوس الكثير من الشعراء والعلماء، والرحالة، ما جعلهم يسجلونه في رحلاتهم، ومؤلفاتهم، وأشعارهم، ومن ذلك ما كتبه محمد عبد الكريم بن محمد البلبالي، في مدح التاي وتحديد فوائده الصحية، والاجتماعية، فيقول:

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا زَيْنَ الْمَقَامِ مُحَمَّدَ الرَّاقِي لِرَبِّ الْأَنَامِ
صَلُّوا عَلَيْهِ يَا أَهْلَ الْغَرَامِ فِي شَرِبِكُمْ شَايَ لَذِيذِ الطَّعَامِ
فَهُوَ عَظِيمُ النَّفَعِ مُبْرِ الْأَلَامِ تَزْهُو بِهِ النَّفْسَ أَنْيَسَ الْمَضَامِ²
لِمَأْكَلِ النَّاسِ سَرِيْعَ الْهَضَامِ³ مَنْ بِهِ مُحْيٍ رَمِيمٍ

العظام

¹ من الأعشاب التي تضاف للشاي الرند، والشيح، والنعناع اليابس، وهذا لغرض إعطائه رائحة ذكية .

² الحزين .

³ الهضم .

| | | |
|--|---------------------------------|---------------------|
| يُجَلِّي قُلُوبًا عَنْهُ يَرْمِي الغَمَامِ | فِي مَرِّهِ يَقَلُّ | المنَامِ |
| يَنْفِي جَشًّا قَدْ يَنْتَشِي مَنْ تَخَامِ | فَدَرُهُ مَنْ يَعْتَرِيهِ | انْفِصَامِ |
| وَفِيهِ لِلشَّارِبِ كُلِّ مَا رَامِ | خَيْرَ مِنَ اللَّهِ الكَثِيرِ | النَّعَامِ |
| ذُو الكَهْلِ مَعَ بَادِي الهَرَامِ | فَنَفَعَهُ دَامٌ وَحَازِ | التَّمَامِ |
| مُذَكَّرٌ لِقَوْلٍ عِنْدَ الخَتَامِ ¹ | مَا أَعْظَمَ الخَيْرَ فِي هَذَا | الْأَمَامِ |
| فَهُوَ حَلَالًا قَدْ بَدَا لِلأنَامِ | بِمَلِكِ العَقْلِ | وَسَبَابِ الغَلَامِ |
| فَلَا زَمَنْ شَرِبَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ | وَحَازِرْنَهُ فِيهِ وَجُودِ | الضَّرَامِ |
| بِعَنْبَرٍ وَنَعْنَعٍ كَخَامِ | فَامزِجُهُ وَالغَيْرُ | يُمِيطُ القَوَامِ |
| أَصْبِرْ عَلَيْهِ وَأَغْمِرَنَّ النَّدَامِ | تَرْجَى تَجِدُ مَزَايَاهُ | وَتُعْطِ المَرَامِ |
| فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ مَلِكِ الزَّمَامِ | دَرَاهِمُهُمْ ذُو خَلْفِ | وَأَنْتِظَامِ |

¹ أي عند الموت.

فِي بَرْدِ ضَاوٍ وَكَوَسِ نِظَامٍ فَاسْتَعْمَلَهُ مُعْتَلًا
 كَالسَّنَامِ
 وَدَوَّرِي الكَاسِ لِنَاسٍ كِرَامٍ فَهُوَ كَرِيمٌ قَائِدٌ
 لِلْكَرَامِ
 وَبَاعِدُنْ سَوَّقَهُ دَانَ الْفِطَامِ وَبَادِي النُّطُقِ
 وَأَهْلَ الْهَلَامِ
 وَأُنُورِي بِهِ الْعَوْنَ فِي دِينِ السَّلَامِ رَبَّ جَمِيعِ الْخَلْقِ ذَاكَ
 الْهُمَامِ¹

فكانت هذه القصيدة شاهدة على مزايا الشاي التي تميزه عن غيره
 من الأعشاب، فهو كما قال الشاعر شفاء للألم مريح لنفس مقوي
 للذاكرة، ممتع للحديث...، وهذا ما يجعل الفرد التواتي يحرص على
 شرابه في كل يوم، مرتين على الأقل.

¹ محمد عبد الكريم بن محمد البلبالي، ورقة مخطوطة، خزانة كوسام،

*. المبحث الثاني: العادات المرتبطة بالاحتفالات بمنصقة توات.

1 – الاحتفالات الدينية

إحياء مناسبة العيدين – الاحتفال بالمولد النبوي الشريف

2 – الاحتفالات الشعبية

الزيارات (الوعدة) – الاحتفالات الموسمية

3- الزواج.

الخطبة - العرس

4- الأغاني والإيقاعات الشعبية

– رقصة الحضرة – - رقصة البارود – رقصة العبيد

(قرقابو). الطبل - رقصة الركبية – رقصة بابا عاشور

رقصة صار - رقصة الحسانية - رقصة التويضة رقصة برزانة

المبحث الثاني : العادات والتقاليد المرتبطة بالاحتفالات.

1- الاحتفالات الدينية:

1- إحياء مناسبة العيدين:

شرع الله عز وجل للمسلمين عيدين ليفرحوا بهما، ويذهب عنهم غناء ومشقة التعب التي لحقت بهم من جراء العبادة، ولهذا كان عيد الفطر بعد الانتهاء من أداء فريضة الصيام، وعيد الأضحى بعد الانتهاء من أداء الركن الأساسي في الحج ، وهو وقوف عرفة في التاسع من ذي الحجة.

يحتفل المجتمع التواتي كغيره من المجتمعات الإسلامية بمناسبة عيد الفطر، ويشرع في التحضير لهذه المناسبة منذ ليلة القدر المصادفة 26 من شهر رمضان من كل سنة، فتشرع البنات في صناعة الحلويات بمختلف أنواعها ، في حين تعمل النساء على تحضير الحناء المحلية والبخور، وتنظيف المنزل وأثاثه بمعوية بناتهن، أما الرجال فيتسارعون إلى محلات بيع الملابس لاقتناء ثياب العيد، ويكون ذلك في الليل في أغلب الأحيان بسبب الحرارة الشديدة في الظهرية، وبعد أن يحدد يوم العيد يحيي المجتمع ليلته بمختلف الأنشطة، منها تكريم الطلبة الذين نجحوا في مسابقة القرآن الكريم التي أقيمت أيام رمضان، كما يقدم أحد

الأئمة محاضرة حول أهمية العيد، والآداب الواجب اتباعها في هذه المناسبة، وفي الوقت الذي يكون فيه الكبار في المساجد يحتفل الصغار هم كذلك بهذه المناسبة، ولكن بطريقتهم الخاصة، حيث يشترك عدد من الأطفال في جمع نصيب من المال ويقومون بحفلة صغيرة تسمى في المنطقة بخالوط¹، وتختلف الحفلة من مجموعة لأخرى وذلك حسب العمر أو كمية الأموال المجموعة، ويشرع عدد من الشبان في تنظيف المسجد وتطيبه بالمسك والبخور تهيئة لهذا اليوم العظيم ، وهكذا تحي الليلة عادة في المنطقة حتى الصباح.

بعد أذان فجر يوم العيد يتوجه السكان إلى المصلى لتأدية صلاة الصبح جماعة، وحين خروجهم يتوجه أصحاب البساتين إلى مزارعهم التي تسمى الجنّة بلسان أهل المنطقة، ولذلك تتأخر صلاة العيد في المنطقة على خلاف مناطق الشمال الجزائري، وقبل صلاة العيد بنصف ساعة يتوجه المصلون إلى المسجد وهم في أبها حلة يغمرهم شعور تملأه السعادة، وهم أمل في نيل المغفرة والثواب، وقبل حضور الإمام يشرع المصلون في التسبيح والتكبير والتهليل، ولا ينقطعون إلا حين دخول الإمام للصلاة، فيرددون:

¹ خالوط: هذه الكلمة مشتقة من الخلط أو المزج، فيخلط الأطفال نقودهم، ويقومون وليمة أو حفلة بأنواع مختلفة من الحلويات والمأكولات وليس بنوع واحد فقط.

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر الله أكبر والله الحمد

وبعد دخول الإمام للمسجد يقوم المصلون وهم يرددون ذلك حتى يشير الإمام لهم بالتوقف، ثم يؤدون صلاة العيد بركعتين، تلحقهما خطبتين كخطبة الجمعة إلا أنها تختلف عنها في اشتغالها على عدد من التكبيرات يرددها المصلون خلف الإمام، وبعد انتهائها يتضرع المصلون إلى الله تعالى بالدعاء و الابتهاج وتسمى هذه العملية في المنطقة بالفاتحة لأنها في الاعتقاد فاتحة للخير جالبة له، ثم يتغافر المصلون في المسجد مشكلين صفيين متوازنين يتصافحون ولسانهم يلهج بالدعاء والاستغفار والطلب من الله الإطالة في العمر لتجدد عليهم هذه المناسبة، وبعد خروج المصلين من المسجد يطوفون بالقصر ليزوروا الأقارب، والعجائز، والشيوخ والمرضى وخلال ذلك يتخذون عدة مسالك، وهذه العملية بالنسبة للقصر الذي يؤدي سكانه الصلاة جماعة في مسجد واحد، أما الذين يصلون في مسجدين أو عدة مساجد فإن عملية المغفرة تتم في ساحة كبيرة تسع الجميع، يتبادل الزوار وأهل المحل مجموعة الأناشيد الترحيبية كالتالي:

الله لا إله إلا الله الله لا إله إلا الله (تردد لعدة

مرات)

الله سلامٌ عليكم الله ورَحْمَةٌ اللهُ

اللهُ تَقَبَّلُوْا مَنْ جَاكُمْ اللهُ جِنَاكُمُ اللهُ
 اللهُ يَا مَرْحَبًا بِكُمْ اللهُ يَا مَنْ جَانَا لِلَّهِ
 اللهُ مَوْلَانَا يَكْفِيكُمْ اللهُ يَبْلَغُ مَقْصُودُ هُوَ اللهُ
 اللهُ مَوْلَانَا يَكْفِيكُمْ اللهُ هُوَ الْكَافِي هُوَ اللهُ
 اللهُ هُوَ اِيْكَافِي مَنْ جَانَا اللهُ لَا اِلَهَ اِلَّا اللهُ
 اللهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ اللهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 اللهُ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُوْلَ اللهِ
 اللهُ لَا اِلَهَ اِلَّا اللهُ اللهُ لَا اِلَهَ اِلَّا اللهُ

وبعد ذلك يتغافر الجميع لتنتهي مراسيم العيد الجماعية لتبتدئ العادات الفردية. كل حسب مكانته في المجتمع، ومستواه الاقتصادي، ومن ذلك مثلاً:

خلال يوم العيد تجتمع العائلة الكبيرة المشكلة من الأعمام وأبنائهم، وجد العائلة إن كان على قيد الحياة، ويتناولون فطور جماعي، وبعده يقدم الشاي مع بعض الحلويات.

وبخصوص عيد الأضحى فهناك تشابه كبير بينه وبين عيد الفطر، والفرق يكمن في بعض المناسك المرتبطة بعيد الأضحى حيث يتقرب العبد في هذا الأخير بأضحى شكرًا لله على كرمه ومنته، ومن عادة سكان المنطقة في هذه المناسبة أنهم كثيرا ما يحرسون على تربية

أضحيتهم بأنفسهم، فيختارونه ربما ستة أشهر قبل حلوله، ولكن حسب اعتقادهم أنهم لا يجب تحديدها صراحة¹، ويوم قبل العيد يطعمونها الشعير مع الماء، وصبيحة العيد يحضرون تراب نقيه، ويضعون الحناء للأضحية، فيتكفل رب الأسرة بذبحها بنفسه، ويحضرها جميع أفراد العائلة، وأول ما يتناولون منها الكبد، والأحشاء، ويفضلون أحيانا أن يكون فطورهم من لحمها.

كما يحضر الأضحية بعض الأسر الفقيرة التي لم يتسنى لها التضحية، وكان هذا من شعور التواتي بواجبه اتجاه جاره، فحسب ما حكا لنا أبائنا بأن كان يشترك أكثر من ثلاث أسر في حضور أضحية واحدة يقيمها أحدهم، وفي نهاية اليوم يقدم لهم رب العائلة صدقة من ربع الشاة الذي يقدم للفقراء، فيجوب سكان المنطقة الأزقة لتصدق على الفقراء، والمحتاجين²، وهناك من يستغل دم الأضحية في أمور علاجية فمثلا يدلك به البعض أجسامهم للشفاء من بعض الأمراض.

(ب) – الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

إن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف يعد من الأمور التي دأب المجتمع الإسلامي منذ العهد الفاطمي على إحيائها وإن كان هناك خلاف كبير في جواز ذلك أم لا، لكن ما يمكن قوله أنه لا يختلف اثنان في

¹ وسبب ذلك أنه لو حدث وماتت تلك الأضحية، فإن الله سينتقم ويأخذ واحدة أخرى بدلها.

² عبد الله مزيان، المرجع السابق، ص 24.

مدى المكانة العميقة في نفوس المسلمين للنبي وآل بيته خاصة ببلاد المغرب الإسلامي، والشواهد للعيان لا تحتاج إلى إحصاء، ومثال ذلك تسمية الطفل الأول في الأسرة باسم النبي(ص) ، والتوأم بحفيديه (ص) بالحسن والحسين، ولا يخفى على أحد مكانة الطفل الأول في نفوس والديه.

وتاريخ بداية الاحتفال بذكر ميلاد الرسول (ص) والذي يصادف كل 12من ربيع الأول من كل سنة هجرية، وبخصوص بداية ذلك في بلاد المغرب ترجعه أغلب المصادر إلى العهد الفاطمي.¹

وأما ببلاد المشرق فكما يذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان : " أن المشرق قد جرى على عادة تعظيم المولد النبوي بالاحتفال به على رسوم لم تكن مألوفة من قبل حيث أن أب سعيد كوكبري بن علي بن بلتكين الملك المعظم صاحب أربيل بالعراق المتوفي سنة (586هـ

¹ لا يخفى على أحد اهتمام الدولة الفاطمية بالاحتفالات الدينية، فأولتها اهتماما كبيرا، ونفقت عليها أموالا طائلة، وهذا لأهمية ذلك في حفظ هوية الدولة ، وإظهار سلطتها، ومن تلك الاحتفالات: أول العام الهجري، وأول رمضان، وأيام الجمع الثلاثة الأولى منه، والعيان، وفتح الخليج، وعيد الغدير ، إلى جانب الاحتفالات الأخرى التي كانت تقام في أيام مختلفة على مدار السنة كلها، وبخاصة أيام السبت، والثلاثاء من كل أسبوع، وفي الفترة من أول العام إلى أول رمضان... ينظر عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية، كلية دار العلوم، القاهرة، 1991م، ص 267.

1190م) هو الذي عظم الاحتفال بالمولد وصار الناس تتوافد عليه في كل عام".¹

وبعد مرور السنين تهافت الشعراء وتنافسوا في مدح النبي (ص)، ونقلت لنا المصادر كثير من القصائد التي تغنى فيها الشعراء بميلاده ونسبه وصفاته وحياته وأخلاقه (ص) مستلهمة ذلك من قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُوفٍ عَظِيمٍ﴾²

ومما ورد في مدحه (ص) قصيدة البردة لكعب بن زهير مدحه فيه في حياته فلم ينكر عليه (ص) وكافأه بأن أهدها بردته ووضعها على كتفه³، ومما جاء فيها :

بَانَتْ سَعَادُ فِقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولُ مُتِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يَفِدْ...
نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنُ وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةً قُرْآنَ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهْنَدٌ مِنْ سِيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورُ

¹ أحمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح إحصان عباس، دار الطباعة المصرية، مصر، 1972م، ص69.

² سورة القلم ، الآية 04.

³ سميح عاطف الزين، خاتم النبيين محمد، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1986م، ص393.

ثم تهافت الشعراء على مدحه (ص)، كما فعل البصيري الذي صارت قصيدته يحفظها الصغير والكبير ، وذلك لكثرة ترديدها وسهولة أبياتها ومفرداتها، وربما تعد من اكثر القصائد ترديدا في ليالي المولد ببلاد المغرب الإسلامي بأكمله عبر مختلف الحقب الزمنية.

والاحتفال بهذه الذكرى بمنطقة توات: يكون على مدى اثنا

عشر يوم الأولى من شهر مولد المصطفى (ص) ربيع الأول، فتحيي الليالي بقراءة المتون التي تمدحه وتذكر الناس بصفاته وأخلاقه، ومما يقرأ قصيدة البردة والهمزية والبغدادي ، ومتن يسمى البشير نسبة للرسول (ص).

ويعرف إقليم توات عدد من الوعدات بهذه المناسبة يسمى أحدها المولود وهي تصادف يوم ميلاد الرسول (ص) تقام بعدة قصور مثل: قصر زاوية الشيخ بن عبد الكريم المغيلي، و بوعلي، وغرم علال ، و وعدات أخرى تكون بمناسبة مرور أسبوع من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وتقام بقصر زاوية كنتة ، ولحمر.

وهذه الوعدات تعرف العديد من الطقوس والممارسات التي تميزها عن وعدات أيام السنة الأخرى ومن عوائد وتقاليد التواتيين في هذه المناسبة عديدة ومن ذلك قراءة المدائح النبوية مثل: البردة،و الهمزية، وكتاب صحيح البخاري، كما يحرصون في هذه المناسبة على تقديم عدد

من المأكولات منها: الكسرة¹ التي تصنع من دقيق القمح، وتحشى في داخلها بالعديد من الخضروات مثل البصل والثوم والطماطم والتوابل، وبعض لحم القديد إن توفر، وقديما كان يستعمل لحم الطيور التي يصطادها الأطفال أيام الربيع. وتقدم وقت قراءة المتون ليلا، ولهذه الأكلة رمزية كبيرة في الاعتقاد التواتي، فرغم بساطتها إلا أنها تعبر عن حدث عظيم، ولا يمكن لأكل آخر أن يزيحها عن مكانها رغم تحسن الأوضاع المعيشية للسكان، وهذا الاعتقاد سائد عند أغلب سكان المنطقة إن لم نقل كلهم.

وتُحيى البنات ليالي المولد بالضرب على الدف والرقص بمفردهن، على شكل جماعات بعد صلاة العشاء في مكان مفتوح يحضره الأطفال الصغار، ويتغنين بأناشيد وأغاني يمدحنا فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وتسمى هذه الحفلات " بابا عاشور".

إن استغلال ذكرى يوم المولد النبوي في عرض سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومبادئ الإسلام أمر يحسن أن لا نفرط فيه وألا نقصر في أدائه على الوجه المطلوب، أما الاحتفال بالمولد أو إحياء ليلة المولد على أنها شيء من أحكام الإسلام فذلك شيء لم يرد فيه نص من قرآن أو حديث.²

¹ أشرنا لهذه الأكلة في المبحث الأول الخاص بالأكل الشعبي.

² أحمد الشرياصي، يسألونك في الدين والحياة، دار الجبل، بيروت، ج3، ص318.

(2) – الاحتفالات الشعبية:

(أ) – الزيارات (الوعدة):

تمهيد:

ظاهرة الوعدة هي من التراث الشعبي للمجتمع الجزائري على الرغم من اختلاف تسميتها من منطقة لأخرى، ولقد ارتبطت بمنطقة توات بالشرفاء الذين وفدوا للمنطقة، فعند وفاة جد الأسرة الشريفة تقيم القرية التي كان يعيش فيها وعدة في يوم مخصص من السنة تشرف عليها عائلته، وتساهم في تموينها.

وفي المعتقد العامي – عند البعض – فإن الولي حينما يموت تظل روحه تنتقل بكل حرية في كل مكان، ولقضاء الحاجة فعلى الطالب أن يستجد باسمه ليتم له ما أراد، وهذا الفعل كثير ما يلجأ إليه الناس أثناء وقوع المصائب، والكوارث فيستجدون بالولي الصالح الذي لا يكاد يخلو قصر من قصور المنطقة منه وهو " الشيخ عبد القادر الجيلاني¹، فيعبر

¹ عبد القادر الجيلاني: محمد محي الدين عبد القادر بن أبي صالح المولود بمدينة جيلان في (470هـ – 1077م) والذي جاء إلى بغداد عام 488هـ – 1095م ودرس مذهب الإمام أحمد بن حنبل لكنه ترك الانضمام إلى المدرسة النظامية التي كان يشرف عليها الشيخ أحمد الغزالي، بعد وفاة أخيه أبي حامد الغزالي، ويقال أنه لم يعتنق أي فكر صوفي حتى حضر إلى مدرسة أبي الخير أحمد الدباسي المتوفي 526هـ – 1131م، وقضى عبد القادر الجيلاني خمسة وعشرين عاما يتجول في صحراء العراق، وفي عام 521هـ عندما كان قد جاوز

عن ذلك أمبارك بن محمد الميلي بقوله: " ...وقد يعبرون عن هذا الضرب من التبرك بالاستمداد من أرواح الصالحين، ويعتقدون أنهم أحياء في قبورهم يتصرفون في هذا العالم، ويقضون حاجات قاصديهم، ويتخذون المزارات يبنون عليها البناءات، ويرون أن روح الولي الصالح فلان هناك... من مظاهر هذا التبرك الاستمدادي تقبيل الجدران، والتمسح بالحيطان، وكل ما يضاف إلى ذلك المكان.¹

وقد أدى هذا الاعتقاد في الأولياء من الناس إلى الحلف بهم، وكثيرا ما يلجئون إلى الحلف بهم بدل الحلف بالله، كما يتجنبون شتمهم ظنا منهم أنه مطلع على سرائرهم، ويضيف أمبارك الميلي: " فلم يطمئنا إلا للحلف بأوليائهم، وهكذا تراهم يعظمون الإيمان بأوليائهم، ويخشون الحنث فيها أكثر من تعظيم اليمين بالله وخشيت الحنث فيها."²

ولقد أضحت هذه العادات راسخة في نفوس الأجيال تتوارث جيل عن جيل، وشكلت تراثا شعبيا يشترك فيه عامة الناس يطبع سلوكهم وأفعالهم، وحياتهم اليومية ويؤثر فيهم فيصبحون مدافعين عنه بمختلف الوسائل لأنه يجسد ماضيهم، وماضي أجدادهم، ويمثل بالنسبة إليهم

الخمسين عاما صار من أشهر العلماء في بغداد على الطريقة الحنبلية... ينظر حوتية محمد الصالح، توات والأزواد، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007م، ص 185.

¹ مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ط3، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1982، ص 229.

² نفسه ص 259.

الإطار العام الذي يتحركون فيه، وقد تأخذ البعض من هذه العادات طابع القداسة، وتصبح المحافظة عليها واجبة بالنسبة لجميع أفراد المجتمع، ونسج العامة كثيرا من الكرامات¹ حول الأولياء لترسيخ تأثيرهم في النفوس.

ولما كانت ظاهرة الوعدة عامة قلما تخلوا منها منطقة من المناطق الجزائرية من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها، فعلى سبيل المثال، وليس الحصر يمكن ذكر بعض الوعدات في الغرب الجزائري مثلاً، ومنها:

وعدة سيدي الهواري بوهران، وعدة سيدي محمد بن عودة بغيليزان، وعدة سيدي بلال بتموشنت، وعدة سيدي يحي بأولاد نهار سبدو تلمسان... إلخ كانت هذه بعض النماذج من الغرب الجزائري.

وتختلف الوعدات من منطقة لأخرى على مستوى تظاهراتها الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، أو الهدف من إقامتها، ويضاف إلى ذلك أهميتها بالنسبة للمنطقة، وقدرة وفعالية منظمها، أو من حيث

¹ قد تكون الكرامة إجابة دعوة، أو إظهار طعام في غير وقته، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة، أو تخليصا من عدو، أو غير ذلك من أفعال ناقضة للعادة. كما يحكى عن ذي النون المصري بأنه وجد مكتوبا على جبهته بعد موته " هذا حبيب الله، مات في حب الله، قنيل الله"، وعندما سارت جنازته تجمعت طيور السماء فوقها وألقت أجنحتها على الجنازة لتظللها. ينظر آدم تميز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الإسلامية، تر محمد عبد الهادي، أبو ريبة، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986. ص 492.

التركيبية البشرية أَلَّتِي تَقْدُ إِلَيْهَا، فَهَنَّاكَ وَعَدَاتُ تَقْتَصِرُ عَلَى بَعْضِ الْقُرَى، وَالْمَدَنِ الصَّغِيرَةِ، وَعَلَى بَعْضِ الْقَبَائِلِ مِمَّا يَجْعَلُ أَهْمِيَّتَهَا مَحْدُودَةً مَحَلِّيًّا، فَقَدْ يَقُومُ بِهَا بَعْضُ كِبَارِ رِجَالِ الْقَبَائِلِ الَّذِينَ يَحْنُونَ إِلَى الْمَاضِي، وَتَصْبِحُ إِقَامَتُهُمْ مَرَهُونَةً بِوُجُودِ هَؤُلَاءِ الْأَفْرَادِ، وَقَدْ تَتَلَاشَى نَهَائِيًّا إِذَا لَمْ تَجِدْ مَنْ يَقُومُ بِتَجْدِيدِ وَاسْتِخْلَافِ الْقَائِمِينَ عَلَيْهَا، فَيَخْبُوا لَهَبِهَا وَقَدْ تَفْقَدُ قِيَمَتَهَا فِي أَوْسَاطِ الْأَجْيَالِ الْجَدِيدَةِ، وَهُوَ مَا يُؤَدِّي إِلَى زَوَالِهَا وَتَلَاشِيهَا رَوِيدًا رَوِيدًا كَمَا بَدَأَتْ رَوِيدًا رَوِيدًا تَتَجَزَّرُ فِي نَفُوسِ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ. وَهَنَّاكَ وَعَدَاتُ أَخَذَتْ بَعْدًا وَطَنِيًّا مِثْلَ وَعْدَةِ سَيِّدِي مُحَمَّدِ بْنِ عَوْدَةَ بَغْلِيْزَانَ، وَوَعْدَةِ مَوْلَايَ عَبْدِ اللَّهِ الرَّقَانِيِّ بِأَدْرَارِ، سَيِّدِي يَحْيَى بْنِ صَفِيَّةَ بِأَوْلَادِ نَهَارِ.

وهذه التظاهرات الاجتماعية تتخذ بالإضافة إلى طابعها الديني والتاريخي الجانب الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، ونظرا لأهميتها فإن أجهزة الدولة تتدخل في عملية التنظيم، ويظهر تواجدها من خلال حضور ممثلها في مثل هذه التظاهرات، كما تساهم أجهزتها في توفير بعض الجوانب المادية كمنقل الأمتعة عن طريق الشاحنات، وحضور سيارات الإسعاف، والأمن، وتقديم وسائل البلدية. وهو ما يؤكد ترسخ المعتقدات الشعبية للعامة حتى في ذهنية الطبقة الحاكمة والأكاديمية، وهذا لقوة العرف والتقليد في إحكام سيطرته على الجميع رغم الجهود الكثيرة الرامية إلى إزالته ومحاربتة.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات فإن الوعدة تظل حدثاً مشتركاً بين كثير من المناطق قاسمها المشترك طابعها الديني حتى لو أن هذا الأخير يعدها انحرافاً عن التقاليد الإسلامية الحقيقية، الشيء الذي يتشبه به رواها معتقدين أنها واجب مقدس يجب القيام به مهما كانت الظروف، والأحوال.

كما أن هناك اختلاف في تسمية هذه التظاهرة الشعبية ، فيطلق عليها في بعض المناطق اسم الزردة، وفي مناطق أخرى اسم الوعدة، ورغم الاختلاف اللفظي فإن المعنى واحد.

يطلق على هذه التظاهرة بمنطقة توات اسم الزيارة¹ ، وأما مصطلح الوعدة فنادر ما يستعمل في المنطقة، وإن كان هناك تشابه كبير في المضمون، وسنحاول أن نقف على معنى الوعدة.

– تعريف الوعدة: تشتق كلمة وعدة من فعل وَعَدَ، أي تعهد بشيء ما، وأخذ على عاتقه تطبيق شيء ما وهي بمعنى النذر، أي أن ينذر الرجل على نفسه صوم يوم ، أو ذبح شاة إذا تحقق له شيء ما ، أو أن يأخذ المؤمن على عاتقه أمام الخالق تنفيذ وعده إذا تحققت إحدى أمنياته،

¹ الزيارة، أخذت هذه التسمية من زيارة الوفود إلى قبر الولي الصالح المدفون في القرية التي تقيم الوعدة.

فقد يتعهد أحد بإطعام عدد من المحتاجين إذا وضعت زوجته ولدا، فإذا تم له ما أراد يكون لزاما عليه احترام تعهده.¹

الوعدة تسمى الزيارة بمنطقة توات، تتكرر سنويا حسب التقويم القمري والشمسي، وأغلب الزيارات تأتي في موسم توفر الخضر بالبساتين كشهر مارس ، ابريل، ماي، وذلك حتى تتوفر حاجيات إطعام جميع الضيوف، وهي تقترن عادة بيوم وفاة جد الأسرة الشريفة بالقصر، ولا نكاد نجد قصر بمنطقة توات ليست له وعدة، وهي بذلك تظاهرة ثقافية واجتماعية شاملة.²

والزيارة أو الوعدة تنتشر في مختلف المناطق الإسلامية منذ فترة متقدمة ، لكل مجتمع معارف وعادات تميزه عن غيره خاصة في الطقوس، وتشترك أغلب المجتمعات الإسلامية في إطعام الطعام وذبح الأضاحي ، والوعدة لها ضوابط تميزها وتلزم كل فرد من أفراد المجتمع باحترامها، وتجرمه في مخالفتها ، ساهم في وضع تلك الضوابط أفراد المجتمع أنفسهم، والقصد من تقديم الطعام وذبح

¹ نور الدين طوالي، نور الدين طوالي، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيه البعيني ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م، ص123.

² جمعية الأبحاث التاريخية لولاية ادرار، ص19.

الأضاحي هو جلب رضاء الله ورحمته¹، وتدوم الوعدة لمدة ثلاثة أيام كما يلي:

اليوم الأول يسمى **الميز**: مخصص للإعداد والاستقبال.

اليوم الثاني: يسمى دخول الضيوف: وفيه تختم السلكة " القرآن "

اليوم الثالث يسمى يوم الزيارة: وهو الذي تتم فيه الفاتحة وتمارس فيه الرقصات الفلكلورية، ويحضره عدد كبير من الناس، وقبل صلاة المغرب بساحة تقام موعظة من طرف أحد فقهاء المنطقة، وبعدها يصلى المغرب وتختم الزيارة بالفاتحة وفيها يُتضرع إلى الله بالدعاء، وبعدها يتجه الحضور إلى البيوت لتناول وجبة العشاء، فجميع البيوت مفتوحة لجميع الحضور مدعوين ولا يرد أحد من الضيوف. وبعد تناول العشاء يتجه الضيوف لحضور الرقصات الفلكلورية (البارود- الحضرة - قرقابود) التي تقدمها الفرق التي تحضر من القصور المجاورة. تعبير عن مشاركتهم في إحياء مناسبة القرية.

ويمتد هذا الموروث الاجتماعي إلى أيام وفود الأشراف من المغرب إلى إقليم توات، فمثلا وفد في عام 1121هـ شريف من تافيلالت وهو مولاي أمبارك بن مولاي المامون مع مجموعة من الفرسان، فاستضافتهم القبائل التواتية بأربعين مثقالا للضيافة في كل يوم.²

¹ Noureddine toualbi ;Religion Rites Etmutations ;Entreprise Nationale de Livre ;Alger ;1984 ;p114

² عبد العزيز عبد الله، معلمة الصحراء، وزارة الأوقاف، المغرب، 1976م، ص132.

فالزيارة بمنطقة توات كما قلنا مرتبطة بأحد الشرفاء والأولياء للمكانة الكبيرة التي يحظون بها داخل المجتمع، لذلك هي تتشابه من حيث التقاليد والعادات بخلاف منطقة تكورارين التي يستعمل فيها أحيانا رقصة أهليل (Ahellil) الذي يؤدي باللهجة الزناتية، وهذا جدول يوضح بعض الزيارات بمنطقة توات، ومكان وتاريخ إجرائها إذ لا يسع المكان لذكر الكل ومنها:

| الرقم | الولي الذي تقام له الوعدة | مكانها | تاريخ إقامتها: هـ/م |
|-------|---------------------------|----------|---------------------|
| 01 | أحمد أو عثمان | الساهلة | الصيف |
| 02 | سيدي باصالح | أقبور | 27 شعبان |
| 03 | بن حمادي | المطارفة | 27 ماي |
| 04 | سيدي عبد الرحمن بن أحمد | واينة | 24 أفريل |
| 05 | الحاج بلقاسم البلبالي | ملوكة | 19 ربيع الأول |
| 06 | سيدي المهدي بوشنتوف | بربع | 20 ربيع الأول |
| 07 | بوعلالة | أدغا | 29 ماي |
| 08 | مولاي علي الشريف | أدغا | 18 جوان |

| | | | |
|----|----------------------|--------------|----------------|
| 09 | سيدي الونقالي | أولاد ونقال | 28ماي |
| 10 | مولاي سليمان | أولاد أوثن | 17 ماي |
| 11 | مولاي أحمد الشريف | أولاد علي | 17ماي |
| 12 | سيدي محمد بلحاج | أولاد أحمد | 28 أبريل |
| 13 | المولد النبوي الشريف | أولاد براهيم | 12 ربيع الثاني |
| 14 | البهلول | أولاد براهيم | 10 محرم |
| 15 | الشرفاء والشريفات | أولاد براهيم | 10محرم |
| 16 | مولاي بريش | أولاد بوحفص | 23أوت |
| 17 | سيدي عومر | المهدية | 20ماي |
| 18 | محمد الرقاني | أولاد عيسى | 15 صفر |
| 19 | الخمسة إخوة | كوسان | 14 مارس |
| 20 | محمد سالم | مراقن | 30أبريل |
| 21 | سيدي محمد بن البكري | زاوية البكري | 25ماي |
| 22 | عاشوراء | تمنطيط | 10محرم |
| 23 | سيدي ناجم | تمنطيط | خلال السنة |

| | | | |
|----|-------------------------------|--------------------------|---------------------|
| 24 | سيدي عومر | بوفادي | 02ماي |
| 25 | سيدي عبدالقادر | زاوية سيدي عبد القادر | 01ماي |
| 26 | سيدي المختار الكنتي | الجديد | 16جوان |
| 27 | الوزاني مولاي الحسان | لحمر | 18ماي |
| 28 | سيدي أحمد بن يوسف الملياني | تماسخت | 16ماي |
| 29 | سيدي عبد الصمد | أولاد عبد الصمد | 10 محرم |
| 30 | مولاي التوهامي | تيطاف | 24 أبريل |
| 31 | أبا بلال | تيطاف | خلال السنة |
| 32 | مولاي عبد الواحد | غرميانو | 12 أبريل |
| 33 | بلال البركة | أغيل | جويلية |
| 34 | سيدي بن مشيش | مكيد | 20 أبريل |
| 35 | سيدي علي بن حنيني | زاقلو | ليس لها وقت محدد |

| | | | |
|----|--------------------------|------------|-----------------|
| 36 | للاعيشة الرقانية | تبركان | 01 ماي |
| 37 | مولاي أحمد الرقاد | زاوية كنتة | 19 ربيع الأول |
| 38 | بانديلو | تيلولين | 01 ماي |
| 39 | سيدي عبد القادر الجيلاني | أدرار | ليس له وقت محدد |

ولقد كان لهذه الوعدات أهمية كبيرة على المجتمع فهي ليست وليمة غرضها ملء البطون فقط، وإنما هي تشكل إطار مناسباً لتمازج القديم مع الجديد لإثراء التراث الثقافي للشعب، وهذا من شأنه أن يفتح أمامها آفاقاً مستقبلية كبيرة،¹

من ذلك:

— تمتين أواصر الأخوة بين أفراد المجتمع، وهذا من خلال التزاور بين الأقارب والأحباب خلال تلك الأيام التي تقام فيها الوعدة، وربما يكون هناك انقطاعاً طويلاً بسبب بعد المسافة، وكثرة المشاغل، لكن لقوة استحكام العرف في الذهنية الشعبية يتخلون ويتناسون كل ذلك، ويتفرغون لهذه الوعدة.

¹ أحمد بن أحمد، ظاهرة الوعدة — وعدة سيدي يحي بصيرة — مذكرة ماجستير، قسم

الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 1996م/1997م، ص 169.

– فتح أبواب الخير والصدقة من قبل أفراد المجتمع، فخلال هذه الأيام يأكل الزوار في بيوت أهل الوعدة من دون مقابل، كما يسهرون على راحتهم، وكأن الزوار يدينون أهل الوعدة، وكل هذا من إخلاص وطيب نفس أهل المنطقة في التصدق بكل ما تجود به أيديهم.

– تعد هذه الوعدة سوق اقتصادية يستغلها التجار في عرض بضائعهم على الزوار، ويحقق التجار خلال هذه المواسم أرباحا كبيرة على خلاف الأيام الأخرى.

رغم أن هذه الوعدات لها أهمية إيجابية على المجتمع توجد لها بعض السلبيات، التي جعلت علماء المنطقة ينكرون عليها، ومن ذلك ظاهرة الاختلاط بين الرجال والنساء، وهو ما نهى عنه الشرع، وكذلك تكلف الفقراء في هذه المناسبة لغرض إرضاء الزوار، وهو ما يجعله يستدين في بعض الأحيان.

ب) – الاحتفالات الموسمية

ومن المناسبات الشعبية كذلك نجد:

1- ب – عيد الطماطم: تعد منطقة توات من المناطق الجزائرية التي تصلح فيها زراعة هذا المنتج وذلك للعوامل التالية: الحرارة الشديدة، نوعية التربة الرملية، وتسمى الطماطم باللهجة المحلية " طما طيش"، وهي من النباتات الحديثة بالمنطقة بحيث أن انطلاق أول تجربة غرس

لها كانت بعد الاستقلال الوطني، وتحديدًا في سنة 1967م بعد الجهود التي قام بها الفلاح خيضاوي محمد وذلك بجلب حبوب غرس الطماطم، وقام بتجربتها ، ولما نجحت العملية تبني الفكرة رئيس الدائرة آنذاك السيد مقراني محمد، وهو الذي قام بدور فعال لإقناع الناس بأهميتها الاقتصادية والتجارية، وشن حملة توعية واسعة في البداية شملت خمس بلديات، وكانت النتائج جد ايجابية، إذ وصل المحصول في سنة 1968م إلى 5000 طن، وهذا ما شجع التواتيون على تأسيس احتفال سنوي في الولاية خاص بهذا الوافد الجديد ، وفي سنة 1971م أسس أول احتفال خاص بالطماطم في الولاية ، وشارك فيه جمع غفير من الفلاحين والمدعوين مما ساهم في الترويج لهذه الزراعة أكثر فأكثر، وما هي إلا سنوات معدودة حتى أصبح الإقليم من أكبر مصدري مادة الطماطم، وأشار لذلك الباحث محمد حوتية بقوله: "... عرف إقليم توات العديد من الخضر التي تزرع في فصل الشتاء، وتبدأ زراعتها مع حلول فصل الخريف وتتمثل في اللفت والجزر والطماطم، وكل أنواع الباقوليات.."¹ في الجزائر وتأسست لذلك خطوط جوية خاصة ومباشرة تقل منتوج الطماطم من مطار رقان العسكري جنوب الإقليم باتجاه باريس، ولندن، وفرانكفورت الألمانية، واشتهرت في كل هذا منطقتنا زاوية كنتة وتسابيت.

¹ محمد الصالح حوتية ، المرجع السابق، ج1، ص120.

2- ب - عيد الجمل: نظرا لمرافقة الجمل للإنسان الصحراوي ومزاياه عليه، فقد خصص له عيد خاصا به، تبجيلا وتكريما له، ومن المناطق المحنفة بهذا الرفيق الصديق، منطقة باجي المختار وتيمياوين حيث استحدث مؤخرا عيد خاص به في نهاية كل سنة ، وقد بدأ الإحتفال به أولا ببرج باجي المختار ، ثم تحول إلى بلدية تيمياوين ، حيث تجرى السباقات ، وتدق الطبول، وتعلو الزغاريد، ويتوافد السياح على المنطقة لحضور هذا العرس السنوي، حيث يكرمهم أهل البلدة.

3- ب - الفاتح من جانفي (الناير): هذه المناسبة تصادف يوم دخول الشتاء، فيحيها سكان المنطقة بذبح الدجاج المحلي، ويتناولون وجبة من المردود.

4- ب - الفاتح من أكتوبر (توبر): بداية شهر

أكتوبر تعني وصول موسم الحرث لدى الفلاحين في المنطقة، فيقيم الأب في هذا اليوم وجبة خاصة لأبنائه على رأسها اللحم، والكسرة، مع بعض الخضر. وفي الصباح يشمر الفلاحين على سواعدهم ويتوجهوا إلى بساتينهم يملأهم النشاط والحيوية.

5- ب - عاشورا (10 محرم من كل سنة قمرية): حظيت هذه المناسبة بمكانة عظيمة لدى المسلمين، فهي تخلد ذكريات عديدة مثل مقتل أحد سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحسين بعد معركة كربلاء ضد الجيش الأموي، وكان ذلك عام 61 هـ، كما حدثت

في هذا اليوم العديد من الأعمال الجليلة¹ ، فيحتفل المجتمع التواتي كغيره من المجتمعات بها وذلك بممارسة العديد من العادة كأن يقضي الكبار يومهم صياما، والصغار يحتفلون في هذا اليوم، فيطوفون في البيوت وهم يجمعون ما تجود به جيوبهم وأيديهم عليهم، فهذا يعطيهم نقودا، وهذا حلوة، كما تكون هناك بعض الوعدات في بعض القصور مثل قصر زافلوا، وأولاد الحاج ببلدية زاوية كنتة، وقصر تمنطيط...

(3) – الزواج:

من سنة الله في خلقه أن جعل الزواج من سننه لتستمر البشرية من جهة، ويكون إعجازا في تحقيق الارتباط بين الرجل والمرأة من جهة أخرى.

والمجتمع التواتي كغيره من المجتمعات الإسلامية يخضع للشروط العامة التي تقوم عليها السنة النبوية، كما أنه يتقيد بالتقاليد العامة لذلك المجتمع، ويتفرد بمجموعة من العادات والتقاليد التي تميزه عن غيره ، وإن كانت تحمل بين طياتها سلبيات وإيجابيات لأن فيها ما هو مخالف

¹ ومما حدث في هذا اليوم : مثل: أنجا الله في هذا اليوم نوحا عليه السلام ومن آمن معه من الغرق، ورفع فيه إدريس فوق السماء الرابعة، وأطفأ نار النمرود عن إبراهيم عليه السلام، ورد إلى يعقوب عليه السلام ولده وبصره، وتاب على داود عليه السلام وجعله خليفة في الأرض، ورد على سليمان ملكه ، وأنجى موسى وقومه من فرعون، وفيه رفع عيسى إلى الله... ينظر الموسوعة العربية الميسرة ، مادة عاشوراء.

للمشروع مستمد من الثقافات الوافدة على المنطقة، ومن أهواء أصحاب النفوس الضعيفة ، ومما لا يخفى على أحد الموقع الجغرافي للمنطقة باعتبارها بوابة الصحراء للولوج إلى وسط أفريقيا، كما تعد منفذ للوصول إلى الشمال، ولهذا استقرت بها أفواج كبيرة من تلك الشعوب حاملة ثقافتها معها، والتي سرعان ما امتزجت مع ثقافة سكان المنطقة، والدول الإفريقية مليئة بالثقافات والعادات التي يصدقها العقل أو لا يصدقها، والتي تتعارض مع الشرع في كثير من جوانبها، والفترة الاستعمارية التي كرسست ودعت إلى نشر البدع والخرافات ، والقضاء على الثقافة العربية الإسلامية، وذلك بعدما جهّلت سكان المنطقة، وغلقت المدارس وحاربت رجال الزوايا، وكانت هذه بعض الأسباب التي جعلت العادات التواتية تمتزج بالخرافات والأساطير التي لا تمت للعقل بصلة أكثر مما هي لسبل النزوات والأهواء ميسرة.

يقوم الزواج في المجتمع التواتي على عدد من الركائز، ولكل ركيزة عادات وتقاليد ترتبط بها وفي أولها:

(أ) **الخطبة:** وردت الخطبة في قاموس المحيط بأنها من: " و اختطبه دعوه إلى تزويج ابنتهم"¹

¹ محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، مؤسسة الحلبي وشركائه للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ج1، ص63.

ويعرفها الدكتور محمد مصطفى شلبي: " الخطبة بكسر الخاء وهي أن يتقدم الرجل إلى امرأة معينة تحل له شرعا، أو إلى أهلها ليطلب الزواج منها بعد أن توجد عنده الرغبة في زواجها، فإذا أجابت إلى طلبه تمت الخطبة بينهما"¹

والخطبة تكون برغبة من الخاطب في الارتباط بفتاة معينة، ولهذا يبادر بإعلامها شخصيا أو عن طريق أحد أفراد أسرته، ويشير لذلك محمد خراز بقوله: " إن الخطبة هي إظهار الرغبة في الزواج بامرأة معينة، وإعلام أهلها أو ذويها بذلك، وقد يتم هذا الإعلام مباشرة من الخاطب أو بواسطة أهله"².

وبعد التعريف النظري للخطبة، نخرج على واقعها وعادات ممارستها في المجتمع التواتي ، فنجد أنها عرفت عبر تاريخ المنطقة تغير كبير، وذلك لتغير العصر وتفكير الشباب ، فبعد أن كانت الخطبة يتحمل عبأها الأب والأم ولا موقف للشباب فيها إلا أن يجبر على الموافقة، وذلك لأنهما هما اللذان يتحملان مصاريف البيت والزواج والقوامة بعد أن يتم الزواج، ولهذا بعد أن يقع اختيار الأبوان على فتاة

¹ مصطفى محمد شلبي، أحكام الأسرة في الإسلام مقارنة بين فقه مذاهب السنة والمذهب الجعفري والقانون، ط4، الدار الجامعية للطباعة والنشر- بيروت، 1983م، ص 67.

² عبد الحميد خراز، فلسفة الزواج وبناء الأسرة في الإسلام، شركة الشهاب، الجزائر، ص59.

معينة، معتمدين على شروط يكون لهما فيها نصيب، كأن تكون الفتاة من أسرة شريفة ما يعطي للأسرة التي سنتلحق بها مكانة في المجتمع، وتكون لها قدرة وخبرة بأمور الفلاحة التي تعد النشاط الرئيسي لسكان المنطقة، إضافة إلى أخلاق وسلوك الفتاة وجمالها وقدرتها على بناء أسرة، يعمد أب وأم الخاطب إلى أسرة الفتاة ليطلب يد ابنتهم لأبنهم حاملين معهم عربون للمحبة وحسن النية، وتسمى هذه المرحلة بالكلمة أي أن الخاطب قد أعطى الفتاة وعد بالخطوبة وهو ليس ملزم بها يستطيع الرجوع عن ذلك في كل وقت، ولهذا تكون هذه المرحلة سرية لا يعلم بها إلا أفراد الأسرتين وفي بعض الأحيان أب وأم الشاب والفتاة فقط. وعموما في عرف المنطقة أن العدول عن الكلمة يعد أمر غير مقبول ومرفوض يعرض صاحبه للوم والعار، وبعد أن تتم الموافقة يشرع أفراد الأسرتين للتحضير للخطوبة الرسمية.

وبهذا كما رأينا فإن الشاب يكون موقفه مغيب في هذا الاختيار للفتاة وحتى ربما لم يسبق لهما الالتقاء من قبل ، وهذا ما ينجم عنه مشاكل بعد الزواج قد تصل في بعض الأحيان إلى التفكك الأسري.

ومع تطور العصر وتغير الظروف تغيرت حياة الفتاة ، فبعد أن كانت لا تخرج من البيت أصبحت اليوم تغدو إلى المدرسة والعمل، وهذا ما يمكن من النقاء الشباب بالشابات، ويمكنهم من التعارف وربما من دون علم أبيه ولا أبيها، هذان الأخيران اللذان يعلمان بعد أن يتم التفاهم

بين الشاب والفتاة. وبعد أن تتم هذه المرحلة التي صارت اليوم من البديهيات التي لم تصبح بحاجة إلى النقاش لأن فيها يتعارف الشبان ويحددان طبيعة حياتهما بعد الزواج، وفي بعض المجتمعات كانت هناك امرأة تتحمل عبئ الجمع بين الخاطب والمخطوبة وكانت تسمى الخطّابة¹، وفي النهاية تعود المياه لمجاريها ليتقدم أب وأم الشاب إلى أسرة الفتاة ليطلبوا يد ابنتهم² لأبيهم، وتسمى هذه المرحلة بالكلمة، كما كان الحال قديما، وبعد ذلك تتم الخطوبة بشكل رسمي كما كانت قديما إلا أن هناك تغيير في بعض العادات والتقاليد، ومصاريف الخطوبة كالتالي:

1- ا - المصاريف: تختلف في المنطقة من مكان إلى آخر ومن قرية إلى أخرى فليس هناك ضابط يحدد قيمتها على أفراد المجتمع جميعا فبعد أن كانت قديما لا تتعدى بعض الثياب والحلي، أصبحت الآن تحتوى عليها إضافة إلى بعض المواد الأخرى مثل: بعض الحلوة، وهاتف، نقال، وبعض الملابس الباهظة الثمن المصنوعة من القفرطان... إلخ، وهذا ما صعب من تكاليف الزواج.

¹ الخطّابة: وهي امرأة اعتادت أن تدخل البيوت بصفة دلالة، فتتعرّف إلى نساء البيت وفنياته، وهي توصي عادة بالبحث عن زوج للفتاة أو زوجة للفتى، فتكون صلة التعارف بينهما. ينظر أحمد أمين، المصدر السابق، ص 192.

² يد ابنتهم: هي كناية عن أن الفتاة ستكون زوجة لأبنهم.

2- 1 - الحلي: خاتم من ذهب، وآخر من فضة، وبعض الأساور والأقراط من الفضة، وتختلف كمية الحلي من أسرة لأخرى، ومن قصر لآخر، وهذا حسب الأعراف والتقاليد، فمثلا يحدد بعض القصور كمية الحلي بخاتم من فضة فقط. والتفاهم بين عائلة العريس والعروس يلعب دور كبير في ذلك.

3- 1 - الزمن: يفضل أغلب أفراد المجتمع أن تكون الخطوبة في أيام مخصوصة من السنة تيمنا بفضلها ورجاء لبركتها، وتعد ليلة القدر أفضل الأيام التي يقدم فيها الخطيب خطوبته.

(ب) أيام العرس: بعد أن تتم الخطوبة يشتغل أفراد الأسرتين في التحضير للعرس لأن في عرف أهل المنطقة التأخر من العادات السيئة والتي يذم مرتكبها، وربما ذلك ما يجعل الخطوبة لا تتقدم على العرس إلا بضعة أشهر في أغلب الأحيان، وعادات وتقاليد حفل العرس في المنطقة عرفت تغيرات كبيرة وذلك لعدة أسباب:

- بعض العادات القديمة كانت تتعارض مع الشرع و لا يتقبلها العقل، مثل أن بعض سكان توات كانوا بعد أن يدخل العريس على زوجته في يوم البناء، ينتظرون قرب البيت حتى يخرج لهم الوزير¹ قطعة من القماش ملطخة بالدماء كناية عن عذرية المرء، وهذه العادة عرفت كذلك بعض المجتمعات الفلاحية في مصر¹ فكما ذكر أحمد أمين بأنه عندما

¹ الوزير، هو أحد الرجال الذين يقدمون المساعدة للعريس طيلة الأيام السبعة.

يتصل الرجل بزوجته في ليلة الدخلة يطمئن أهلها على سلوكها
وطهارتها ببقاء بكارتها إلى اليوم، فيخرج أبوها بشاشة ملوثة، ويصيح
هو وأهلها: " بيضت الشاشة يا عروسة" ويغني النساء أيضا¹:

شَرَفَتْ أَهْلَهَا يَا عَرُوسَةَ
عَلَّيْتُ رَأْسَ أَبُوكِ يَا عَرُوسَةَ
حَلَّقَ فِي وَدَّانِكُ يَا عَرُوسَةَ

— والأمر الثاني يعود للتغيرات الكبيرة التي أضحى عليها العصر، وما
أدخلته الأقمار الصناعية والإنترنات للمجتمعات من عادات غريبة عنها
استحسنتها بعد فترة زمنية قصيرة، ودافعت عنها وتكررت لعادات آبائها.
وبعد وقوفنا على بعض الأسباب التي كانت وراء تغير عادات
وتقاليد العرس في المنطقة، نجد أن العرس يمر بمراحل هي:

(د) — بالنسبة للعروس:

تنتطق التحضيرات قبل العرس بثلاث أيام بالنسبة للعروس، فيتم
خلالها تحضير العطور، والتي تشرف عليها عائلة العروس ، وهي
تتكون من (المسنكة، و المسك، والجاوي، والزعفران ، والنوار...إلخ)
فيطحن هذا البخور على حجارة خاصة يكون شكلها دائري تحتوي على
حفرة في الوسط، لمنع تسرب المواد أثناء الطحن، ولغرض تنقية

¹ نفسه، ص332.

الحجرة قبل طحن البخور تطحن عليها أولا بعض الأشياء وهي: بعض التمر اليابس، وعود قماري، والورد، وبعد ذلك تصبح جاهزة للاستعمال فيحضر البخور المذكور سابقا ويطحن، وبعد طحنه يوضع في أواني العروس، ويعرض للشمس لمدة ثلاث أيام حتى يجف، ثم تشكل منه كريات صغيرة، توضع مع جهاز العروس لتتطير بها أيام العرس السبعة، وتهدي منه لبعض أصحابها.

وقبل يوم العرس تقيم أسرة العروس احتفال لبنتهم يقدمون فيه الطعام لأهل القرية، وتسمى الحنة الصغيرة ، فتستدعي الفتاة أصحابها ، ثم تقوم الأم بإقامة وليمة أخرى تستدعي فيها نساء المنطقة ومعارفها وأقربائها، وتتشكل عادة هذه الوجبة من: الكسكس، واللحم، والبيض، وبعض الفواكه الموسمية، وأحد المشروبات الغازية، وأخيرا يقدم الشاي الصراوي ليعلن نهاية وجبة العشاء. وبعد الانتهاء من الأكل يتجه الحضور لحضور بعض الفرق الفلكلورية التي تحضرها الأسرة للمشاركة في الاحتفال، وإضافة بعض السرور على العرس، ومن الأنواع التي يفضل مشاركتها، قرقابو، والطبل ، والبارود... ولكن الطبل هو المفضل عادة، كونه يناسب هذه المناسبة لطابعه الغزلي، وهذه الأنواع سنفصل فيها الكلام عند حديثنا عن الرقصات الشعبية بالمنطقة.

وأثناء هذا الاحتفال توزع على الحضور بعض المكسرات والبقوليات، ومنها، الفول، والكاكاو، والشاي، وملح العروس¹.

ويوم قبل العرس تنتقل العروس من بيتهم إلى إحدى بيوت أقاربها، لتبيت ليلتها هناك بعيداً عن ضجيج العرس في بيتهم، وهناك تجهز بإشراف أهلها و صديقاتها وأصحابها الذين يبقون معها هناك، ويسمرون أثناء تلك الليلة بالطبل والزغاريد حتى وقت متأخر من الليل.

وفي صبيحة يوم العرس تعد أسرة العروس كذلك وجبة خاصة تسمى " قصعة السلوم" وتتكون من الكسكس إضافة إلى قفة مليئة بالفول، وتوضع فوقها مئة بيضة، تقدم للعريس يتناولها مع رفاقه.

وبعد صلاة العصر يخرج أهل العروس جهاز عروسهم²، من بيتهم إلى بيتها الجديد، ويشرف على هذه العملية كل من تثق فيهم الأسرة خشية تعرضه للسرقة، وعادة إخوانها وأبناء عموماتها هم من يقوم بذلك، ويكون ذلك بالدف والزغاريد، وهناك عادة خاصة حيث يوضع الجهاز فوق فراش موضوع على مهراس³ من الخشب، ثم يأخذ منديل أحمر

¹ ملح العروس: هي عبارة دقيق يتكون من طحين بعض البقوليات و المكسرات الجافة والمحمصة، مثل الفول والحمص، وبعض التوابل مثل الفلفل الأسود، والملح...، تقدمها النساء أثناء العرس،و المناسبات الدينية، والشعبية...

² جهاز العروس: هو أغراضها التي تنقلها من بيتهم إلى بيتها الجديد، وتشكل من الأواني، والأفرشة، والثياب...

³ المهراس: هو أداة مصنوعة من الخشب تخصص لتكسير التمر. وبعض المواد الصلبة.

من جهاز العروس، وعمامة العريس ويرقص بهما الحضور تحت دف
فرقة فلكلورية تستدعيها الأسرة ، حتى مغيب شمس ذلك اليوم.

والعروس خلال هذه الفترة يزينها أصحابها بمواد الزينة، وهي:
الكحل، والمسواك، والحناء، وترتدي ملابس جديدة، وتضع فوقها قطعة
قماش بيضاء مثقوبة عند الرأس، ويوضع لها عند رأسها منديل أحمر ،
وتعقد لها عند عقبها عشبة "أم الناس" بعد وضعها في قطعة قماش
معقودة على شكل سرّة، وبعد تجهيزها تغطي بحايك أبيض¹، وتجلس
على كرسي تنتظر وقت نقلها لزوجها بعد العقد، ومن عادة سكان
المنطقة أن الأخ الأكبر للعروس هو الذي يوقفها من مكانها ليكمل النساء
نقلها لبيت زوجها بالدف والزغاريد وهم يرددنا أهازيج منها:

تَالْمِيلُ خَرَجِي يَا لَالَةَ مَن مَوْلَاتِي الْغَزَالَةُ لَالَةَ

وَادَّعِي أَبَاكَ وَوَادَّعِي أُمَّكَ وَيَا لَاهِي نَرَوْحُوا لِدَارِكَ

وَدَّعْنَاهَا مَاتَلَاتُ تَوَلِي أَلَا زَايِرَةَ

تصل العروس إلى زوجها عادة في الليل حتى وإن كان العقد في
الصباح، وقبل وصولها للقصر الذي يسكن فيه العريس إن كان لا يسكن

¹ تفضل بعض العرائس حائك قديم لأمهاتهم أو جداتهم، تيمنا ببركتهم ورجائها. ويكون جديد
أبيض ناصع.

في نفس القصر الذي تسكن فيه هي¹ يطوف بها الموكب الذي ينقلها إلى بيتها— والذي يشرف على تكاليفه العريس² — القصور³ الموجودة بين قصرها وقصره، ويكون إلى جانب العروس فتاة صغيرة من أبناء إخوانها تسمى في المنطقة " تسبرقان" والهدف من ذلك هو التفاؤل لها بالخير، وتصل في وقت متأخر، وأحيانا بعد شعور العريس بالتعب والنوم، وحين وصولها للبيت يعود النشاط وتتجدد الحيوية، فتنزل المرأة من المركب وهي ملتفة في ثيابها وعليها إزار أبيض يسترها بالكامل، ويقودها النسوة وهن يزغردن، وهناك عادة يمارسها قبل دخول المرأة للبيت، حيث يكسرن بيضة أمام بيتها، وهذا حسب اعتقادهن تفاؤل يطرد الشر والحسد من بينها وبين زوجها، ويكون بداية لحياة جديدة، وأثناء ذلك يردد النسوة مجموعة من الأهازيج من بينها:

بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ وَالصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

¹ لفترة طويلة من الزمن كان سكان منطقة توات، يفضلون الزواج من الأقارب ، ومن القصر الذي يسكنون فيه، وهذا لعدة اعتبارات منها تقليل تكلفة العرس، وعدم توفر المواصلات التي تقرب بينهم لغرض التعارف، مع شساعة مساحة الصحراء، وإن كانت هذه العادة تكاد تختفي في يومنا هذا.

² كانت الجمال والحمير قديما هي الوسيلة التي تنقل العروس إلى بيت زوجها. فتركب عليها العروس بعد وضع الجحفة على ظهر الجمل.

³ القصر يقصد به هنا القرية، إذ من عادة سكان المنطقة تسمية القرية بالقصر، لأن القرية في أساسها ما هي إلا توسعة للقصر الذي كان يجمع جميع السكان في داخله، والذي يسمى أحيانا باسم القصبية.

رَاحَتْ لَأَلَّةٌ رَاحَتْ أَوْ رَاحَ الْخَيْرَ مَعَهَا
 يَا لَعْرِيسَ يَا بُونِقَابَ جَبْنَا لِيكَ الْعَرُوسَةَ
 جَبْنَا لِيكَ الْعَرُوسَةَ بِالْمَالِ وَالذُّرْيَةِ
 يَا لَعْرِيسَ يَا بُونِقَابَ يَا مُولَ السَّاقِ الْأَبْيَضِ
 سَمَّاتُوا وَسَمَّاهَا سَمَّاتُوا فَصَلَ مِيَةَ
 سَمَّاتُوا فَصَلَ مِيَةَ سَمَّاهَا مَغِيلِيَةَ
 يَا سَعْدَ اللَّيِّ جَابَهَا فَارْحُوا يَا جِيرَانَهَا

وبعد ذلك تدخل المرأة لبيتها الجديد، ويوضع إزار على مدخل البيت، وتأخذ العروس في يديها سكين تمرره على جدران البيت، وفي النهاية تثبت وتد في ركن من أركان البيت: ويردد النسوة:

سَمَّرَتْ أَوْتَادَهَا وَرَبَّاتٌ أَوْلَادَهَا
 يَجْعَلُهَا لَأَلَّةٌ خَضَّارَةً مَبْرُوكَةً عَلَيْهِ

فجميع هذه الأغاني التي تردها النسوة في هذه المناسبة تشير للتفاؤل بهذا العرس، وهذه العروسة التي ستملأ هذا البيت سعادة وبهجة ورخاء. وبعد ذلك تترك في الغرفة الأولى إلى حين قدوم العريس.

وفي الصباح يأتي للعروس طبقا يحوي " ربع خروف من اللحم" وحذاء ، وإزار، وعطور، وفتان ... " ويسمى هذا الجهاز بالصباح تقدمه أم العريس لزوجته ابنتها فرحا بها، ربع اللحم يقطع ويطبخ مع العدس وتأكل منه العروس وأهلها، وجميع الحاضرين.

تمكث المرأة في بيتها سبعة أيام لا تخرج منه يأتيها الغداء والعشاء من بيت أهل زوجها، وفي اليوم السابع يحضر النساء كي يزينوا العروسة حتى تذهب إلى بيت أهل زوجها تلبس إزار أبيض، أو أزرق بالهدوبة، ويوضع على صدرها خلالة كالعقدة، وتزين بالأساور¹ والقلائد، في يديها وقدميها، ويسرح لها شعرها ويزين بالعقد والعقيق، وفي رقبتها من الخلف يوضع لها البياض، وتحزم بعمامة² زوجها، وتغطي بإزار، ومن فوقه منديل أحمر.

بعد ذلك يطوف بها النسوة في القصر وهن يرددن :

لبست الإزار المختة لا يقطع ليها رجا

العزبة ولات شابة انطلبوا مولانا...

¹ تسمى باللهجة المحلية الدبالج، وهي مصنوعة من الفضة في الغالب.

² العمامة هي قطعة من القماش بيضاء تكون مستطيلة، يضعها الرجل على رأسه للزينة، والوقاية من الشمس، يختلف طولها من شخص لأخر فهي من ثلاث أمتار إلى ثمانية أمتار في الغالب .

وأثناء ذلك يقدم لها النسوة بعض الهدايا من النقود أو القوت أو أي شيء. وبعد هذه العملية تصبح العروس حرة تخرج وتتدخل لبيتها وقت شاءت، وفي اليوم الثامن تذهب العروس مع زوجها إلى زيارة أبيها وأمها، ويتناولون العشاء هناك ثم يعودون لبيتهم لينعموا بحياة يملأها الهناء والسعادة والسرور.

هـ) بالنسبة للعريس: بعد قدوم يوم العرس الذي يكون اختياره متبادل بين أهل العروس والعريس، يستعد أهل العريس لذلك بتحضير متطلبات الحفل الذي يعد يوم تاريخي في حياة هذا البيت الجديد، فيحضر أهالي العريس إلى البيت وكل منهم يحضر معه عدد من المساعدات مثل السكر والزيت والحليب والقهوة والدقيق والتمر ... ويحرص مقربي العريس كالأخ والأخت، والعم والعمة، والخال والخالة على إحضار خروف لتغطية جزء من نفقات العرس.

وينطلق العرس في بيت العريس بيوم قبل يوم الدخلة يقوم فيه أهل العريس بإطعام سكان القرية ، كما تحرص أم العريس على إكرام النساء في هذا اليوم من القرية وخارجها، وتحرص النساء المدعوات على إحضار مبلغ من المال معهم للمساهمة في مصاريف العرس، والمبلغ المتعارف عليه 200دج فأكثر، خلال اجتماع النساء قبل الغداء يعقدون سوقا تحت خيمة وضعت لهم فيتبادل النساء خلالها منتوجاتهم من ثياب وحلي وأدوية تقليدية ، وبذلك تكون المناسبة فرصة للتسوق وعرض

المنتجات كذلك، وتستمر النساء في الغناء والرقص من الصباح حتى بعد العصر. وبعد ذلك تنفض النساء ليتفرغ أهل العريس لعريسهم.

وأول ما يشرف عليه الوالدان قديما هو اختيار وزير¹ يشرف على خدمة ولدهم طيلة أيام العرس ويكون عادة رجلا كبيرا عارف بهذه المهمة وما تحتاجه، ولكن في وقتنا الحالي أصبح العريس هو الذي يختار بنفسه أحد أصدقائه ليساعده، وعادة ما يكون في مثل سنه.

وفي يوم الدخلة تحضر أم العريس لابنها أكلة شعبية تسمى " تكبوس"²، يتناولها مع وزيره وأصدقائه يشرف على تحضيرها أم العريس أو جدته تجنبًا لحدوث ما يكره ويخاف منه.

وبعد صلاة العصر ينفرد بالعريس بعض أصحابه، فيذهب للحمام ويتطهر ويتزين، ويقتني اللباس الخاص بهذه المناسبة³ إن لم يكن قد أعدّه سابقا، وبعد حضور المدعوين وتناولهم للعشاء، يحضر العريس مع

¹ الوزير: هو الرجل الذي يشرف على خدمة السلطان " العريس " فيقدم له نصائح بخصوص الزواج ويحضر له ما يحتاج إليه من أكل وشراب وثياب، فينتقل معه حيثما ذهب فيكون بمثابة الوزير للسلطان ، وبعد نهاية العرس يكرمه أهل العريس بثياب ومبلغ من المال، وذلك حسب سعتهم.

² تكبوس: هي أكلة شعبية تعد من خبز الدقيق الممزوج بالمرق المشبع باللحم والتوابل تقدم للعريس في يوم زفافه.

³ اللباس الذي يفضله سكان المنطقة في هذه المناسبة في العادة هو: عباة بيضاء، وعمامة، وحذاء أو نعلين أبيض اللون، ويتقلد بسيف من حديد، وبرنوس أسود اللون.

أصحابه، وهم يحملون الأدوات التي سيزينه بها إمام القرية¹، وبعدها يلبسه ثيابه ينتقل مع أصحابه إلى بيتهم وهم يرددون قصيدة البردة، ويجلسن معه قرب البيت إلى حين حضور العروس، فيدخلنه إلى بيته وينصرفن إلى أن يكررن العودة صباحا مع الزوال.

وفي يوم الدخلة كانت بالمنطقة بعض العادات السيئة التي ليس لها من الإسلام دليل، ولم ينفرد بها المجتمع التواتي فقط بل تكررت في كثير من المجتمعات الإسلامية داخل الوطن وخارجه، كتلك اللتي أشرنا لها في المدخل الخاص بالزواج.

وجرت عادة أخرى في إحدى القرى ببعض الأرياف المصرية أن يجتمع النساء على الباب ساعة التقاء الرجل بالمرأة يصفقن ويغنين ويهللن حتى ينتهي الأمر، فإذا تأخر عنهن الخبر غنين: " مَرَسَالِكُ غَابَ يَا وَرْدَةَ" فإذا علمن انتهاء الموقف زغردن، ويكون معهن رجل ببندقية فيطلقها في الفضاء إيذانا بالانتهاء.² لكن هذه العادات السيئة انتهت مع الزمن، ونفور المجتمع منها.

¹ ومن ذلك الحنة، والكحل، والثياب التي اشتراها، وخاتم من فضة، العطر، ووجبة تقدم للحضور مشكلة من البيض وبعض البقوليات مثل الفول. والحليب والتمر توزع على الحضور هذه الأخيرة تحضرهم العروس.

² أحمد أمين، المصدر السابق، ص333.

وفي الصباح يحضر سكان القرية لتهنئة العروس والعريس، ويبقى العريس في بيته لمدة سبعة أيام، لا يخرج منه إلا بعد انتهائها، فيطوف به أصحابه في القصر ، ويمرون على بساتين القرية ليقدم لهم أصحابها بعض الخضر والفواكه الموسمية، وبعض الكلاً للماشية.

(ز) - **العقد:** يعد العقد هو الميثاق الذي يربط بين الفتاة والشاب، وتصبح على أثره الفتاة حلاً للشاب بكتاب الله وسنته ، ويتم العقد حسب عادات سكان توات بأن يتم استدعاء الضيوف من القصور المجاورة ليشهدوا العقد ، وعادة يجتمعون في ساحة كبيرة يقدم لهم فيها العشاء المكون من الكسس ولحم والمرق والخضروات وإحدى الفواكه الموسمية ونوع من المشروبات الغازية، ويشهدوا العقد، وعند أوان هذا الأخير يحضر العرسان وكل واحد منهم معه مساعد يطلق عليه باللهجة التواتية "الوزير" فهو وزير الملك العريس، -يحمل الوزير لوازم العريس المشكلة من: قميص أبيض وبرنوس، والحناء ، البخور ، السيف الحديدي، والخاتم والنعلين...،

- **خطبة العقد:** يتقدم أهل العروس والعريس إلى الأمام قصد عقد القران لابنتهم ، وبعد الانتهاء من إكرام الحضور يشرع الإمام في إلقاء خطبة العقد كما يلي:

الحمد لله الذي أحل النكاح وحرّم البغي والسفاح والصلاة والسلام على سيدنا محمد(ص) الذي أمرنا بالفلاح وعلى آله وصحبه ذوي الصلاح والإصلاح ، إن أفصح ما نطق به الناطقون واتعظ به المتعظون كلام مولانا ونحن له عابدون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ بِتَفْوَاهِ رَبِّكُمْ أَلِدِ خَلْفَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِطُوا فِي آلِيَتَيْهِ فَإِنِ اللَّيْتَمِي فَإِنِ كِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْبُئِي وَتَلَّتْ وَرُبِعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴿٢﴾﴾

﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ (ثمن) ٣

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَفْوَاهِ اللَّهِ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٤﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾

أما بعد فإن الله تبارك اسمه وتعالى عظمته جعل المصاهرة سببا لاحقا وأمر مفترضا ، فأوشج بها الأرحام وألزم بها الأنام ، قال عز من قائل:

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥﴾﴾

فأمر الله يجري إلى قضائه وقضاؤه يجري إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ، ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وكان من قضاء الله وقدره أن صحت تقاته وحقت مروته

¹ سورة النساء: الآية 01

² سورة النساء، الآية 03.

³ سورة الروم، الآية 20.

⁴ سورة الأحزاب، الآية 70، 71.

⁵ سورة الفرقان، الآية 54.

ورغب في مصاهرتكم والانضمام إلى حرمتكم فزوجوا راغبكم وانكحوا خاطبكم مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادا عريض "

وقال صلى الله عليه وسلم حاثا أمته على النكاح : تتاكحوا تتاسلوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة، وخص الشباب بقوله فقال: " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء. اعقدوا نكاحكم على بركة الله

وبعد نهاية الخطبة يتبادل أهل العروس الوكالة وتقتصر على كبار القبيلة أو العائلة، وتنتقل من واحد لآخر إلى أن تعود للإمام، الذي يعقد النكاح فيقول:

أشهدكم معشر الحاضرين والله تعالى أكبر الشاهدين أني زوجت السيدة (فلانة ابنة) من السيد (فلان ابن) على فرائض الله وسنة رسوله ، وعلى ما تراضي عليه من الصداق، أشهدكم أني قبلته لها وقبلتها له لحكم وكالتهما إياي ، وعلى ما جاء في التنزيل من : ﴿ اٰطَلَوْۤا مَرَّتَيْنِۙ فَاِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍۙ اَوْ تَسْرِيْحٌۢ بِاِخْسَاسٍۙ۝۱۱۱﴾¹

اللهم بارك فيهما واجعل وارثهما منهما يا أرحم الرحمين، وألف بينهم كما ألفت بين آدم (عليه السلام) وحواء يا أرحم الراحمين ، ومحمد(ص) وخديجة وعلي وفاطمة إنك على كل شيء قدير ، اللهم

¹ سورة البقرة، الآية 226.

ارزقهما بنين وحفدة ومن الطيبات إنك على كل شيء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعدما ينتهي دور البنت ينتقل الدور للشبان (العريس) ، الذين يرتدون لباسهم الجديد أمام الحضور الذين يشكلون عليهم دائرة ويغطونهم بغطاء وهم يرددون قصيدة البردة للإمام البصيري .
وعند النهاية يبارك الحضور للعريس ويهنئونه ، ثم يتوجه معه أصحابه إلى بيته وهم يرددون قصيد البردة في الطريق، ولا ينصرفون إلا بعد دخوله للبيت.

ويقضي العريس في بيته حسب عرف المنطقة سبعة أيام لا يبرحه، وكل ما يحتاجه يحضره له أهله بواسطة مساعده الوزير، وخلال تلك الأيام يحضر عنده أصحابه وأقاربه لتهنئته على دخول هذه المرحلة الجديدة من حياته، وبعد انقضائها يخرج مع بعض رفقته إلى مكان متعارف عليه مثل: أقدم فقارة في القصر، أو أول مكان استقر به سكان القصر عند دخولهم لأول مرة، ويطوف معهم القصر ليعلن بذلك نهاية حداده داخل بيته وتحلله، والمرأة كذلك، لكن في أيامنا أصبحت هذه المدة ثلاثة أيام فقط.

بهذه الطريقة يحي المجتمع التواتي احتفالاته اليومية والسنوية، ولعل ما يميزها هو انطباعها بالصبغة الشعبية فهي تكاد تخلوا من المراسيم الرسمية التي يحكمها القانون النظامي، فلأعراف دور كبير في رسم خطوطها العريضة التي يتقيد بها الأفراد، كما أنها تتميز بالبساطة

والسهولة خالية من الطقوس المعقدة، لها تشابه كبير مع العادات الممارسة في بقية المجتمعات المجاورة لها على أرض الوطن، وبعض العادات الممارسة في الدول المجاورة خاصة منطقة السودان الغربي، وبلدان المغرب العربي، ومصر، وهو ما يؤكد التأثير والتأثر الكبير الذي عرفته المنطقة مع هذه البلدان.

(4) الأغاني والرقصات الشعبية بالمنطقة:

يحي المجتمع التواتي أفراده بالعديد من الأهازيج، والفنون الشعبية التي تزیده بهجة، وتميزاً عن غيره من الحفلات المشابهة له عند غيره من المجتمعات، ولعل ما ميزها هو أنها ليست محلية الابتكار فقط بل هناك العديد من الرقصات التي دخلت المنطقة مع الوفود التي قدمت لها، وعملت على تكيفها مع شريعة المجتمع الدينية، وتقاليده، حتى أصبح الزائر للمنطقة يظن أنها محلية، كما يستعمل في إيقاعها وسائل بسيطة غير مكلفة محلية الصنع، مثل جلود الأغنام والماعز، والطين التي تسخن لتصبح فخاراً، وبعض أجزاء النخل، ومن تلك الإيقاعات نجد:

(أ) - الحضرة الصوفية: الحضرة هي مصطلح صوفي خالص استمد تسميته من دخول الأتباع والمريدين في أدائهم لبعض المدائح والتوسل

والأدعية بطريقة خاصة ، ويؤدى هذا الإيقاع بمنطقة توات جماعيا حيث تقف المجموعة في صفين متقابلين وجها لوجه ويتقدم في وسطهم رؤساء الفرقة وروادها من الأمام والخلف، وهم يرددون المدائح والأذكار، وتردد خلفهم كل الفرقة ينطلق الإيقاع رتبيا متناقلا ويتصاعد شيئا فشيئا إلى أن يصل إلى درجة الانسجام التام بين أعضاء الفرقة والإيقاع حتى أن البعض يغمى عليهم في بعض المناطق التي تنتشر فيها الحضرة في مختلف مناطق العالم الإسلامي، وهذا للأثر العميق الذي تتركه في نفوس الجماهير التي تشهدها، ويمارس السماع الصوفي بمختلف مناطق توات. وإيقاع الحضرة بالمنطقة يتم بواسطة جماعة حاملين للبنادير والطبل، وهم جالسون في بعض الأحيان ، أو واقفون أحيانا أخرى¹ ، هو على درجتين ، ففي الأول يكون هادئ تردد فيه القصيدة من طرف أحد المداحين الذين يحفظونها، وما أن يصل إلى نهايتها حتى يتغير الإيقاع إلى درجة أعلى من الأول، وهنا تظهر الحضرة في أعلى مستوياتها، والحضور في قمة انسجامهم وتناغمهم مع إيقاعها وأذكارها، وتبقى هكذا إلى أن تختم المدحة الأولى، وبنفس هذا الشكل تؤدى المدائح الأخرى.

والحضرة بمنطقة توات تنهل من المدائح، والأذكار، و الأدعية، والنصائح التي يقدمها رجال التصوف في قالب شعري، غالبا ما تكون من الشعر الملحون الذي يستمد مفرداته في أغلب الأحيان من قاموس العامة وما تجود به قريحتهم، وربما ذلك مقصودا وليس مرتبط بتقافة الشاعر الصوفي، حتى يسهل حفظها من طرف العامة، وإيصال الرسالة

¹ محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ج2، ص399.

المقصودة ، والتي تحمل في كثير من الأحيان أغراض مختلفة، كالمدح والنصح والدعاء ...، ولهذا السبب ربما نجد مدائح الحضرة تكاد توجد في محفوظ أغلب سكان الإقليم بغض النظر عن المهتمين كالمداحين ومقدم الطريقة، فنجد المرأة التواتية تهدي طفلها من البكاء بأبيات من الحضرة ، والفلاح يمارس عمله الشاق في بستانه وهو يردد أبيات كذلك، وكل هذا يؤكد مدى تغلغل الفكر الصوفي والحضرة خصوصا في الوسط الشعبي بإقليم توات.

(ب) - رقصة البارود:

تنتشر هذه الرقصة في مناطق كثيرة من الوطن والعالم، لكن تكمن المفارقة في " الصيغ " والتي هي تلك العبارات المسموعة التي يتغنى بها الراقصون وتختلف من منطقة إلى أخرى . فتؤدى الرقصة في الإقليم في عدة مناسبات ،ففي البداية يتشاور كبار الفرقة مع الصيغ حول الصيغة التي سيدخلون بها إلى الحلقة ثم يرددونها مرات متكررة حتى يحفظونها وبعد ذلك ينادون على الآخرين فيجتمع الكل ليشكلوا صفا واحدا ويشرعون في الدخول إلى الساحة لعرض الرقصة على الحضور الذين يتوافدون من جميع نواحي الإقليم لحضور هذا الاحتفال، وتتشكل حلقة رويدا وهم يرددون الصيغة مع ضرب الدفوف واقلون وقد يحضر الزمار في بعض الأحيان، وفي الأخير يحدث الانفجار الذي يطلق عليه في المنطقة "القرص" .

وهذه الرقصة في أصلها رقصة قتالية كانت تستعمل لدفاع عن الحياض والقرى والقصور بالمنطقة وكان يمزج مع البارود قطع حديدية

،وارتبطت محليا ب "الزيارات " التي تقام على مدار السنة لزيارة
أضرحة الأولياء الموجودين تقريبا في كل القصور التواتية .¹

(ج) - رقصة العبيد (قراقبو) : يرجع البعض أصل هذه الرقصة إلى
عهد الرسول "صلى الله عليه وسلم " والبعض الآخر يرجعها إلى
الأصول الإفريقية وذلك حين اخذ مجموعة من الأسرى يحدثون إيقاعات
بسلاسلهم وأغلالهم التي كانوا يغلون بها.

والآلات التي تستعمل فيها هي " الدندون"² "القلال" "القراقيب"³،
والأشخاص الذين يؤدون هذه الرقصة في بعض النواحي هم خاصين
وينحدرون من عائلات محددة يطلق عليهم " أولاد العبيد " وهم
يتوارثونها أب عن جد حتى اليوم ، والأغاني التي تردد فيها فإنها عبارة
عن ذكر الله والرسول "صلى الله عليه وسلم " والصحابة والأولياء
،وهناك موسم محدد تتجول فيه هذه الفرق لتدخل البيوت الموجودة في
القرية والقصر وتؤدي في كل بيت مجموعة من الأغاني والرقصات
مقابل صدقة يمنحها أصحاب البيت لهم يطلق عليها الذكار.⁴

¹ - عاشور سرقمة ، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات ،دار الغرب للنشر والتوزيع
،وهران ،2004م ،ص64.

² - الدندون :آلة تقليدية دائرية الشكل يوضع عليها جلد من الجهتين ويضرب عليها بالعصي
من الجهتين .

³ - القراقيب:هي عبارة عن صفائح نحاسية ذات شكل خاص يتم العزف بها بضرب بعضها
ببعض.

⁴ - نفسه،ص63.

(د) - الطبل: الطبل بفتح الطاء، وتسكين الباء، هو آلة موسيقية قديمة، ومعروفة أخذ هذا الإيقاع تسميته بالنظر إلى الضرب على الطبل المصنوع من الجلد، والذي يطلق عليه محليا (أقلال) وتكون بثلاث أنواع مختلفة في الحجم، والصوت الذي تصدره، وبعد الضرب بصفة متناسقة من بعض رجال الفرقة تصدر صوتاً متناسقا يؤثر على الحضور. ويضاف لهذه الآلات المزمار المحلي الصنع.

يؤدي الأفراد إيقاع الطبل في شكل صفوف متلاصقة ومتوازية، ويبني أساسا على ترديد قصائد غزلية، أو وصفية في الغالب، حيث يكون الأداء فرديا أو جماعيا، وهكذا حتى تنتهي القصيدة، وبعدها تستبدل بمقطوعة خفيفة، ومعها يتغير الإيقاع كلياً من إيقاع رزين ثقيل إلى ثقيل خفيف سريع، يتقاطع فيه التصفيق والأداء جنبا إلى جنب.

ولعل أكثر من اشتهر بقصائد هذا الفن في المنطقة هو " سيد احمد لكلل" و" الشلالي"¹ ومما ينسب لهذا الأخير من القصائد قصيدة" طفلة امجيحة دلالي" ومما جاء في مطلعها:

¹ الشلالي: هو زاوي من أحفاد سيدي الشيخ المشهور " بلابيض" من آل أبي بكر الصديق شخصية معروفة في منطقة توات، كان يقول الشعر الملجون، وتغنى به الناس حينها في أفراحهم، قدم إلى المنطقة حوالي 1240هـ ونزل بعد قدومه مباشرة بقرية تتلان بالمنطقة، وقال عند دخوله للمنطقة:

شوقني ذا الفريق يوم غدا زراب يا الطالب دوات على أنجوعها كيلا
وعند خروجه قال:

طَفَلَةٌ أَمْجَبِحَةٌ دَلَّالِي مَقَوَانِي مَنَهَا الْقَلْبَ زَادَ أَعْدَابُ

يَأْمَنُ اضْرَرَ اِيضُورَ شَرَعَ اللهُ فِي نَاسِهَا اِيْعُودَ اِيصِيْبُ

وعموما كانت أغلب قصائد هذا النوع من الفنون الشعبية بالمنطقة غزلية تتغنى بالمرأة وجمالها، فأقبل عليها الكثير خاصة أثناء الأعراس، فكانت متنفسا له ليعبر عن ما يختلج في صدره من تلك الأحاسيس التي لا يمكنه التعبير عنها بصراحة بين الجماعة.

(هـ) إيقاع الركبية: وسمي بذلك لأن الإيقاع في أصله يؤدي قعودا على الركب، والإيقاع يؤدي في شكل صفين متقابلين، بحيث يتقاطع كل فرد من الصف الأول مع نظيره من الصف الثاني بينما يكون مقدم المقاطع في وسط الصفين لتغيير الإيقاع والكلمات ومما يقال فيها مثلا:

الرَّكْبِيَّةُ مَشَاتُ بِيَّ رَبِّي يَهْدِيهَا عَلَيَّ

(و) - رقصة باب عاشور: هو إيقاع نسوي عادي يحمل تسميته من مناسبة أدائه (وهي الأيام العشرة الأولى من شهر محرم لكنه خاص بالنساء، يكون بعد صلاة العشاء ليلا، حيث يجتمع النسوة ويتغنين بالرسول(ص) بعدد من الأغاني التي يصاحبها الضرب على الدف والتصفيق.

ضافت روجي ملبت بين حيطان مايزهي شي تومي ابناات ساهر

ثقلي في المولى خالي أو ظاهر ينظر نفسه، ص05.

(ز) - إيقاع إيشو: هو نوع من الرقص تشتهر به خصوصا قرية أولاد الحاج ببلدية زاوية الكنتة، وزاقلوا بتوات الوسطى، ويقوم أساسا على ملاعبة شخص معين من قبيلة محددة من قصر أولاد الحاج بعد ارتدائه لعباءة من ألياف النخيل " الفدام " القابلة للاشتعال، ويتراقص في وسط جمع من الحضور على أنغام قصائد محددة، ويحيط بشخص " إيشو " شخصيات مساعدة أثناء الرقص، ولهذا لصرف الصبية والفضوليين عنه، وكذا لحفظه من كل سوء كالتعرض للحريق بالنار نتيجة شعلة يرميها أحد الحضور على كسوته المشكلة من ألياف النخيلة السريعة الاشتعال.

(ح) - إيقاع التندي: هو إيقاع تشتهر به بعض القبائل في المنطقة فقط " وهم التوارث"، و يوجد بالتحديد بناحية الحي الغربي بأدرار، ومنطقتي برج باجي المختار، وتيمياوين ، حيث تتغنى فيه المرأة التارقية بصنوف متعددة من البطولات، والحماسة، والغزل العفيف، ويستعمل فيه طبل أرضي يصدر إيقاعا جرّاء ضرب اليدين عليه بالتناوب، وقد توضع قطرات من الماء على جلد الطبل، قصد تليينه.

(ط) - إيقاع صارة: يعتمد هذا الإيقاع في أدائه أساسا على الرقص الثنائي بين فردين داخل حلقة جماعية، ويبنى الإيقاع فيه على تقاطع أصوات المغنيين مع أصوات العصي المضروبة مع بعضها البعض، حيث يقوم كل فرد بضرب عصاة الفرد الذي أمامه في المرة الأولى، ثم

الفرد الذي خلفه في المرة الموالية. ولا تستعمل فيه الطلقات النارية كالبارود مثلا، فهي من الإيقاعات التي كان يلتجئ إليها الفلاحون أثناء أيام الحرث فيستعملون معاولهم في ذلك لغرض الترويح على النفس، وزيادة نشاطها.

ك) - إيقاع الحسانية: وهو غناء باللغة الحسانية التي تستعملها بعض القبائل المتواجدة بالحي الغربي بمقر الولاية ، وبرج باجي المختار، وتيمياوين من برايبش، وكننة، وبني ملوك، وحسان، حيث تعتبر اللغة الحسانية أقرب قليلا للغة العربية.

ل) - إيقاع التويذة: التويذة كلمة يقصد بها التعاون والتضامن في مختلف لنشاطات خاصة الفلاحية منها، وأصل الإيقاع مبني على فكرة العمل الجماعي المقرون بأدائه، والهدف منه هو تنشيط العمال وتحفيزهم نحو العمل أكثر، يبني إيقاع التويذة أساسا على أصوات الطبل الممزوج ببعض الأداءات الجماعي لبعض المقاطع الغنائية الخاصة ، حيث يكون أصحاب الطبل وجها لوجه، كما يشترك العمال أيضا في أداء هذا الإيقاع من البداية إلى النهاية، أما عن أوقاته ، فهو يؤدي في كل مناسبات التعاون الجماعية مثل: إصلاح الفقاير ، ومواسم الحصاد، والدرس، ونزع الرمال عن البساتين، وفك العزلة التي تسببها الأدوية

1

المفاجئة أو الرمال على الأفراد، والأملاك.

¹ محمد الصالح حوتية، المرجع السابق، ج2، ص401.

التوزيع تظاهرة شعبية تقام في عدة مناطق من الوطن وتعني التضامن، حيث تنظم في موسم الحصاد وتشييد البناء الجديد أو في المواسم الدينية مثل الأعياد ورمضان وبعض الاحتفالات الشعبية، التي تقام على شرف وذكرى الأولياء الصالحين. يلعب صوت الطبل دوراً أساسياً في إيقاع التوزيع حيث يمتزج الإيقاع على الطبل بالأصوات الرجالية والنسائية التي تقوم بأداء الأهازيج الشعبية والأغاني الجماعية التي تبعث الحماسة في الجماعة التي تقوم بالعمل، وتبدأ المجموعة التي تمسك الطبل بالوقوف وجهاً لوجه أمام العمال أو خلفهم بأداء الأغاني، ويردد باقي العمال المقاطع التي ينطق بها صاحب الطبل الذي يكون عادة مايسترو الحلقة والمتحكم في الإيقاع الذي له بداية ونهاية، يكون ترددها من قبل العمال. ففي شكل جماعي وفي آن واحد فيما يشبه

1

الجوق، ومما يرددونه قولهم: (لا إله إلا الله دائماً ما أحلاها في لساني)، وتختتم الجلسة بتوزيع الأكل على الجميع، بعدما يكون قد تم تحضيره بطريقة جماعية من قبل النسوة

(م) — إيقاع برزانة: هو إيقاع شبيه إلى حد كبير بإيقاع صارة في شكله وأدائه غير أنه يبدأ في حلقة دائرية ، وبإيقاع بطيء ثم يتسارع مع الوقت من مقاطعه النغمية:

الله الله يارسول النبي محمد أيا رسولنا

¹ نفسه.

لقد استطاعت هذه الإيقاعات المختلفة أن تدخل بعض السرور على احتفالات سكان المنطقة المختلفة، الدينية منها والشعبية، فلا يكاد يخلوا احتفال منها، كما أن الاحتفالات تقيدت بالتعاليم الإسلامية، وهو ما جعلها تصطبغ بالصبغة الإسلامية وتتشابه مع الكثير من الاحتفالات في بقية دول العالم الإسلامي. كما أنها جاءت لتلبي رغبة التواتي في الفرجة، والتعبير عن فرحته.

الفصل الثاني: العادات المرتبطة بالتعليم والنشاطات الاقتصادية.

.المبحث الأول: العادات المرتبطة بالتعليم.

- تمهيد

1- المراحل التعليمية

2 - مناهج التعليم

— مناهج التعليم عند المسلمين

3- منهج التعليم بمنطقة توات

- سن التعليم - التلقين - الكتابة.

- الثواب والعقاب

- أوقات التدريس

- الراحة والعطل

- المواد التعليمية

- بعض رواد التعليم بالمنطقة

المبحث الأول: العادات والتقاليد المرتبطة بالتعليم.

تمهيد:

يعد العلم من الأسس التي تعتمد عليها الأمم والمجتمعات في بناء حضارتها، ولهذا أولت له عناية كبيرة، فخطت له قوانين تنظمه، ومواد مخصصة لتحصيله تختلف حسب قدرة الطالب على الاستيعاب، وسنت له عادات وتقاليد تسهل ممارسته وتحصيله، وارتبطت هذه الأخيرة بالظروف البيئية والاجتماعية والتاريخية للمجتمعات، وكل ذلك للأهمية التي يحظى بها العلم في قيام المجتمعات وإصلاحها، ولهذا ابتداءً الله سبحانه وتعالى رسالة وشرائع أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم به، فقال سبحانه مخاطباً نبيه (ﷺ): ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾¹، وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال " تعلموا العلم، فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة به يطاع الله، وبه يوحد، وبه يمجد، وبه يتورع، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام"²

فكلما ازدادت درجة العلم والتفقه في الدين ثقل ميزان الإيمان والتقوى، سوى الله عز وجل بين الذكر والأنثى في طلب العلم لأن العبادة بدون

¹ سورة العلق الآية 01.

² غنية قري، آثار العلم في حياة المرأة، رسالة المسجد، العدد الثالث، ربيع الأول

علم كبنيان بدون أساس، فبالعلم يدرك المسلم أركان الصلاة، وصحة شروطها ، وحسن أدائها، وبطلانها، وبالعلم يدرك قيمة الوقت، واستغلاله في استعمار الدنيا، واخذ الريادة فيها.

كما أن تعلم الطفل يعد بالنسبة للأسرة زخرا وأمانا، فإذا أولت عناية كبيرة بالاهتمام بحاجيات الطفل المادية، وأغفلت العناية بتربية نفسه جار عليه ذلك في كبره، فالطفل صورة لعائلته، فكل ما فيها من خير أو شر، وكل ما سمعه وراه ينطبع فيه، ولهذا كان جهد الأمهات كبيرا في تربية الأبناء، وهي الأساس لأنها تقضي وقت طويلاً معه على عكس الأب الذي يظل طول وقته خارج البيت بحثا عن ما يسد به حاجيات ابنه، وأسرته، فتعلم المرأة يكون قبل تعلم الابن، لأنه ينعكس عليه في الأخير، وصدق الشاعر حيث قال:

وإذا النساء نشأن في أمية رضع الرجال جهالة وخمولا

ومن ربي ماله ولم يربي ولده فقد ضيع الولد والثروة. ولهذا فالعلم ضروري للجميع.

وحرصُ الأسرة على تعليم أبنائها يشكل علاقة كبيرة بين الأسرة والمدرسة، وهو ما يساهم في زيادة حرص الطفل على التعلم، وقد عبر الزرنوجي أدق تعبير وأوجزه عن العلاقة التي يجب أن تقوم بين البيت

والمدرسة بقوله: يحتاج في المتعلم إلى جدّ الثلاثة: المتعلم، والأستاذ، والأب.¹

والتعليم بمنطقة توات لا يقتصر على طائفة من الولدان دون البقية فالجميع لهم الحق دون تفریق بين أبناء الأغنياء والفقراء، وإن ظهر ذلك في لباسهم وأدواتهم التي يستعملونها، فلا نجد مدارس ولا مدرسين خاصة بأبناء الأغنياء، كما يحق لأي طفل أن ينتسب لأي مدرسة بالمنطقة، ولا يحتاج إلا للحصول على موافقة المعلم، وضمان الإقامة (الأكل، المبيت) عند أحد الأقارب بالمكان الذي توجد فيه المدرسة، ومجانية التعليم كان لها دور كبير في الحفاظ على الكثير من العلوم الإسلامية، وعلى رأسها القرآن الكريم، فمكّنت أبناء الفقراء من ولوج المدارس، فتفرغوا للعلم وتفوقوا على أقرانهم من أبناء الأغنياء الذين سرعان ما انقطعوا عن التعليم لسبب أو لآخر، وخير مثالا على ذلك أن أمثال هذه المدارس خرّجت أكابر العلماء المسلمين من أمثال أبا حامد الغزالي الذي فقد أباه صبيا ورباه وصيُّ صوفي فترة من الزمن، ثم أوكله إلى مدرسة خيرية يعيش ويتعلم، فدخلها يتيما فقيرا وخرج منها عالما جليلا لا تزال الأمم تعيش على إرثه الفكري، فكانت سمة الديمقراطية في التعليم غالبية على البلاد الإسلامية، ويشير لذلك محمد منصور بقوله: " ... أما عن ديمقراطية التعليم أو تكافؤ الفرص في

¹ أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ط3، دار الإتحاد العربي، (د.ت) ص211.

التعليم لم يكن قاصراً على طبقة دون أخرى، فتلقى الرقيق مع الأبناء والبنات شتى العلوم، ومبدأ تكافؤ الفرص كان سائداً على أساس أن الدين الإسلامي لا يعرف نظام الطبقات، أو التفرقة بين أفرادهِ.¹

كما أن المرأة تحظى هي الأخرى بنصيب من التعليم، فلا تقتصر المدارس على تعليم الفتية دون الفتيات فللكل الحق في التعليم، ومن خصوصيات المنطقة أن الفتيات يختلطون مع الفتية فقط في المرحلة الابتدائية (مرحلة الكتاب) ولكن بعد انتقال الأولاد لمرحلة التعليم العالي وهي التي تكون عادة في المدارس القرآنية التي يشرف عليها أحد رجال الزوايا بالمنطقة لا يختلطون بالبنات، ولهذا فإن تعليم الفتيات في المنطقة يقتصر فقط على مرحلة الكتاب (الابتدائية)، وهناك يتلقون مختلف أصناف العلوم التي يتلقاها الأولاد في الزوايا.

ويتنوع التعليم حسب المرحلة التي يكون فيها الطفل، وهذه الأخيرة تحدّد على أساس قدرة الطفل على الاستيعاب والحفظ فلكل مرحلة منهج ومواد تعليمية محددة، وسنحاول الوقوف على أهم المراحل التي يمر بها الطفل في منطقة توات أثناء تعلمه وأهم العادات المرتبطة بها من حيث المناهج والتقنيات التدريسية المعتمد عليها:

1- المراحل التعليمية:

¹ محمد منصور، الشرق الأوسط في موكب الحضارة، دار التأليف، (د.ت)، ج3، ص213.

(أ) — الإبتدائية: "التعليم في الكتاب"

قبل حديثنا عن التعليم في هذه المرحلة سنحاول الوقوف على تعريف الكتاب عند اللغويين، وغيرهم.

اختلف اللغويون في اشتقاقات هذه الكلمة، ودلالة كل اشتقاق ، فعند ابن منظور لها معنيان : الكتاب موضع التعليم ومكانه، كما تعني عنده الصبيان وجمعها كتاتيب ومكاتب، أما المبرد فيخالفه في الأولى ، إذ يقول: " ومن جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ"¹

والملاحظ أن هذا الاسم اشتق من الفعل كَتَبَ، كما اشتق اسم المعهد ، الكتاب من التكتيب وتعليم الكتابة² ، كما يمكن إرجاع ذلك إلى أن الكتابة كانت الأساس لكل تعليم مع أن التعليم في المكتب يشمل القراءة والكتابة بل وتدرّس فيه مبادئ بعض العلوم كالحساب والأدب واللغة.³

وكان الكتاب مكان مستقل يتسع لمجموعة من الأطفال، قد يكون غرفة يتخذها أحد المعلمين في بيته لتعليم الصبية، أو حجرة مجاورة للمسجد أو ملحقة به، وهذا لأنه من الغالب يكون المعلم بالكتاب هو إمام المسجد، أو حانوت بجوار زاوية حيث تتوفر وسائل النظافة كالماء

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص699.

² أحمد شلبي، التربية والتعليم عند المسلمين ، القاهرة، 1980، ج1، ص97.

³ الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص79.

والميضأة، ولقد نكر بعض المربين على إقامة المكتب داخل المسجد، وذلك لما يسببه الصبيان من النجاسة، ولقد أشار لذلك الونشريسي في نوازلها، فيتضح من نازلة أن مساجد إحدى بلدان المغرب اتخذها المؤدبون مواضع لتعليم الصبيان ، غير أن الفقهاء أنكروا عليهم ذلك ، لأن الصبيان لا يتحرزون من النجاسات، ولذا كانوا يطالبون المؤدبين بالخروج بصبيانهم من المساجد إلى بقاع يصلح فيها التكسب دون الإضرار بالمسلمين.¹

سئل الإمام مالك² بن أنس رحمه الله عن رأيه في تعليم الصبيان بالمساجد فقال : " لا أرى ذلك يجوز لأن الأطفال لا يتحفظون من النجاسة".³

ومن هنا يتضح لنا من أن منع الصبية من التعليم بالمساجد راجع لعدة النجاسة التي لا يحترزون منها، ومن هنا لا حرج في تعليم الكبار

¹ كما السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق، ص118.

² الإمام مالك: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمر الأصبحي نسبة إلى قبيلة ذي أصبح اليمنية، وهو إمام أهل المدينة، وأهل الحديث، ولد بالمدينة سنة 93هـ/711م أخذ العلم عن نحو 100 شيخ، توفي يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الأول سنة 179هـ/795م، ودفن بالبقيع. ينظر مالك بن أنس الأصبحي، الموطأ، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تح عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت، دار القلم، د.ت، ص09.

³ الأهواني: التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م، ص361.

الذين بلغوا الحلم وأصبحوا يتحرزون من النجاسة من التعليم في المساجد، وربما تكون مناسبة لذلك لأنهم يكونون في معزل عن عبث وضوضاء الصبية.

ودخل هذا النوع من النظام التعليمي لبلاد المغرب مع الفاتحين الأوائل¹ ، وقد تميزت كتاتيب القرون الأولى للإسلام ببساطة بنائها ، كما ازداد عددها بتوسع العمران وكثرة تأسيس المدن الجديدة بالمغرب الإسلامي، وأشرف على بنائها الميسورين في غالب الأحيان، أو استئجار منازل أو غرف تتخذ لتعليم أولادهم، وفي حال قيام معلم الكتاب باستئجاره فكان على أولياء الصبيان دفع ثمن الكراء.²

أما في الريف فكانت الكتاتيب عبارة عن غرفة بسيطة مفروشة بالحصير يتحلق فيها التلاميذ حول المعلم، أما في المدن الكبرى فأصبحت هذه المؤسسات أكثر تجهيزا خاصة في القرن التاسع الهجري، فكان لكل مؤسسة قاعة كبيرة بمدرجات تستعمل كمقاعد للأطفال،

¹ إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9-15م ؛ دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 2000 ؛ ج1، ص - ص 15

² محمود بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، تح: محمد عبد المولى، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981 . ص95.

والوسائل المستعملة بسيطة عبارة عن ألواح مسطحة من خشب، ودواة ،
وقلم ، وبعض الصلصال.¹

ويشرف على تعليم التلاميذ في هذه المؤسسات عدد من المعلمين² ،
يتعاقدون مع أولياء التلاميذ على أجر معين، ويمكن أن يتعاون معلمان
أو ثلاث في أداء هذه المهمة، وذلك بتقسيم الفئات الموجودة بينهم إما
على حساب الجنس " ذكور، إناث" أو على حساب العمر " الكبار،
والصغار"، وكان الأولياء يحرصون على تقديم الهدايا للمعلم في
المناسبات المختلفة، مثل: عيد الفطر، وعاشوراء، والمولد النبوي
الشريف، وعند ختم التلميذ للقرآن أو جزء منه.

وكان المعلم بمنطقة توات لا يتقاضى أجرا من المتعلمين مقابل
تعليمهم، وإنما يكتفي بما يقدمونه له من هدايا. وكان يحتسب ذلك عند
الله ابتغاءً لثوابه. فهو لا يبحث عن الشهرة، ولا عن جمع حطام الدين،
فتجده زاهدا متعبدا، حافظا مخلصا في عمله، وهذا ما يعتبره الأستاذ

¹ يشير صاحب المؤنس أن أبا عمروا عثمان الحفصي مؤلّ بناء ثلاثة كتاتيب للقرآن، وأوقف
عليها أوقافا كافية. ينظر ابن أبي دينار، المؤنس في ذكر أخبار إفريقيا وتونس، د مكان
طبع، 1967م، ص157.

² يسمى معلم الكتاب في منطقة توات " الطالب"، وهذه لأنه يطلب من عنده العلم، ونادرا ما
تستعمل المصطلحات الأخرى مثل الفقيه، المعلم...

بوشامة عاشور سبب في جعل الكثير من تفاصيل وجهود معلمي الكتاب تضيع دون أن تسجل.¹

(2) - مناهج التعليم:

تمهيد:

لخطورة وأهمية المناهج التعليمية أولاً المسلمين لها أهمية كبيرة، وكانت المرحلة الأولى من حياة الطفل التعليمية مهمة، وذلك أنها المرحلة التي تحدد مستقبل الطفل مع العلم فتزيد من إقباله، أو من نفوره اتجاهه. ولهذا قدّم عدد من العلماء المسلمين نظريات ومناهج لتسهيل التعليم، واقتراح حلول للصعاب التي كانت تعترض المعلمين والمربين، ومن أشهر العلماء المسلمين نجد:

القابسي²: تمكن من التفكير في الكثير من القضايا التعليمية ، وجملة من المشكلات التربوية ، وألف في ذلك كتابا احتوى مجموعة من الآراء حرية بالعناية لأهميتها في محيط الفكر والتربية.

¹ عاشور بوشامة، علاقات الادولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة، 1991م، ص423.

² القابسي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري الفاسي (324 – 403هـ ، 936 – 1012م)، من تصانيفه: الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين، تناول موضوعات كثيرة لها أهميتها في التربية مثل معاملة الأطفال ، وتنظيم أوقات دراستهم ، وفترات استجمامهم وغير هذا مما يرتبط بالحياة التعليمية، توفي بالقيروان وبات عند قبره

ومن إسهاماته في مجال التربية، ومنهجية التعليم نجد أنه مثلاً في كتابه الموسوم: " الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" قدم لنا منهجاً تطابق إلى حد كبير مع المناهج المعتمد حديثاً ، ففيه يقرر المواد الإجبارية، مثل تعلم القرآن وأحكام الصلاة والكتابة والقراءة، وتعلم قدر من الدراسات اللغوية عنده ضروري لآزم لأنه يمكن من فهم القرآن على الوجه الصحيح، ويضع بجانب هذه المواد الإجبارية مواد أخرى اختيارية مثل : الحساب والشعر والتاريخ .¹

والقاسي يصنف لنا العلوم حسب أهميتها للطفل في المرحلة الأولى، فيعتبر القرآن الأساس الذي تبنى عليه حياة الطفل ، وبعده مجموعة من المهارات التي تعين في تحصيله مثل الكتابة والقراءة وقدر من الدراسات اللغوية لضرورتها في فهم القرآن على الوجه الصحيح، وبعد ذلك أحكام الصلاة باعتبارها عماد الدين، ثم يتطرق إلى الصنف الثاني وهي حسب مواد اختيارية مثل: الحساب والشعر والتاريخ.

فمنهج القاسي أولاً عناية للعلوم الإنسانية والدينية وأغفلا العلوم الطبيعية والتربية البدنية ، ولا يخفى على أحد أهمية هذه الأخيرة في

خلق من الناس ، ورثته الشعراء. ينظر حسين عبد الله بانبيله، ابن خلدون وتراثه التربوي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1984م، ص67.

¹ محمد المعتصم، شخصيات تربوية، مطبعة التمدن، الخرطوم، 1963م، ص71.

تنشيط حياة الطفل، وبعث فيه روح النشاط من جديد للتحصيل بعد الفتور والتعب، وبناء الجسد لتحمل متاعب الدراسة.

كما اهتم بالمناهج التعليمية أولاً عناية لأوقات التعليم ومدته، فوقت الدراسة حسبه أسبوع كامل يبدأ بيوم السبت وينتهي بنهاية عصر الخميس.¹

ولم يغفل القابسي العقاب باعتباره وسيلة لتقويم التلاميذ وضبط الهدوء داخل المدرسة، فقرر أن لا يلجأ المعلم إلى الضرب إلا عندما لا تجدي وسائل الإصلاح الأخرى، وإذا اضطر المعلم إلى هذا اللون من العقاب فعليه أن يلزم فيه حداً معيناً بشروط خاصة، ومن الشروط التي وضعها في وجه المعلم عند استعماله الضرب أن يكون هادئاً بعيداً عن الغضب، وأن يتولاه بنفسه، وأن يتجنب المواطن الحساسة في الجسم، وهذا لأن الأطفال مختلفين في مقدار تحمل هذا العقاب البدني، فنصح بالألا يزيد على الثلاث إلى العشر، وإذا رأى المعلم أن الطفل يحتاج في تأديبه إلى الزيادة عن هذا وجب استشارة والده، وفي هذا يقرر مبدأً جميلاً ألا وهو التعاون بين المدرسة والبيت في تحمل المسؤولية لتعليم الأطفال وتوجيههم وتربيتهم، وهو مبدأ سليم صحيح تنادي به التربية الحديثة، وقد ثبتت جدواه وتأكدت صلاحيته.

¹ نفسه، ص72.

ولما كانت مهمة المعلم مهمة شاقة ومسؤولية فادحة ، فإن القابسي أيضا تعرض لها بالتبيان والشرح، ومسألة أجر المعلم مسألة شغلت المفكرين وعلماء الإسلام قبل عصر القابسي غير أنه يقرر هنا في رسالته أن مبدأ أخذ الأجر على التعليم لا غبار عليه وذلك لأنه من حسن تربية الناشئة أن يتفرغ أناس لتربيتهم ورعايتهم¹

من جميع ما تقدم يتضح لنا الإضافة الجديدة التي قدمها لنا القابسي، والتي كانت نابعة عن تجربة وممارسة، فقبل أن يكون منظرا كان معلما فكيف لا وهو جرد نفسه لذلك دهرا في القيروان، فتناول الكثير من مشكلات التربية والتعليم بالدرس والبحث ، وأثبت فيها رأيه متأثرا بهدى دينه وتراث أمته ، وواقع حياته، وروح عصره ، وبهذا أضاف ثروة طيبة إلى ذخيرة المسلمين والعرب في مجالات التربية والعلم، وأثار الطريق للمشتغلين بقضايا الفكر والإنسانية عامة في ميدان له أهميته الواضحة وتأثيره القوي البين.

— ابن سينا²: لم يخص ابن سينا شؤون التربية والتعليم بكتاب أو رسالة خاصة، وإنما أشار في كثير من كتبه إشارات غاية في الدقة والعناية

¹ حسين عبد الله بانبيله، المرجع السابق، ص68.

² ابن سينا: (980م – 1037م) هو الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الفيلسوف الإسلامي المعروف، ولد في أفشنة من قرى بخارى ، برع في مختلف علوم عصره مثل الطب الفلسفة وعلوم الشريعة والهندسة... ينظر محمد أمين فرشوخ، موسوعة عباقرة الإسلام في العلم والفكر والأدب والقيادة، دار الفكر العربي بيروت، 1996م، ص74.

لشؤون تربية الصغار ، وحسن تأديبهم مما يدل على أنه اهتم بهذا الموضوع، وقدره لخطورته.

أولى ابن سينا عناية كبيرة لمرحلة الطفولة، حتى رأى بأنها عظيمة التأثير عليه فكل شيء يتصل به ينبغي أن يختار بدقة ووعي من اسمه إلى العادات التي ينشأ عليها، فاسمه له أهمية، والغذاء له أثر ، وكيفية تناوله، وما يتصل بالطفل أثناء تناول الطعام لهما تأثيره عليه، وأساليب معاملته عامة ، والعادات التي ينشأ عليها لها أهمية وخطورة، فكتب فصل في كتابه السياسة تحت عنوان " في تدبير الرجل ولده " تناول فيه كثيرا من قضايا التربية.¹

وبخصوص منهج ابن سينا في التربية والتعليم نجد بأنه قسم المرحلة التعليمية إلى مرحلتين هما:

المرحلة العامة: وتبدأ هذه المرحلة حسبه عندما يتهيأ الطفل لتعليم جسميا، وعقليا ونفسيا، ويرى أن يتعلم فيها القراءة، والكتابة ، والقرآن وضروريات الدين، وأصول اللغة، ثم يروى قدرا من الشعر.²

وهذا ما تتفق عليه المناهج الحديثة بحيث يسمح للطفل بالدخول للمدرسة عند بلوغه سن السادسة أو الخامسة أحيانا، إذ يكون في هذه

¹ المعتصم ، المرجع السابق،ص 95.

² حسين عبد الله بانبيله، المرجع السابق،ص70.

المرحلة مهياً لتعلم أساسيات التعليم، وهي القراءة والكتابة، والمواد الأولى التي اقترحها والمتمثلة في القرآن، وضروريات الدين لا تزال الدول الإسلامية تبتدئ بها التعليم لأبنائها، وهذا ما نجده عند سكان توات مثلاً، حيث يقضي الطفل في المرحلة الأولى فترة ليست بقصيرة في تعلم القرآن ومبادئ الدين من فقه وحديث، وبعض فنون اللغة كعلوم النحو مثلاً. وأما الشعر فلا وجود له عند أهل المنطقة إلا ما كان من أبيات وقصائد نظمها أصحابها لتسهيل حفظ المتون الفقهية ، مثل متن ابن عاشر، الذي تضمن فقه العبادات، مثل الصلاة والصيام والحج...إلخ.

المرحلة الثانية: وتجيء بعد مرحلة التعليم العام، والغاية من التربية والتعليم في هذه المرحلة عند ابن سينا الإعداد المهني، فهي إذن غاية حيوية عملية ، ولهذا يشترط في هذه المرحلة أن يكون المتعلم مستعداً جيداً ولا يكفي الرغبة وحدها في هذا المجال.

ومن المسائل التي تطرق لها ابن سينا في نظريته التربوية مسألة العقاب ، فيرى أنه إن أمكن عندما يبدو منهم في اشتغالهم بالتعليم مالا يتفق وشؤون الدراسة ، أو غير هذا مما لا يقره المعنيون بأمر توجيههم أو المهتمون بإرشادهم وتنقيفهم ، وعنده لا بد من الحيطة والحذر في معاملة الصغار ، فلا يؤخذون بالشدة ، ولا يعاملون بالعنف عندما يحدث منهم مالا يرضى عنه القائمون على تربيتهم ، وينبغي أن يبين لهم ما

في سلوكهم من مجانية للصواب برفق، وأن يرغبوا في المسلك الحميد بلطف ، فإن لم يجد هذا فلا بأس عنده بالتشديد عليهم عن طريق التأنيب، وإظهار عدم الرضا عنهم بصورة تجعلهم يدركون سوء ما ارتكبوا فإذا لم يحقق المدح أو الذم، أو الترهيب ما يرجى منهم فالعقاب البدني ضرورة لازمة.

ومن المسائل الأخرى التي تطرق إليها، مسألة صفات المعلم والمربي وما يجب أن يتصف فيهما، كما فعل قبله القابسي، فيرى بأنه من الضروري أن يتصف المعلم بالبرقة في غير ضعف ، والحزم بلا قسوة، وأن يكون متحلياً بحسن المظهر، وطيب المخبر ، لبقاً ، كيساً، خبيراً بأداب السلوك، وفنون المعاملة في المواقف المختلفة، والمناسبات المتباينة ليكون موجهاً صالحاً ومربياً ناجحاً.¹

– الغزالي²: كانت حياته حافلة بالعلم تحصيلاً وتدریسا، وخبر ألوان حياة الفكر والروح، فمن الطبيعي إذن أن يفكر في الشؤون التربوية

¹ المعتصم، المرجع السابق، ص102.

² الغزالي: أحمد كنيته أبو حامد، ولقبه حجة الإسلام، ولد في قرية غزالة التابعة لمدينة طوس في خراسان، فأصله فارسي لكنه عربي النشأة ، ولقد تأثر بأبيه وبمدرسيه، وبالجويني أستاذ الأشعري، وكان يجمع الكتب ويحفظها من أهم مؤلفاته: مقاصد الفلاسفة ، تهافت الفلاسفة، إحياء علوم الدين...، وفي آخر حياته ترك التدريس وطوف في البلاد الإسلامية، وعاد إلى طوس وانقطع إلى العبادة حتى توفي وصار قبره مزاراً عاش ما بين (1058م/1111م) . ينظر محمد أمين فرشوخ، المرجع السابق، ص 109.

والمسائل التعليمية، وقدم معظم آرائه التربوية في كتابه " إحياء علوم الدين " ، فتحدث عن العلم ومكانته، وأنواع العلوم وحكم الدين فيها ، وبين أهمية الأساليب السليمة الصحيحة في تنشئة الصغار ، وذكر أن تدريبهم فن له خطره ووضع الغاية التي ينبغي أن يعمل لتحقيقها عن طريق طلب العلم والمعرفة ، وتكلم عن غير هذا من القضايا النظرية والعلمية المتصلة بالتعليم، وأرجع غاية التعليم إلى الغاية الدينية الخلقية، وربما يعود ذلك لطبيعة صاحبها الفكرية والدينية، فهو مفكر متدين متأثر بظروف نشأته ، وطبيعة دراسته وتكوين شخصيته، وروح عصره، المتدفقة بالعلم والحريصة على مكارم الأخلاق، كل هذا تحت تأثير المذاهب الصوفية المنتشرة في عصره، والتي تولي عنايتها إلى الروح أكثر من الجسد. ولا تنتظر لهذا الخير إلا سجنا.

ويرى الغزالي أن توجيه الطفل في نشأته يشكل حياته المستقبلية كلها ، ومن الممكن عنده أن يألف الصغير حسن العادات ، وتغرس في نفسه الفضائل ، وتحبب إليه المثل الطيبة، فإذا تم هذا فيكون من الميسور أن ينشأ سليم السلوك متين الخلق، محبا للحياة الفاضلة، ملتزم الاعتدال في مظاهر حياته المتعددة يفعل الخير ويدعو إليه، والتحلي بهذه الصفات يجعله منصرفا عن القبائح، مترفعا عن السفاسف متجنباً مصاد الأذى والشر.¹

¹ المعتصم، المرجع السابق، ص116.

ولإعداد الصبي للحياة المستقبلية ومصاعبها رأى الغزالي بأن تسود في حياة الطفل الخشونة والتعود على التقشف، ولعل مصدر دعوته هذه هو المنهج الصوفي الذي كان عليه الغزالي، وربما هذه النظرة تسيير عليها الكثير من المدارس التواتية لتوجهات أصحابها التصوفية، وجعل التربية أنواع:

منها الخلقى: وهذا واضح جلي من جعله التربية دينية خلقية.

ومنها العقلي: ويظهر من مواد هذه التربية عنده.

ومنها الجسمي: ويتجلى عندما تحدث عن الحركة والرياضة وأثرها في النمو الجسمي والعقلي.

كما وجه الغزالي عنايته للمعلم ، فاعتبر هذه المهنة أشرف مهنة وأكرم شأنًا ، والمعلم له منزلة عالية القدر، ووضع رفيع يميزه عن سائر أصحاب الصناعات لذلك يدون إرشادات قيمة تعين المعلم على أداء رسالته المقدسة على أتم وجه ، وأكمل صورة فهو يرى أن يعطف المعلم على تلاميذه ، ويرعاهم حق الرعاية وأن يبذل أقصى ما يستطيع من جهد في سبيل حسن توجيههم، وسديد إرشادهم، ويحث المعلم على إصلاح من يخطئ من طلابه بأسلوب مهذب لا يسبب جرحا ، ولا تنشأ عنه مفسدة.

ولحصول منفعة كبيرة للمتعلم، ونجاح المعلم في تعليم من تحت يده من الصبية، يوصي المعلم بان يسير مع طلابه حسب استعداداتهم ومقدراتهم، ومستوياتهم، وينصحه بأن يتجنب ترهيدهم في المواد التي لا يتولى تعليمها، أو التقليل من شأنها، أو التحقير من خطرهما في نظرهم ، وأشار الغزالي إلى أهمية الفروق الفردية بين المتعلمين، كما أنه كان من دعاة العناية بالثقافة العامة حرسا على توسيع أفاق الطلاب، وكان أيضا من أوائل الداعين إلى صيانة علائق المهنة وحفظ روابطها.¹

والمعلم فوق كل هذا يرى الغزالي بأنه قدوة للطلاب لذلك يجب أن تكون هذه القدوة سالحة، وذلك بحرصه على المعرفة ، وأمانته العلمية، وسلوكه الأخلاقي لتثمر إرشاداته، وتؤثر توجيهاته.

ومن خلال استحضارنا لأراء بعض العلماء المسلمين في التعليم والتربية وما يلحق بهما من مناهج، ومواد، وأخلاق للمعلم، والمتعلم، وأساليب يتضح لنا اتفاق أغلبهم على أهمية العلم والتربية في حياة الطفل، وأن المواد الأولى التي يتلقاها الطفل هي القرآن والكتابة والقراءة ، وهذا لأنها الأسس التي يبني عليها التعليم فيما بعد، كما أن التعليم يمر بمرحلتين مختلفتين تختلف باختلاف عمر الطفل، وقدرته على الاستيعاب ، وأجمع القابسي وابن سينا على استعمال الضرب ،

¹ حسين عبد الله بانبيله، المرجع السابق، ص74.

ولكن حددا له شروط بأن لا يؤدي لضرر، وأن يكون في الأماكن المتعارف عليه دون الوجه أو الرأس.

ونضيف في هذا المجال رأي مجموعة من العلماء جاء رأيها في جماعة ألا وهي جماعة إخوان الصفا

– إخوان الصفاء¹: وترى هذه المجموعة أهمية العلم للصبي، فهو ضروري كضرورة الغذاء للجسم، فهو غذاء الروح وبذلك أولوا عناية للتربية العقلية ، وأن النفس لا يمكن أن تنمو نموا تاما وتتم حياتها من غير أن تأخذ نصيبها من الحكمة والمعرفة ، فيقررون هذا بقولهم: (العلم والحكمة للنفس كتناول الطعام والشراب، وذلك أن الأجساد ترضع أولا ثم تتناول الطعام والشراب اللذين هما غذاء للأجساد لينمو صغيرها ويسمن مهزولها ويقوى ضعيفها، ويكتسي رونقها وكمالها ويبلغ إلى أقصى مدى غايتها ومنتهى نهايتها ومحاسنها باللبن، ثم بالطعام والشراب اللذين هما غذاؤها ومادتها.²

¹ هي جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية، شيعية على المذهب الاسماعيلي ، عاشوا بالبصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، جمعوا معارفهم ومعارف عصرهم العلمية والفلسفية والدينية في رسائل تزيد عن الخمسين. ينظر محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ، القاهرة، 1965م، ص 66.

² محمد المعتصم ، المرجع السابق، ص 55

كما أولت هذه الجماعة عنايتها إلى الاهتمام بالمعلم باعتباره المصدر للعلم والعين التي يرتوي منها الصبي، ويرون بأن المجتمعات هي بحاجة للمعلم، وهذا الأخير لا بد أن يكون مختاراً ولا يمكن أن يكون شخصاً عادياً، بل لا بد من أن يخلص من العيوب والنقائص قبل الشروع في التعليم.¹

فهذه المجموعة بعيداً عن مذهبها السياسي أو الديني نرى بأنها لفتت النظر إلى أهمية العلم في بناء العقول كما تبني الأطعمة بمختلف أنواعها الأجساد، فكما تنوعت العلوم كبر معها نمو العقل، كما ينمو الجسم وينصح بتناول مختلف الأطعمة، كما أن حسن تكوين المعلم ينعكس على محصوله العلمي وعلى أخلاق تلامذته بعد نهاية التعلم، وبهذا لم يغفل إخوان الصفا هذه الحلقة.

كانت هذه أمثلة عن بعض المناهج التي وضعها العلماء المسلمين، والتي كانت نابعة عن تجربة ودراية، ولعل ما يؤكد فاعليتها هو اقتباس الكثير من النظريات الحديثة منها، كما أنها شخّصت الداء وأفردت له الدواء، فلم تكن مجرد نظريات جامدة، وإنما كانت حية بفاعليتها ونتائجها التي أبهرت علماء العصر الحديث، ولعل سبب نجاحها هو أنها كانت من رجال مارسوا هذه المهنة، وتحملوا مشقاتها، وجنوا ثمارها، ولهذا كانت ناتجة عن تجربة وبصيرة، وليست كبعض النظريات الحديثة

¹ نفسه، ص 55.

التي ربما أصحابها منظرين أكثر منهم ممارسين، ولعل المنهج المتبع بمنطقة توات في التعليم قريب جدا منها، ولا نكاد نجد اختلافا إلا في بعض الأمور الجزئية، رغم أن معلمي الكتاب بمنطقة توات ثقافتهم الأكاديمية محدودة مقارنة مع ثقافتهم الدينية، ولكن ما يفسر ذلك، هو تشابه التجربة التي عاشها هؤلاء، وأولئك.

(3) - مناهج التعليم بمنطقة توات:

ابتكر المجتمع التواتي مجموعة من الطرق التي حاول من خلالها أن يسهل من عملية التحصيل مع الحصول على جزيل الفائدة والمنفعة، وجاءت تماشيا مع البيئة الثقافية، والدينية، والجغرافية للمنطقة، فعرف التعليم مجموعة من العادات المرتبطة بمنهج التعليم، وزمنه، ووسائله، ومواده، كما عرف التعليم مجموعة من الممارسات الاحتفالية التي شجعت وأدخلت مزيج من الترفيه عليه.

بداية تسمى المؤسسة التي يتعلم فيها الصبي في المرحلة الأولى بالكتاب أو أقربيش أو المحضرة ... وهذا على اللهجة التواتية، وتعرف الكتاب حسب اللغويين بأن لها عدة اشتقاقات ، فعند ابن منظور لها معنيان موضع التعليم ومكانه، وجمعها كتاتيب ومكاتب، أما المبرد فيخالفه في الأولى إذ يقول: ومن جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ¹

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص699

تعد المرحلة الأولى بمنطقة توات أساسية في حياة الطفل التعليمية، فيتلقى فيها العلوم الأساسية التي يحتاجها في عبادته، ومعاملاته مع غيره من أفراد المجتمع، كما أنها تعتبر تمهيدا لاندماج الطفل في التعليم الأكاديمي فيما بعد، فيتعلم فيها القرآن والحديث والقراءة والكتابة والإملاء، ومبادئ اللغة العربية من نحو وغيره...، وسنحاول أن نقدم تفصيلا لبعض الأساليب المنتهجة في التعليم بالمنطقة، من سن التعليم إلى الوسائل المعتمدة في ذلك، وقوف على طرق التحفيظ وغيرها، وتفصيل ذلك كالتالي:

١- سن التعليم: يدخل الطفل إلى الكتاب في منطقة توات ما بين السنة الرابع والخامسة، وهذا يتوقف على حرص الطفل وأسرته، لكن الأغلبية يدخلون في السنة الخامسة، فكانت المدرسة لمدة طويلة تعد الفترة التحضيرية التي تسبق اندماج الطفل في التعليم الأكاديمي، وهذا السن يشترك فيه الذكور والإناث، وهذه العادة سائرة في مختلف البلدان الإسلامية مع توالي العصور والسنين، وهذا لأن التبكير في التعليم يساعد على رسوخ المعارف والعلوم أكثر من الكبر، كما يؤكد ذلك القول " العلم في الصغر كالنقش على الحجر"، والطفل في هذه المرحلة من العمر صفحة بيضاء يكتب عليها المعلم ما يشاء من علوم ومعارف، وهو راسخ غير زائل، وإذا أهمل في هذه الفترة كان عرضة لتعلم ما لا ينفعه، وينعكس عليه وعلى مجتمعه بالسوء، ويكون الوزر على والده

لأنه أمانة عنده، ويشير لذلك أبو حامد الغزالي في كتابه الإحياء بقوله: " اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور، و أكدها، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش، وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه، وإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب، وإن عود الشر وأهم إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له"¹ ولهذا فالآباء ملزمون بالسهر على أطفالهم وتربيتهم، وتعليمهم آداب الحديث والأكل، والتعامل مع المجتمع.²

فلا تزال هذه العادة مستمرة، فما أن يعقل الابن ويدرك، بعض الأشياء إلا ويعهد به والده إلى الكتاب، فيقول أبي بكر بن العربي: "وللقوم في التعليم سيرة بديعة، وهو أن الصغير إذا عقل بعثوه إلى الكتاب³، فكانت الكتاب هي أول مؤسسة لتعليم الصبيان، فيتلقى فيها ما يتمشى مع سنه وقدرته على الاستيعاب.

¹ أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، تح زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم، دار القلم، بيروت، 1989م، ج3، ص69.

² Mouhamed ben cheneb, l'attre sur l'education des enfants par abou hamed el razzely. In revue africaine tome45 ;1901 :P 103 .

³ أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، مطبعة السعادة، القاهرة، د.ت، ج2، ص291.

ويحرص معلم الكتاب في منطقة توات في هذه الفترة على إلزام الصبيان بالصلاة خاصة إذا كان عمرهم فوق سبع سنين، وفي بعض الأحيان يكلف أحد الطلبة الكبار بمراقبتهم في المسجد حتى لا يؤذوا المصلين، ويراقب صحة وضوئهم، وهذا حتى يشبوا عليها وتصير عندهم عادة يتعودون عليها كتعودهم على الأكل والشرب، ويرى ابن سحنون " أنه ينبغي للمعلم أن يأمرهم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين ، ويضربهم عليها إذا كانوا بني عشر"¹

ويستمر الطفل في الكتاب حتى ينتقل للمرحلة الثانية " الزاوية" أو يخرج منها نهائياً.

ب – التلقين: لم ينتشر في منطقة بلاد المغرب الإسلامي في المرحلة الأولى من التعليم سوى طريقة التلقين، أو التحفيظ التي تنحصر فيها وظيفة المعلم في تعليم الصبيان القرآن الكريم، والنحو، والعربية، والفقهاء ، وهذه العلوم كلها لفظية تحتاج إلى الحفظ والاستيعاب، ويتم التلقين عن طريق الحفظ في المصحف، أو الألواح.²

فالمعلم في هذه الفترة يحرص على تحفيظ التلاميذ أكثر من فهمهم واستيعابهم ما يحفظونه، لأن الصبي في هذه الفترة يكون ذهنه، وقلبه

¹ ابن سحنون، المصدر السابق، ص109.

² عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن 20م، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1981م، ص184.

خال قابل للحفظ والاستيعاب، والفهم يكون بعد ذلك، ويؤكد هذا المنهج كثير من العلماء المسلمين حيث يعتبرون البدء بالحفظ قبل الفهم ضرورة لا بديل عنها، فمثلا ابن عبد البر يقدم الحفظ على الفهم لقوله: " أول العلم الاستماع، والثاني الصمت، والثالث الحفظ، والرابع العقل، والخامس النشر."¹

وبهذا اعتاد المتعلم منذ نعومة أظفاره حفظ القرآن في الكتاب عن ظهر قلب، فيردد الأطفال ما كتب في ألواحهم بأصوات عالية، فلا تمر بالقرب من الكتاب إلا وتسمع أصواتهم تنبعث منه انبعاثاً، وما يميز منطقة توات أن الصبية لا يسيرون في مرتبة واحدة، بل كل واحد يكتب على قدر ما يحفظ، فتشتد بذلك المنافسة بين الصبية، والهدف من التعليم في هذه الفترة هو تنمية مهارة الطفل في الحفظ ، وهذه صفة اشتهر بها المغاربة على العموم.

فلقد اشتهر المغاربة في العصر الإسلامي بحفظهم للكتب الكثيرة بشكل يثير الإعجاب والتقدير، ومثال ذلك ما تشهد به كتب السير من أسماء لامعة في الحفظ كأحمد بن عبد الرحمن بن عيسى بن إدريس التجيبي

¹ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمله، تق عبد القادر أحمد،

من أصل مرسية المتوفي سنة (563هـ/1167م) كان فقيها حافظا
مشاورا مدرسا متقدما في معرفة الأحكام.¹

ولقد عرفت منطقة توات كغيرها من بلاد المسلمين نظام الحلقة في
التدريس في جميع المراحل، فيلتف الصبيان حول معلمهم الذي كان
يجلس في مكان مخصص له يكون عادة عند مدخل الكتاب بمكان يسمح
له برؤية الجميع، ويجلس المتعلمون حوله على اليمين واليسار قعودا
على التراب أو الحصير.

ج - الكتابة: يحضّر التلميذ وسائل الكتابة بنفسه وهي عادة تتكون من
محبرة و قلم من القصب، ولوح من الخشب، وقطعة من الصلصال
يطلي بها لوحه أثناء غسلها ليشكل طبقة بيضاء على اللوحة تمكن من
رؤية الكتابة عليها.

فاللوحه الأولى للصبى يكتبها المعلم، وتمر الكتابة بثلاث مراحل هي:

- المرحلة الأولى: وتتضمن كتابة حروف العربية جميعا، ولا يكتب
غيرها الصبى حتى يحفظها ، وبعدها يكتب له بقية السور، بداية
بalfاتحة، وهذا من دون تشكيل، ويكون حفظه في المرحلة الأولى مركزا
على الحروف، فبعد إتقانه لها باعتبارها أصل القراءة ولا يمكنه القراءة
دون علمه بها.

¹ ديب صفية، المرجع السابق، ص127.

المرحلة الثانية: تبدأ عند بلوغه لسورة الضحى فيكتب له المعلم اللوح بالتشكيل، ويكون حفظه للكلمات والآيات، دون الحروف المتقطعة، ويكون المعلم في هذه المرحلة كذلك هو المشرف على الكتابة، أو أحد المساعدين من الطلبة الكبار الذين أكملوا حفظ القرآن، ويتقنون الكتابة، ويعينهم المعلم بعد اختبارهم وتأكده من قدرتهم، ويُكتَبُ للصبي في لوحه ما يقدر على حفظه من السورة.

– المرحلة الثالثة: في هذه المرحلة يكتب المتعلم لوحته بنفسه من الكتاب ، أو عن طريق الإملاء، حيث يجمع أحد مساعدي المعلم مجموعة من الصبية على شكل حلقة، وهو يجلس في الوسط ويملي عليهم ما يكتبونه ثم يراقب كتابتهم ويصحح أخطاءهم، وبعدها ينهي المتعلم كتابة لوحته يأخذها للمعلم ليصححها، وتسمى هذه العملية في المنطقة "السلوك"، وذلك لأن المعلم يسلك على لوح المتعلم ليصححها. ويستمر المتعلم يكتب لوحه بهذه الطريقة حتى يختم القرآن.

ويضيف المتعلم في هذه المرحلة إلى جانب كتابة القرآن على لوحه كتابة ما تيسر من المتون الفقهية، والنحوية، كألفية الإمام مالك في النحو، ومثن ابن عاشر في الفقه...إلخ.

(د) الثواب والعقاب:

اهتمت التربية الإسلامية عامة والمغربية على الخصوص بمبدأ تأديب الطفل وثوابه، فقد يترتب الجزاء والثواب على استقامة سلوك المتعلم، وتفوقه في تحصيل العلم، الأمر الذي دعا المتعلمين إلى تشجيعه، ومكافأته بالجوائز، فإذا كانت العقوبات متنوعة فإن التشجيعات متنوعة أيضا كصنوف التقدير، والمدح، والثناء، ومنها المادية كالاحتفال الذي يقام للمتعلم بمناسبة حفظه للقرآن الكريم، فيقدم له الناس ما جادت به أيديهم من الأموال، والثياب، وهذا ما يجعل الصبية يتنافسون لبلوغ ذلك اليوم الذي يفخر به آباءهم.

وعن هذه العادة فإن الصبي إذا بلغ ختم القرآن من أوله إلى آخره يقام له احتفال يسمى " السلوك"¹ فيدعوا والد الطفل سكان القرية والضيوف والأقارب من القرى المجاورة، ويقوم وليمة تكريما لابنه الذي سلك على القرآن، وأثناء الاحتفال يحضر الطفل لوحة ويرسم عليه صورة مسجد، ويكتب فيها الثمن الأول من حزب "يستبشرون من سورة آل عمران، وبعد ذلك يرتدي الطفل أجمل الثياب، وعليها برنوس أبيض يضع تحته لوحه، حيث لا يراها أحدا، ويطوف بالقصر والصبية يطوفون معه، فيقدم له السكان ما جادت به أيديهم... وسنفضل في ذلك في المبحث الخاص بالاحتفالات، وكل هذا كان من أجل بعث روح

¹ السلوك: بمعنى أن الطفل قد سلك على القرآن من أوله إلى آخره، وليس بالضرورة أن يكون حافظا له.

المنافسة بين المتعلمين، ومكافأة المجتهدين ليستمروا ولا يكلوا، ويظهر أثر ذلك في الأسبوع الموالي حيث تزداد عزيمة الصبية أكثر على التحصيل.

ولقد رغب في هذا الأمر الكثير من العلماء المسلمين، ومنهم الإمام الغزالي في كتابه الإحياء فيقول: " ويُمَدح الصبي المتأدب ، ومهما ظهر منه من خلق جميل وفعل محمود، فينبغي أن يكرم عليه ويجازى بما يفرح به، ويمدح بين أظهر الناس."¹

وكما كان يكافأ الصبي على اجتهاده، كوفئ المعلم كذلك، فيقدم له ولي الصبي كلما حفظ ولده جزء من القرآن مقداراً من المال يأخذه المتعلم بنفسه، ومن عوائد التواتيين كذلك أنهم يضيّفون المعلم في بيوتهم ليتناول وجبة غداء أو عشاءً فاخر، يتكلف والد الصبي في إعداده، وكل هذا محبة للقرآن وأهله، وبما أن التواتيين أغلبهم يمارسون النشاط الفلاحي، غلب على هداياهم الخضر والفواكه التي ينتجونها بأنفسهم. كما أن هناك عادة أخرى حسنة سار عليها الكثير، وهي أن بعض الأغنياء أو الميسورين الحال قد وقفوا² أحد بساتينهم على طلبة العلم وحفظه

¹ الغزالي، المصدر السابق، ص220.

² الوقف: إن أول وقف خيري في الإسلام هو الوقف الذي أسسه النبي صلى الله عليه وسلم حين قدومه مهاجراً إلى المدينة قبل أن يدخلها، فبنا مسجد قباء ثم المسجد النبوي الذي بناه في السنة الأولى للهجرة. كما وقف النبي صلى الله عليه وسلم الحوائط (البساتين) السبعة التي أوصى بها مخيرق إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهكذا سارع الصحابة رضوان الله عليهم إلى فعل هذه

القرآن، فبعد الحصاد يخصص جزء لكل من يحفظ نصيب من القرآن، وفي الغالب يحدد ببلوغ سورة الرحمن، وهذه الأوقاف كانت في وقت أشد فيه الفقر، وغلا فيه القوت، إذ كان الكثير يعمل من النهار إلى المساء على مقدار من القمح أو التمر... كأجر له.

ولقد كان المسلمون في مختلف عهودهم و مستوياتهم الاجتماعية يحرصون على الوقف والتسابق إلى تحبيس شيء من ممتلكاتهم في سبيل الله، و من أجل صرف ريعها و مدخولها المالي في وجوه البر و الإحسان، و إقامة شعائر الدين، و تحقيق المنافع العامة للمسلمين، و يعتبرون ذلك من الأعمال الصالحة التي تقرب إلى الله، و من الصدقة الجارية التي شرعها الإسلام و رغب فيها الرسول، الكريم و التي يبقى أجرها خالدا و ثوابها مستمر بعد حياة الإنسان مصداقا لقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ، وَمَا أَنْبَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾¹

الصدقة، فحبسوا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وبعلمه وإقراره، كوقف عمر بن الخطاب حين أوقف أرض خيبر، ثم تسابق الناس على هذه السنة الحسنة أسوة بالرسول الكريم وصحابته الكرام. وكان الحبس أول عهده يسمى " صدقة " و " حبسا " ثم انتشرت كلمة " وقف " ولا تزال الأوقاف في الغرب الإسلامي وفي مقدمته المغرب تسمى " حبوسا وأحباسا " وقد كثرت الأوقاف في العصر الأموي كثرة عظيمة بمصر والشام وغيرها من البلاد المفتوحة بسبب ما أغدقه الفتح على المجاهدين، فتوافرت لديهم الأموال و الدور والحوانيت، كما امتلك الكثيرون المزارع والحدائق في منابت الصحراء العربية. ينظر عبد الكريم بناني، محطات مهمة من تاريخ الوقف بالمغرب، مجلة الفقه والقانون، د، عدد، 12 أكتوبر 2010م، ص 02.

¹ سورة سبأ، الآية 39.

ولقد وجد في بلاد المغرب الإسلامي شخصيات مرموقة في علمي المعقول والمنقول، استطاعت أن تؤدي رسالتها العلمية للخاص والعام بين الناس بفضل ما خصص لها من مستفاد الأوقاف، ومن بين هذه الشخصيات التي خصصت جزء من أملاكها كوقف للتعليم نجد:

— أبو زكريا يحيى بن محمد السراج (ت 1007 هـ): وكان يقرأ التفسير، ولما توفي المنجور انتقل لكرسيه، وكان يقرأ مختصر الشيخ خليل مسندا ظهره إلى حائط القبلة من ناحية الخزانة، وكان إذا فرغ من ذلك، يسير إلى مدرسة الحفاويين يقرأ هناك مدونة أخرى له عليها حبس.

— أبو عبد الله محمد القصار (ت 1012 هـ): وقد عينه المنصور السعدي مكان السراج بعد وفاته، وكتب له المنصور الفتوى وجميع أحباسه. كما أنه تولى كرسي التفسير الذي كان للزموري بجامع الأندلس.

— محمد الشريف المريني التلمساني (ت 1018 هـ): كان يقرأ رسالة الشيخ أبي زيد القيرواني فوق الكرسي الكائن بظهر الخصة من جامع القرويين بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان إذا فرغ من الرسالة ينزل للأرض يقرأ صغرى الشيخ السنوسي، وفي بعض الوقت يقرأ ألفية ابن مالك¹.

وفوق هذا التشجيع المادي كان هناك التشجيع المعنوي، حيث يثنى على حافظ القرآن بكثير من معاني التقدير والشكر، والتفضيل على أقرانه، كما يحظى المعلم بمكانة كبيرة بين سكان القرية فكلامه وحكمه بين المتخاصمين هو الفصل، فلا يخرج أحد عليه، وإن كان قاسيا، ولا يلبي رغباته. وكان هذا السلوك سائداً عند حكام بلاد المغرب الإسلامي،

¹ سعيد بوركبة، دعوة الحق، العدد 300، أكتوبر 1993.

ومثال على ذلك ما كان يقوم به عبد المؤمن بن علي حاكم الموحدين¹ كما يقول المراكشي بأنه كان مؤثرا لأهل العلم محبا لهم محسنا إليهم يستدعيهم من البلاد إلى السكن عنده والجوار بحضرته، يجري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم.²

وهذا التعامل لا شك يحفزهم على أداء دورهم التعليمي، ويحفز الآباء على تعليم أبنائهم لما للعلم من حظوة عند جميع أفراد المجتمع، خاصةً الخاصةً وأهل القرار منهم وأعيانهم.

وأما بخصوص العقاب، فهو لازم لتعليم الصبيان فلا ينفصل الثواب عن العقاب، بل يسيران إلى جنب بعضهما لتقويم سلوك المتعلم وتعديله، حتى يشب على حميد الخصال، وقد وضعوا للضرب شروط حتى يؤدي وظيفته التربوية المتمثلة في الزجر والإصلاح، ولا يخرج عن ذلك إلى مجرد التشفي والانتقام، وكان من الضروري حثهم على الاعتدال، وهناك أمور إذا ارتكبها الصبي كان لابد من التأديب عليها،

¹ الموحدين: (515 – 674هـ / 1121م – 1275م) تتسبب هذه الدولة مؤسسها محمد بن تومرت المهدي بالمغرب الأقصى، وبعد وفاته خلفه عبد المؤمن بن علي، واستطاعوا تأسيس أكر دولة في بلاد المغرب وامتدت حدودها من المحيط الأطلنطي غربا إلى حدود مصر شرقا، ومن الأندلس شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا، عرفت نهضة فكرية عظيمة بفضل ما أسسوه من مدارس، وما عمروا من معاهد، وجلبوا من كبار العلماء، واقترحوا تدوين الكتب، وعقدوا المناظرات والامتحانات، وأسسوا خزائن الكتب، وسبقوا إلى التعليم الإلجباري، وابتكروا التعليم المجاني، ووضعوا مناهج للتعليم... للمزيد ينظر محمد المنوني، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، 1989م، ص14.

² عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد السعيد العريان القاهرة، 1963، ص200.

كالتغيب، والسب والشتم، وظلم أقرانه في المدرسة، وعدم إحضاره للوالم الدراسة، كالكتاب، والمحررة، فيذكر المغراوي بعض ذلك : " ينبغي للمعلم أن يؤدبهم على كذبهم وسبهم وهروبهم من المسجد..."¹ وهناك شروط حددها العلماء المسلمين للضرب كما فعل ذلك القابسي بقوله: " حيث اشترط أن يكون العقاب على قدر الذنب لا للتشفي، وأن يكون الضرب من واحد إلى ثلاث، ويستأذن ولي الأمر فيما زاد عن ذلك ، وان يقوم المعلم بالضرب بنفسه، ولا يوكله إلى أحد من الصبيان، وأن يكون الضرب على الرجلين ويتجنب الضرب على الوجه، والرأس، والأماكن الحساسة من الجسم، وأن تكون، آلة الضرب هي الدرة أو الفلقة.²

وكل هذه الشروط التي حددها القابسي كانت نابعة عن إدراك خطورة العقاب إذا لم يوجه التوجيه الصحيح، فكما هو مقوم لسلوك الصبي من الاعوجاج، قد يكون سبب إلى نفور الصبي من العلم خوف من العقاب، كما أنه قد يسبب عاهات مستديمة للصبي، ولهذا لا بد على المعلم أن يدرك ذلك. ويضيف ابن سحنون مجال العقاب إلى أنه لا بد أن يحدد عدد الضربات بالسوط قائلاً: " لا ينبغي لمعلم الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا دعت الحاجة إلى ثلاث أسواط شيئاً"³، وهو يشترك في ذلك مع القابسي في تحديد عدد الضربات. ويحدد ابن عبدون ذلك بأن لا يؤدب

¹ ديب صفية ، المرجع السابق، ص 31. نقلا عن المغراوي، مخطوط الخزانة العامة، ورقة 470.

² الأهواني، التربية في الإسلام، أو التعليم في رأي القابسي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م، ص 60.

³ ابن سحنون، المصدر السابق، ص 23.

الصبي أكثر من خمسة أسواط للكبير، وثلاثة للصغير، ويكون من الشدة على قدر احتمالهم.¹

وتتنوع العقوبات فمنها النفسية كالعتاب والتوبيخ، وهو أخطر من المادي لأن آثاره تبقى في ذهن الصبي لمدة أطول ، وربما حتى بعد خروجه من الكتاب، ولهذا يجب فيه تجنب الكلام الجارح، والشديد الأثر، وهناك العقاب المادي كالضرب، وأشار الغزالي إلى أن التشهير بأخطاء الصغار من شأنه أن يثيرهم، وأن يشعرهم بالخطأ الجسيم، فيلجئون إلى التحدي دفاعا عن النفس، ولهذا نصح الغزالي بتجنب التشهير بذلك، كما يجب تجنب القسوة في تهذيب سلوك المتعلم، واستحب أن يقدم الوعظ والنصح على أسلوب اللين والشفقة والتأنيب والضرب المبرح.²

كما يعتبر حبس الصبي في الكتاب أو حرمانه من وقت الراحة واللعب لونين آخرين من ألوان العقاب آنذاك، وهذا الأسلوب نادر الاستعمال بمنطقة توات مقارنة مع أسلوب العقاب البدني والنفسي.

وكون معلم الكتاب بمنطقة توات كانت له مكانة كبيرة في نفوس الآباء، فكان هو الأمر والناهي، وصاحب الحل والعقد لكثير من الأمور، كما يعود إليه الجميع أثناء التنازع ، فيكون له الحكم والفصل، وكل هذا راجع للأخلاق العالية التي كان يتمتع بها المعلم، ما جعل الجميع يخضع

¹ ديب صفية، المرجع السابق، ص 132.

² الغزالي، المصدر السابق، ج3، ص70

له كبيرهم وصغيرهم، حتى أنه أحياناً عند حدوث عصيان من الأبناء لأبائهم يشكونهم للمعلم ليؤدبهم، وبهذا تعدت مهمته الكتاب إلى المجتمع بأكمله، وهذا ما شجع أهل الأطفال وأوليائهم المعلمين على تأديب أولادهم وعدم السكوت والتغاضي عن بعض سلوكياتهم السيئة جعل العقوبة البدنية سلاحاً يعود إليه المعلم أثناء الحاجة وكثيراً ما لجأ الأولياء إليه وطلبوا منه التشدد مع أبنائهم تقويماً لأخلاقهم، فكانت مهمته تعليمية تربوية إلى يومنا هذا. والوسيلة التي يستعملها في التأديب هي عصي متوسطة الطول والحجم من جريد النخيل. ويتجنبون استعمال السوط.

هـ – أوقات التدريس:

يعد الزمن المناسب والملائم للتعليم الأساس الذي يتوقف عليه نوع الإنتاج، فكلما كان مناسباً انعكس على الإنتاج والمستوى ورغبة التلاميذ في التحصيل، وكلما كان غير ذلك كان العكس، وللخصوصيات الطبيعية والجغرافية للمنطقة أثرها في توجيه وقت التحصيل فالحرارة الشديدة صيفا والبرودة الشديدة شتاءً أبرز تلك العوامل.

يبدأ الأسبوع الدراسي بالمنطقة بعد عصر يوم الجمعة، وينتهي صباح يوم الأربعاء، وفي بعض الأماكن من المنطقة تكون البداية صباح يوم السبت، وتنتهي عصر يوم الأربعاء، وتفصيل ذلك كما يلي:

— **الفترة الصباحية:** تختلف بداية ونهاية هذه الفترة من مدرسة إلى أخرى ومن فصل لآخر، ولكن في أغلبها تبتدئ من الساعة السادسة صباحاً وتنتهي مع تمام الساعة العاشرة، وهذا بخصوص الكتاتيب التي يتعلم بها الصبية أما زوايا التعليم التي يتعلم بها الكبار فيبتدئ بها وقت التعليم من بعد صلاة الصبح إلى وقت الزوال، فيقضي طلاب الكتاتيب هذه الفترة في كتابة ألواحهم¹، ومن عادة الطلبة في كتابة ألواحهم أن يكتبوا في السطر الأول من جهة اليمين بسم الله الرحمن الرحيم وفي وسطه عبارة: وبالله الإعانة والتوفيق، اللهم يسر ولا تعسر، وأما ما يكتبه في اللوح من حيث العدد فيتوقف على حفظه في السلكتة² الأولى أما في الثانية فالربع تلو الربع، وهو قليل لأن النجباء يكتبون النصف. وفي آخر اللوح يكتبون أبيات من الفقه، وتكون من المتون المتعارف عليها مثل متن ابن عاشر، أو السيد خليل، أو رسالة أبي زيد القيرواني،

¹ بالنسبة لكتابة الألواح فإن الصغار يكتبها لهم المعلم أما الكبار فيكتبونها بأنفسهم مشكلين مجموعات تتوسطهم محبرة "دواية" وكل واحد في يده قلم وكتاب على رواية ورش بالخط المغربي في الغالب.

² السلكتة، كلمة من اللهجة التواتية يقصد بها الختمة الأولى للقرآن الكريم. ولهذا الاحتفال الأول الذي يقام للطالب في المدرسة يسمى السلوك.

وبعد ذلك يعرضونها على المعلم ليصححها ويقومها، ثم يقضي التلاميذ بعض الوقت في حفظ ما كتبوه ليقوموا بعرضه على الطالب في آخر هذه الفترة قبل خروجهم .

— **الفترة المسائية:** بسبب الحرّ الشديد الذي تعرفه المنطقة خلال أيام السنة فإن بدايتها يكون من بعد صلاة الظهر الذي يتأخر في المنطقة إلى ما بعد الساعة 15:30 في فصل الصيف 15:00 في فصل الشتاء ، وهذا حتى يزول الحر ، فيقضي طلاب الكتاتيب هذه الفترة في حفظ ألواحهم ودراستها ثم عرضها على الطالب ليقوموا بمحوها أخيراً، وبعد ذلك ينتقلون إلى مرحلة أخرى تسمى التكرار فيكررون ما حفظوه خلال الأسبوع ، وهذا باستعمال الكتاب من دون اللوح، ليعرضوا ذلك على الطالب واحداً واحداً خلال التكرار بعد العصر أو في الليل، فيصحح الطالب أخطاء التلاميذ ويضربهم بعضاً إذا تكررت أخطاؤهم.

— **الفترة الليلية:** هذه الفترة مدتها قصيرة، ومهمتها الرئيسية التي خصت لها هي تدعيم وتمكين حفظ الطالب فلا يستعمل الأطفال الألواح وإنما يعتمدون على القراءة أما من الكتب أو من حفظهم، فينقسم الأطفال في الليل إلى ثلاث فئات ، الفئة الصغرى والكبرى، وتلاميذ الفقه والحديث.

الفئة الصغرى هي التي لم تصل لمرحلة العرض والحفظ من الكتاب وهي تعتمد على الحفظ من الألواح والطالب هو الذي يكتب لهم ألواحهم،

فخلال الفترة الليلية يقرأ التلاميذ عدد من السور الصغار سمية نسبة للزمن الذي تقرأ فيه ب" صور الليل" وهي صور الجزء الأخير ، وتبدأ من سورة النبأ إلى سورة الفاتحة.

والفئة الكبرى جزء منها يتوجه لحلقات الفقه، والحديث، والباقي يشكل حلقة لتلاوة بعض الأحزاب من الحفظ.

و – الراحة والعطل:

وأما بخصوص أوقات الراحة والعطلة، فهي تكون إما سويعات تتخلل الدراسة، أو اليومين المتعارف عليهما في آخر الأسبوع، وهما الخميس والجمعة، أو بعض الأيام التي تصادف بعض المناسبات الإسلامية أو الشعبية، وعن الراحة في أوقات الدراسة فتكون بين الفترة الصباحية والمسائية ، وبين الفترة المسائية والليلية، ومن أقدم النصوص التربوية التي تؤكد ذلك، وهي جديرة بالاهتمام، فهي عبارة عن رسالة لأبي مروان عبد الملك بن حبيب الذي عاش في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، كتبها لمعلم ولده، ومما ورد فيها من آراء تربوية حول الوقت قوله: "...أطلقهم في النهار ثلاث أوقات، بعد النحو للإفطار، وقبل الظهر للغداء، وبعض الراحة، ومع عشية النهار، وذلك بحسب قصر النهار وطوله، يوسع عليهم في طوله، ويضيق عليهم في قصره،

وأطلقهم يوم الخميس بعد كتبهم للألواح وإصلاحها، وليس عليهم رجوع إلى المكتب¹، وهذا عن الراحة اليومية.

وأما عن العطلة الأسبوعية، فهي تمتد ليومين إما من بعد الفترة الصباحية ليوم الأربعاء، إلى عصر يوم الجمعة، أو يومي الخميس والجمعة. وهذه العطلة مقررة في أغلب دول العالم الإسلامي، ويعود سبب ذلك كما قال الشوشاوي: " وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر عابد بن عبد الله أن يلزم تعليم القرآن بعد صلاة الصبح إلى الضحى الأعلى، ومن الظهر إلى صلاة العصر، ويسرحهم في بقية النهار²،

ويذكر التيجاني نقلا عن أحمد غنيم النفراوي أصل هذه العملية أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند خروجه إلى الشام عام فتحها مكث شهرا، ثم إنه رجع إلى المدينة وقد تشوق الناس إليه فخرجوا للقاءه، فتلقاه الصغار على مسيرة يوم، وكان ذلك يوم الخميس ، فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة، فتعبوا في خروجهم، ورجوعهم، فشرع لهم

¹ ديب صفية، ص134.

² نفسه.

الاستراحة في اليومين المذكورين، فصار ذلك سنة، ودعا بالخير لمن أحيأها، ودعا بضيق الرزق لمن أماتها.¹

وعلى هذا الأساس كان زمن التعليم في المنطقة، إلا أن الاختلاف يكمن في أن التعليم يستمر لمرحلة ثالثة تكون من بعد صلاة المغرب إلى أذان العشاء، تخصص للحفظ والتكرار فقط، وقراءة سور الليل بالنسبة للصغار.²

وهناك عطل أخرى يحظى بها المتعلم خلال أيام السنة موافقة مع المناسبات الدينية، أو الشعبية، ومن ذلك:

عطلة عيد الفطر والأضحى وهي تختلف بين كتاتيب المنطقة، والغالب هي من ثلاث أيام إلى أسبوع، وهناك عطلة يتحصل عليها التلاميذ بمناسبة بعض الاحتفالات التي تقيمها المدرسة، مثل احتفال حفظ القرآن، وإحياء بعض ليالي المولد النبوي الشريف. ولا تنتقد المدرسة القرآنية بالعطل الوطنية، كالفاتح من نوفمبر، وجانفي، ومحرم... إلخ

أما المعلمون في منطقة توات نادرا ما يتحصلون على عطلة انفرادية، وإنما تكون راحتهم وقت راحة الصبيان، ووقتهم كله مخصص

¹ عبد الرحمن التيجاني، الكتاتيب القرآنية لندرومة، من 1900م إلى 1977م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999م، ص 63.

² سور الليل: هي مجموعة من السور يتلوها الأطفال الصغار في الليل، وتكون من سورة النبأ إلى الناس.

للتعليم، هذا خلاف بعض المناطق الأخرى من العالم الإسلامي كما يذكر ذلك صاحب الصلاة بأن المعلمون في المرحلة العليا هم أيضا يتمتعون بأيام للعطل يستريحون فيها من عناء الكد والبحث، إذ قسموا أوقاتهم بين الراحة والنزهة.¹

وعن استغلال هذه الراحة بالنسبة للولدان فهي تخصص لأمر عديدة أهمها ممارسة النشاطات الرياضية، وهذا لأن الرياضة مفيدة للجسم معينة على نمو الذكاء، وزيادة التحصيل، وهذا ما أدركه المسلمون منذ القرون الأولى والمتمثل في الصلة الوثقى بين العقل والجسم، وعبروا عن ذلك بالحكمة القائلة: " العقل السليم في الجسم السليم"، ولهذا عني العلماء بالجسم والتربية البدنية، وخففوا عنه الأعباء مساعدة للعقل في التعليم، ولم يجيزوا حرمان القوى الجسمانية للإنسان وإرهاقها في سبيل العلم، ومواصلة الدرس، دون أن يتخلل ذلك راحة أو نشاط.

وينبه الغزالي (ت500هـ/1106م) كُلاً من الوالد والمربي إلى أهمية اللعب للصغير، كونه مفيداً لاستعادة النشاط، ومحافظة على قوة القلب، وفتانة العقل، ومستديمة لتعلق المتعلم بالعلم، طاردة للنفور والكلل. فيقول:

¹ ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة، وجعلهم الوارثين، تح عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1964م.

" إن الصبي ينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب من اللعب، فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائماً يميّت قلبه، ويبطل ذكائه، وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه."¹

ويرى الغزالي بأن اللعب يساعد أولاً على ترويض جسم الصغير وتقوية عضلاته ، وذلك يؤدي إلى الجسم السليم، كما يساعد على جلب السرور، والبهجة إلى نفس الصغير.

ولأهمية التربية الرياضية على تعليم الصبي أهتم بها العلماء المسلمين، والمربون، حتى أن البعض منهم كان يشرف عليها بنفسه، كما كان يفعل عبد المؤمن بن علي الموحدي، حيث كان يشرف بنفسه على اصطحاب التلاميذ لتعليم الركوب يوماً، وتعليم الرمي بالقوس يوماً آخر، وللتدريب على العوم والتجديف بالزوارق في بحيرة مربعة خارج بستانه يوماً ثالثاً.²

هكذا ارتبط زمن التعليم بالمنطقة، بالبيئة الجغرافية لها، و تغير الزمن حسب الفصول الأربعة، كما أنه كان متماشياً مع التقاليد الإسلامية المتعارف عليها، فخصص الخميس والجمعة عطلة أسبوعية، وأيام

¹ الغزالي، الإحياء، المصدر السابق، ص35.

² مؤلف مجهول، الحل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح سهيل زكار و عبد القادر

زمانة، الدار البيضاء، 1979م، ص125

الاحتفالات الإسلامية كالعيدين عطلة، ولقد استغل الولدان هذه الراحة في اللعب والمتعة، وهو ما كان له دور في استعادة نشاطهم، وقوتهم على التحصيل.

4) المواد التعليمية:

1 - القرآن الكريم:

تتشترك جميع المناهج في العالم الإسلامي عامة والمنطقة خاصة في أن القرآن هو المادة الرئيسية في هذه المرحلة لكن هناك من يقتصر عليه فقط ، وهناك من يضيف إليه مواد أخرى كالحديث والنحو وعلوم العربية والشعر والحساب...، وهذا لأن هذه المواد تعين في فهم كتاب الله وتمكين حفظه.

ويعود سبب عناية المسلمين عامة بالقرءان في هذه المرحلة كما أشار لذلك القابسي وغيره من الفقهاء إلى أن وجه الضرورة في ذلك هو كونه كلام الله المنزه عن الخطأ، كما حث الله على تلاوته ورغب في ترتيله في غير ما آية، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورًا﴾¹ ، فهذه الآية دعوة صريحة إلى الحث على قراءة القرآن، وتطبيق شرائع الإسلام السمحة وتجسيدها في سلوك المسلم ، لنيل

¹ سورة فاطر، الآية 28.

رضاء الله وابتغاء السعادة في الدنيا، والربح الدائم والحقيقي في الآخرة، كما أن معرفة تعاليم الشرع واجبة على كل مسلم كفرض عين لا يغنيه عنها معرفة غيره لها، ويعد القرآن الكتاب الأساسي الذي تضمن تلك الشرائع من أوامر ونواهي، وبذلك سار أهل توات سيرة الأوائل من سكان بلاد المغرب من حكام وسلطين ومعلمين فأولوا عناية للقرآن حتى أننا نجد الصبي لا يتلقى إلى جانب القرآن أي مادة أخرى حتى بلوغ درجة كبيرة من حفظه.

ومن السلطين المغاربة الذين أولوا عناية بتعليم القرآن نجد بن تومرت عندما أسس دولته، ومع بداية دعوته رأى ضرورة تعليم أبناء قومه القرآن أولاً، فقد كانوا جبليين أميين ديانتهم بسيطة مليئة بالخرافات القديمة، وهذه الحالة ستسبب له صعوبة في تأسيس دولته وتحقيق هدفه الذي كان يسعى إليه، والمتمثل في نشر الإسلام في وسط الصحراء وإعادة هبة الخلافة الإسلامية التي دب الضعف في أركانها وتكالت عليها الأمم.

ولتسهيل وسائل التعليم استعمل تقنية اعتمد فيها على اللسان البربري خاصة وأن سكان بلاد المغرب لا يعرفون لغة القرآن، فمن الطرق التي ابتكرها بن تومرت مثلاً لتسهيل حفظ السور القرآنية لضرورتها لأداء الصلاة لجأ إلى تقسيم أم القرآن " الفاتحة" مثلاً، وسمى بكل كلمة منها رجلاً، ثم أقعدهم صفا واحدا فقال للأول اسمك الحمد لله

، والثاني رب، والثالث العالمين، وهكذا حتى تمت كلمات السورة، ثم قال لهم لا يقبل الله لكم الصلاة حتى تجمعوا هذه الأسماء كلها على نسقها في كل ركعة من الصلاة، وهكذا يسر عليهم حفظها حتى حفظوها¹ فكانت هذه الطريقة التي ابتكرها ابن تومرت تتم عن فطنة وعزيمة وصدق مقصود في تحقيق المرغوب وهو نشر الإسلام وترسيخ شرائعه في نفوس الأهالي.

واقنصار سكان توات كغيرهم من سكان بلاد المغرب في تعليم صبيان الكتاب على القرآن يعود لفائدة ذلك على تحصيل الملكات الأخرى، فهو الأصل في ترسيخ الإيمان في القلوب، فصار هو أصل التعليم الذي تبنى عليه الملكات الأخرى، ويؤكد ذلك بن خلدون فيقول: " اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل من الملكات، وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأنه

¹ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972، ص118.

السابق الأول للقلوب كالأساس للمكان، وعلى حسب الأساس وأساليبه
يكون حال ما يبني عليه...¹

ومن كلام ابن خلدون يتضح لنا أهمية تحصيل القرآن للصبي في
الصغر، فهو ينعكس على كامل مسار حياته التعليمية، فيسهل عليه
إدراك بقية العلوم، وهذه الحقيقة تظهر على الصبية عند دخولهم إلى
التعليم الأكاديمي، فالأطفال الذي تلقوا قبل دخولهم الابتدائية تعلم القرآن
نتائجهم وسرعة استيعابهم أحسن مقارنة مع أقرانهم الذين لم يتلقوا
التعليم القرآني في نفس المستوى، فهذا هو يعد كما قال ابن خلدون
الأساس الذي تبني عليه بقية الأركان.

و تختلف مناهج التعليم ببلاد توات عن إفريقيا (تونس) والأندلس
فيذكر ذلك ابن خلدون فيقول: "... وأما أهل الأندلس فمذهبهم تعليم
القرآن، والكتاب من حيث هو، وهذا الذي يراعونه في التعليم...، فلا
يقتصرون على القرآن بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر
والترسل، وأخذهم بقوانين العربية وتجويد الخط، ولا تختص عنايتهم
في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها"²

¹ ابن خلدون، المقدمة، تح علي عبد الواحد الوافي، ط1، مطبعة لجنة المغرب
العربي، 1962م، ج4، ص740.

² نفسه، ص741.

وبهذا يبدو لنا الفرق الواضح في تعليم الصغار لدى المجتمعات، فتتوسع العلوم التي ينتقها الصبية ترتبط بطبيعة المجتمع وحالته الثقافية والعمرانية، فكلما زاد ازدهاراً تنوعت العلوم وكثرت لحاجته إليها كما ذكر ذلك ابن خلدون في فصل عنونه: " في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة" فيقول: " والسبب في ذلك أن تعليم العلم من جملة الصنائع... وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لأنه أمر زائد على المعاش فمتى فضلت أعمال أهل العمران عن معاشهم انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الإنسان وهي العلوم والصنائع...". واستدل على كلامه بمجموعة من الحواضر الإسلامية التي كان لها دور في بعث الحركة الفكرية وإثراء الصناعة وتنشيط التجارة في البلاد الإسلامية فيضيف: "... واعتبر ما قررناه بحال بغداد والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الإسلام واستوت فيها الحضارة، كيف زخرت فيها بحار العلم وتفننوا في اصطلاحات التعليم وأصناف العلوم واستنباط المسائل، والفنون حتى أربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين."¹

ب - الفقه: عندما نتحدث عن الإنتاج الفقهي في الجزائر بصفة عامة نجد انه ارتبط في أغلب الأحيان بالفقه المالكي، وذلك أن معظم

¹ نفسه، ص548.

سكان الجزائر يتبعون مذهب الإمام مالك. وبعد مجيء العثمانيين مع بداية القرن 16 م انتشر المذهب الحنفي أيضا حيث ظهر بالجزائر علماء كتبوا وأفتوا على قواعد الإمام أبي حنيفة، وإن كانت معظم التأليف في أصول وفروع مذهب الإمام مالك فإن ذلك لا يعني حين إذن انه لم يكن لعلماء المذهب الحنفي تأليف وآراء ، فأسرة العنابي كانت حنفية وتركت بعض التأليف الهامة ، و الإمام عبد القادر الراشدي كان مفتي الحنفية وألف أيضا في ذلك¹ .

وبالنسبة لواقع اهتمام أهل الإقليم بالفقه نجدهم اهتموا بالمذهب المالكي و دانوا به الأمر الذي جعل اهتمامهم واجتهادهم وزياداتهم تدريسا وتأليفا في إطار هذا المذهب أكثر من غيره ، وأشهر الكتب المستعملة للدراسة والشروح كانت في الغالب من المذهب المالكي فضلا عن التأليف الجديدة ومنها نجد:

• **متن بن عاشر:** هو نظم في فقه المالكية نظمه صاحبه عند ذهابه إلى الحج وكان ذلك وقوفا وتلبية لطلب أهل ليبيا الذين طلبوا منه أن ينظم لهم نظما يعينهم على تطبيق الأحكام الفقهية ، فتضمن هذا المتن أبواب الفقه من صوم وحج وصلاة وعقيدة ، وافتتح نظمه بقوله:

يَقُولُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ عَاشِرٍ مُبْتَدِئًا بِاسْمِ الْإِلَهِ الْقَادِرِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَّمَنَا مِنَ الْعُلُومِ مَا بِهِ كَلَّفَنَا

¹ سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م، ج 2 ، ص 65.

صَلَّى وَسَلَّم عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْمُقْتَدِي

• **الرسالة :** وهي مختصر في فقه المالكية ومؤلفها أبو محمد عبد الله¹ ألفها سنة 938هـ وكان الغرض منها أن تكون كتابا تعليميا لصبيان وانتشرت في كافة بلاد المسلمين وأول نسخة منها أرسلها صاحبها إلى أبي بكر الأمهري إمام المالكية ببغداد فاتني عليها وعلى مؤلفها . توجد عدة نسخ من الرسالة في مختلف مكتبات العالم مثل برلين ، باريس ، والفاثكان ، وتونس والقاهرة.²

• **مختصر خليل :** كتاب فقهي بين فيه صاحبه المشهور في المذهب مجردا عن الخلاف وفيه فروع كثيرة ، وعرف بمختصر خليل لان عباراته جاءت مختصرة ، ونال شهرة فاقت شهرة ابن الحاجب ومدونة سحنون ، ومال الناس إليه وفي هذا يقول احمد بابا التنبكتي " .. ولقد وضع الله القبول على مختصره وتوضيحه من زمانه إلى الآن ، فعكف الناس عليه شرقا وغربا ، حتى لقد آل الحال في هذه الأزمنة المتأخرة إلى الاقتصار على المختصر في هذه البلاد ، وأضاف انه كان اسمه محمد إلا انه اشتهر بخليل.³

¹ هو أبو عبيدة بن زيد بن عبد الرحمن القيرواني النفاوي ، أشهر علماء المالكية في المئة الرابعة للهجرة ، ولد سنة 316هـ-928م بتفراوة التونسية وكانت أكثر إقامته بالقيروان ، وتوفي سنة 386هـ-996م وقيل سنة 388 او 390 بمدينة فاس وقيل القيروان ، انظر محمد الصالح حوتية ، المرجع السابق ، ص256.

² نفسه .

³ احمد بابا التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، ط1، كلية الدعوة الإسلامية ، طرابلس ، 1989م، ص167.

إضافة إلى كتب أخرى مثل " معين النبيل في شرح مختصر خليل
" لمحمد بن عبد الكريم المغيلي ، وكتاب "حاشية على مختصر ألفاني
على ابن الحاجب ، وشرح على مختصر خليل " لسيدي عبد الكريم بن
محمد ، و مؤلف " نوازل الزقلاوي" لمحمد بلعالم الزقلاوي.

وفي مرحلة الكتاب يضيف بعض المعلمين علم الحديث والفقہ لأن هذه
العلوم يحتاجها المرء في عبادته وتعاملاته مع مجتمعه، لكن يركزون
على القرآن ويولون له عناية كبيرة، وهم في ذلك يشتركون مع أهل
إفريقية (تونس) في المواد التعليمية في هذه المرحلة " ... أما أهل
أفريقية (تونس) فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب
ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلا أن عنايتهم بالقرآن
واستنظار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما
سواه وعنايتهم بالخط تبع لذلك...¹

ولهذا كما رأينا تختلف المناهج التعليمية من منطقة إلى أخرى حسب
حالة المجتمع الثقافية والاقتصادية، فكل مجتمع يعلم أبناءه العلوم التي
تساعده على التكيف مع متطلبات حياته المستقبلية، لكنهم جميعا
يشتركون في تعليم القرآن كمادة أساسية لا يختلف فيها اثنين.

(5) – بعض رواد التعليم بمنطقة توات:

¹ نفسه، ص741.

ومنطقة توات عرفت علماء كثر برزوا في علوم مختلفة نافسوا بها علماء القيروان والقاهرة، تولوا التدريس والتعليم بالمنطقة، وكان لهم الفضل في بعث الحركة الفكرية بالمنطقة، وسنحاول اختيار بعض النماذج التي ذاع صيتها في مجال التدريس بالمنطقة، وترأسوا بعض المدارس والزواية¹ التي لا تزال تخرج الكثير من الطلبة الذين يؤمنون الناس في المساجد ومن أمثال ذلك لا الحصر نجد:

(أ) - الشيخ سيدي عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التواتي (ت1042هـ) :

ولد بتمنيط سنة 994هـ، درس بمسقط رأسه على يد والده سيدي أحمد وعلى مشائخ كثيرين منهم ،الشيخ سيدي عبد الرحمن بن علي السجلماسي، وسيدي أبي زيان التلمساني ، وسيدي احمد بومعزة... الخ، أما في الفقه فدرس على سعيد المقرئ فآخذ عنه رجز ابن بري شرحا وفهما في قراءة نافع، فاستفاد منه ما أشكل عليه في الفرائض والحساب، إضافة إلى مشايخ عديدين اخذ عنهم مختلف أصناف العلوم، تولى المحكمة الشرعية بتوات سنة 1022 هـ، ومما قال فيه الشيخ سيدي البكري بن عبد الكريم بن البكري:²

1 هناك ملحق في آخر الدراسة خصصناه لأهم الزوايا في إقليم توات .

² كان سيدي البكري بن عبد الكريم بن البكري على قدر كبير من العلم والوقار ، كتبه له أبوه سيدي عبد الكريم وصية تعتبر من أهم النصوص النظرية الموجودة في تاريخ المنطقة ، من بين أعماله كتاب في تاريخ العائلة البكرية وتوات .

" هو الشيخ الإمام الهمام اللغوي النحوي البياني الحسابي الفرضي الأصولي العروضي الفقيه المحدث الجامع بين المعقول والمنقول رواية ودراية "1.

ومن تلامذة الشيخ ابنه القاضي الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم والشيخ سيدي احمد بن يوسف التتلاوي والشيخ سيدي احمد بن علي الوقروتي ... وغيرهم.

وترك الشيخ ورائه إرثا علميا فاخرا ومن ذلك :

- 1) غاية الأمل في إعراب الجمل هو شرح على لامية ابن المجراد.
- 2) تحفة المجتاز إلى معالم ارض الحجاز وقسم هذا الأخير إلى مقدمة تناول فيها نبذة عن فضائل الحج وزيارة النبي (ص)، وقسمين تناول فيهما أدب المسافرين إلى هذا المقام في القسم الأول ،والآخر تناول فيه ما أمكن من المزارات.

3) كتابه الآخر " شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بالزمان".

قامت حياته على العلم والتنقل والترحال في طلب العلم داخل الوطن وخارجه ،فمن رحلاته داخل الوطن إلى بني عباس وأولاد سعيد والجزائر العاصمة ،وخارجه رحلته نحو البقاع المقدسة وسماها " تحفة المجتاز إلى معالم ارض الحجاز " وأيضا إلى مراكش وفاس بالمغرب الأقصى .

¹ عبد الحميد بكري ، سلسلة علماء توات ، ج2، دار الغرب ، وهران ، 2008م ،ص45.

أجاز الشيخ علماء لهم من الفضل والعطاء الكثير ، اشتهروا في
زمانهم منهم " سيدي احمد بن محمد المقرئ التلمساني " ، والشيخ
"الجهوري المصري (ت1066هـ) من أشهر مؤلفاته " النور الوهاج في
الكلام على الإسراء والمعراج"

توفي وقت صلاة المغرب ليلة الاثنين 23/شوال عام 1042هـ
الموافق ل1622م.¹

(ب) – الشيخ سيدي احمد بن يوسف التتلاي .

هو احمد بن يوسف بن محمد بن علي، ولد سنة 1002هـ بأولاد
اونقال إحدى قصور منطقة توات، درس على يد العالم عبد الكريم بن
محمد البكري بتمنطيط ، فكان عالما عاملا ماهرا في علم الحديث ،
ومن أشهر ما قال في الشعر هذا البيت :

لَا تُعْجِبُكَ دُنْيَا أَنْتَ تَارِكُهَا كَمْ نَالَهَا مِنْ أَنْاسٍ ثُمَّ قَدْ ذَهَبُ

انتقل لقصر تتيلان يوم الأربعاء الحادي عشر من رمضان سنة ألف
وثمانية وخمسين (1058هـ) بعد بناء مسجدتها في منتصف شعبان من
نفس السنة، ومن هنا بداء في بناء زاويته وسماها رزق الله الواسع
لعباده النافع المسماة به الآن ، سرى لها من قصر قديم كان قريبا يسمى
"تتيلان" اندثر وتفرق أهله، حفر رحمه الله الفقاقير وعمر البساتين وجعل
كل ذلك لله حبسا على نحو حبس سيدنا عمر بن الخطاب المذكور في

¹ نفسه، ص51.

صحيح البخاري، توفي عام 1078هـجري ومن أهم أعماله كتاب أصول أهل توات¹.

جـ) الشيخ سيد أحمد ديدي بن محمد العالم (ت 1370 هـ / 1951م)

ولد أحمد ديدي بن محمد العالم بتمنطيط سنة 1299 هـ 1882 / م،نشأ في بيت علم وصلاح، بدأ تعليمه الأول على يد الطالب عبد الواحد، ثم أخذ الفقه والنحو على يد أخيه القاضي البكري²،انتقل إلى قصر كوسام عند الشيخ عبد الله بن أحمد البلبالي فأخذ عنه مختصر خليل والعاصمية ومنظومة العمل الفاسي وغيرها من الفنون الأخرى، وقد لازم شيخه لمدة خمس سنوات، نال في نهايتها إجازة في صحيح البخاري، انتقل بعد هذه المرحلة التعليمية، إلى قصر انزجمير لأخذ الطريقة في التصوف على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن، حيث لازمه فترة من الزمن أذن له بعدها بالرجوع إلى تمنطيط، وأوصاه بفتح مجلس للتعليم وإفادة المسلمين ، وكان كثير الحياء، لا تقع عينه على المحرمات، لا يخرج إلى الطريق إلا إذا كانت فارغة من النساء، ومما يروى عنه في مدينة كوسام أنه كان لا يخرج في الطريق إلا إذا كانت خالية من النساء، وذلك حتى لا يقع بصره رحمه الله على شيء من المحرمات، وهذا الصنيع كان في كثير من الأحوال يبقيه من دون أكل ولمدة طويلة، حتى تفتن لذلك أهل الحي، فكان إذا جاء وقت دخوله

1 عبد الحميد بكري ، المرجع السابق ، ص78.

² تولى البكري بن محمد العالم القضاء قبل وصول الاحتلال الفرنسي إلى المنطقة ، وبعد احتلال المنطقة من قبل الاستعمار الفرنسي اعتزل القضاء سنة 1318هـ . نفسه،ص 175.

يقولون هيا بنا نخلي الطريق لسيدي أحمد حتى لا يخرج فيجدنا فيعود من حيث أتى¹.

كان خافت الصوت قبل الدرس باسطاً له خلال الدرس، لا يتكلم إلا باللغة العربية الفصحى، متواضعاً زاهداً عفيفاً قانعاً، جلس للتدريس بمقر سكناه بتمنظيط إلى جانب مجلس ابن عمه القاضي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، حيث كان لكل منهما تلامذته، إلا أن القاضي أغلق مجلسه وتفرغ للقضاء، بعد حادثة وقعت له مع الشيخ سيد أحمد ديدي، وتعود القصة حسب رواية الشيخ الحاج عبد الرحمن بكر اوي: "أن تلاميذ الشيخ سيد أحمد ديدي كانوا بعد انتهاء مجلسهم معه يتوجهون خفية للاستماع لدرس القاضي محمد بن عبد الكريم، وبعد علم الشيخ سيد أحمد ديدي بأمرهم ذات يوم أخذهم بنفسه إلى مجلس القاضي وجلس معهم للاستماع للقاضي في درسه، هذا الأمر دفع بالقاضي إلى إغلاق مجلسه منذ ذلك اليوم وتفرغ للقضاء وترك مجال التدريس لابن عمه الذي توافدت عليه جموع الطلاب من كل مكان"، ثم قام بتأسيس مدرسة داخلية تقوم بإيواء الطلبة وذلك سنة 1929 م.²

كانت هذه المدرسة الدينية الداخلية الأولى من نوعها في إقليم توات التي تهتم بتقديم العلم مع إيواء الطلبة مدة إقامتهم بالمدرسة، كما كانت تقدم خدمات اجتماعية من التكفل بأبناء السبيل والضييف، وإصلاح ذات

¹ عبد الحميد بكري، نبذة عن حياة الشيخ سيدي أحمد ديدي (ت1370هـ)، مجلة التراث، عدد1، تمنظيط ادرار، ماي 2013م، صص 12-13.

² عبد الله بابا، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات (1112-1421هـ / 1700-2000م، مخطوط رسالة ماجستير قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2011-2012م، صص 114.

البين، وقد ظلت على هذه الحال إلى غاية وقتنا الحاضر، مما أدى ببعض الباحثين إلى تصنيفها ضمن زاويا العلم والإطعام.
من أقواله:

" من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه ولم يؤته من الدنيا إلا ما كتب له ، ومن كانت الآخرة همه جمع الله عليه أمره وأغنى قلبه وأنته الدنيا راغبة." مقتبسا ذلك من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم.

— اللهم من أصلحت ظاهره أصلح باطنه.

تخرج على يد الشيخ العديد من العلماء والشيوخ نذكر منهم: الشيخ الحاج محمد بن الكبير " مؤسس المدرسة الدينية بأدرار"، وابنه الشيخ الحاج عبد القادر الذي خلفه على التدريس بالمدرسة بعد وفاته، والحاج محمد العالم بكراوي" صاحب مخطوط الدررة البهية في الشجرة البكرية"، والشيخ الحاج أحمد يدا من تميمون قصر أولاد سعيد، والشيخ الحاج أحمد بكراوي " مؤسس مدرسة نومناس.¹ والشيخ سيدي الحاج محمد بلعالم.

وكان رحمه الله يطبق نظاما تدريسيا جيدا، فقد كان الطالب بمجرد أن يحضر للمدرسة يسأله هل ختمت القرآن أم لا؟ فإن تبين له حفظه وذلك بعد استظهاره أمام المكلف بالتدريس بدأ له الوقفة أي ابن عاشر والأجرومية، وإن وجده غير حافظ بدأ له ابن عاشر فقط والباقي حتى يكمل حفظ كتاب الله، وكان في مجلس الدرس لا يتكلم إلا بالعربية الفصحى كما أشرنا لذلك سابقا، ولا يحبذ العامية ولا ينطقها في مجلسه

¹ نفسه، ص 115.

لأنه كان يرى أن التلميذ لما يسمع الدرس بالفصحى يكون ذلك أقرب إلى رسوخ لفظ العربية في ذهنه وعقله، ولما ينتهي من الوقفات الموجودة في الدرس ويقرأ ابن عطاء الله ، يختم بمجموعة من الأدعية التي جمعها لنفسه ولطلبته ولمن شاء من المسلمين، ولا تزال مدرسته التي أسسها سنة 1370هـ بتمنيط ترجمة عن العطاء الكبير للأسرة البكرية وإسهامها الفكري داخل المنطقة.

توفي رحمه الله يوم الجمعة 16 شوال سنة 1370هـ الموافق لـ 20 جويلية 1951م، وصلى عليه القاضي صديق زمانه الحاج محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، الذي ما إن علم بالخبر ووصله، وذلك في مجلس القضاء بأدرار حتى أغشي عليه ولمدة طويلة من الزمن ثم لما أفاق سألهم من مات وأخبروه ، وعندما تحقق من الخبر حضر لتمنيط على وجه السرعة، فكان القاضي هو من غسله وصلى عليه، وهو من أرخ لوفاته رحمهم الله أجمعين.¹

(د) - الشيخ محمد بن الكبير (1911 — 2000م): هو الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله لكبير يتصل نسبه إلى ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين، ولد بقرية لغمارة إحدى قرى بودة الواقعة جنوب غرب مدينة أدرار بحوالي 25 كم خلال فترة استيلاء الاستعمار الفرنسي على مدينة جانت.

ومن كرم الله على الشيخ أن حباه بعائلة كريمة النسب والحسب والعلم والإيمان، كان والده من حملة كتاب الله، بينما كان عمه معلما إماما

¹ عبد الحميد بكري، نبذة عن حياة الشيخ سيدي أحمد بيدي (ت1370هـ)، المرجع

للمسجد الجامع ، أما خاله سيدي محمد المهدي فكان فقيها من أعيان قصر بليلو ببودة، وفي هذا المعين الطيب نشأ، وما أن بلغ 13 سنة حتى أسرع به والده إلى بلدة تمنطيط حاضرة العلم بمنطقة توات ، فدرس الفقه المالكي بأصوله وفروعه وعلم التوحيد والنحو والصرف واللغة مع سرد وشرح صحيح البخاري في الحديث.

كثّف الشيخ محمد بن الكبير اتصالاته بالعلماء، اتصل بالشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي ببني تامر، والشيخ بوعلام بملوكة، والقاضي سيدي محمد بن عبد الكريم البلبالي البكري ابن عم الشيخ أحمد ، والشيخ محمد باي .

وسمع الشيخ كغيره بمقام ومكانة الشيخ بن عبد الرحمن بوفلجة التلمساني فاستأذن شيخه لزيارة تلمسان، وهناك وجد ضالته حيث سعد بملاقة الشيخ عبد الرحمن الذي مكنه من المكتبة الكبرى، فعكف قارئاً باحثاً مدة خمس سنوات ، وقد راجع معه بعض شرّاح المختصر، وهنا أخذ عنه أورايد الطريقة الكرزازية، وزار جامع القرويين بالمغرب الأقصى واتصل بعلمائه وفتحهم في جملة من المسائل والمشكلات ، كما زار الأزهر الشريف والتقى بزمرة من العلماء بداية الخمسينيات ، وكان أبرزهم الشيخ الخضر حسين الطولقي، وقد عرض عليه أن يبقى مدرسا بالأزهر فأبى .

وبعد عودته لأرض الوطن اشتهر أمره مما جعل بعض أهالي العريشة يطلبون منه أن يشتغل عندهم لتعليم القرآن ، فمكث هناك مدة ، ليعود مع بداية الأربعينيات إلى بودة¹ بطلب من أبيه الذي طعن في السن، ولم

¹ هي إحدى الدوائر بولاية أدرار تبعد عنها حوالي 20 كم.

يلبث طويلا هناك حتى اتصل به بعض أعيان تميمون ملتسمين انتقاله إلى بلدتهم ، وهناك هيئوا له مدرسة أعدها له بعض أهل الخير والإحسان ، وهناك توافد عليه الطلبة حتى كثر عددهم وتخرج منهم الكثير ، ومنهم الشيخ سالم بن إبراهيم مدير الشؤون الدينية السابق لولاية ادرار رحمة الله عليه.

وبعد ذلك أسس الشيخ زاويته التي اشتهر بها ، ولم يكن لها مدخول سوى ما كان من غلاة التمر بملكية الشيخ ببودة، وشيء زهيد مما تجود به أيدي أهل الخير والإحسان لتظل لسنوات طويلة والحمد لله منبعاً للقرآن والإيمان، ولقد ظلت المدرسة مزارا طيبا لكثير من العلماء ، وفي ذلك يقول المرحوم قدور عباس الرويسي في قصيدة بعث بها إلى المدرسة سنة 1977م:

| | |
|---|--|
| لَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ الْعُلُومِ فَنَوَّرَ | مَدِينَةَ أَدْرَارٍ وَسَادَتْ رِجَالُهَا |
| وَنَالَتْ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ مَكَانَةً | فَكَيْفَ وَابْنُ الْكَبِيرِ كَانَ يَمُدُّهَا |
| مَدِينَةَ عِلْمٍ لَا يَزَالُ يَوْمُهَا | رِجَالُ الْفِكْرِ وَالِدِّينِ وَالصَّدِّقِ وَالنَّهْيِ |
| هَنِيئًا لِمَنْ أَمْسَى نَزِيلًا بِحَيْهِمْ | وَسَارَ إِلَى دَارِ الْفَقِيهِ وَزَارَهَا |
| فَقَدْ نَوَّرَتْ لَيْلًا وَظَهْرًا وَبُكْرَةً | كَمَا نَوَّرَ الْأَحْيَاءُ نُورَ طُلَّابِهَا |
| سَحَابَةَ عِلْمٍ أُرْسِلَتْ سَيْلَ مُزْنِهَا | وَطَافَتْ بِدَارِ الشَّيْخِ فَاخْضَرَ غُصْنُهَا |

وورد في الشيخ كلام كبير يشهد بقدره ومكانته العلمية، ومن تلك

الأقوال:

يقول الشيخ مولاي التهامي في كتابه الضوء المستتير " كان رحمه الله عالما متضلعا في شتى العلوم يخال جليسه والمستمع أنه موسوعة علمية وبحرا لا ساحل له ، فما ينتهي من مسألة في العلم حتى يغرقك في

أفكار تغنيك عن طرح مسائل تجول في فكري، وقد تكون تلك الأفكار في ميدان الأدب أحيانا ، أو البلاغة أو المنطق، أو حتى في المزاح أحيانا ، وكثيرا ما يمزح كلامه بحكمة، ولكنه يقدمها لك في إطار من المزاح يتمنى المستمع إليه أن لا ينتهي"

ونظرا لمكانته العلمية منحته الجامعة الجزائرية شهادة دكتوراه فخرية تقديرا لمجهوداته واعترافا بعلو فضله ومنزلته، وبعد حياة مكلفة بالجد والاجتهاد وخدمة الدين والعلم أنهكه المرض العضال جاء اليوم الموعد لينتقل إلى بارئه رحمه الله، وذلك يوم الجمعة 16 جامي الثانية 1421ه الموافق 15 سبتمبر 2000م.¹

خلف وراءه جملة من الرجال حملوا على عاتقهم مواصلة رسالته، ومن أبرزهم الشيخ أحمد المغيلي والشيخ سالم بن ابراهيم، والشيخ عبد الكريم مخلوفي والشيخ سيدي محمد الدباغي ... وغيرهم كثير اشتغل أغلبهم في الزوايا والكتاب الموزعة على مختلف قصور المنطقة. ويمكننا القول في الأخير أن منطقة توات عرفت حركة علمية مزدهرة جعلتها لقرون عديدة ولا تزال قبلة يقصدها الطلبة للتعلم، والنهل من مدارسها التي تفتح أبوابها لكل قاصد من أي بلد من الجزائر حتى ولو من خارج الوطن، وللخصوصيات المنطقة الجغرافية، والاجتماعية كانت لها عادات في التعليم تتكيف مع خصوصيات المنطقة، فحددت وقت التعلم مع البيئة الجغرافية وتقلب الفصول، وسن لتعلم يتمشى مع العمر الذي يكون فيه الصبي قابل للتعلم، ومواد تعليمية

¹ ابراهيم بن ساسي ، من أعلام الجنوب الجزائري، موفم للنشر،الجزائر،2011م،ص131.

مستمدة من البنية الفكرية لسكان بلاد المغرب، والتي كانت مالكية المذهب أشعرية العقيدة، كما استعمل معلموا الكُتَّاب وسائل مساعدة لتأدية مهمتهم التعليمية، فكان الثواب والعقاب أبرزها، فشجعوا المتعلمين إذا فعلوا أمرا محمودا، ويعاقبونهم إذا فعلوا ما يخالف النظام العام في المدرسة. وكانت أبرز تلك العادات متشابهة مع غيرها في البلاد الإسلامية، وهو ما يؤكد التأثير والتأثر للمنطقة مع غيرها.

. 2. المبحث الثاني: العادات المرتبطة بالنشاطات الاقتصادية.

- تمهيد

1 - العادات المرتبطة بالنشاط الفلاحي

- الوسائل المستعملة
- وسائل التسميد
- الحيوانات المستعملة
- المحاصيل الزراعية
- طريقة الري (الفقارة)
- بعض العادات العامة المرتبطة بالفلاحة

2 - العادات المرتبطة بالنشاط الصناعي.

- الصناعة الطينية
- الصناعة الجلدية
- الصناعة الخشبية
- الصناعة الحديدي

المبحث الثاني: العادات المرتبطة بالنشاطات الاقتصادية:

تمهيد:

يمارس المجتمع التواتي عدد من الأنشطة الاقتصادية، التي يلبي بها حاجياته الغذائية والصناعية، ومستلزمات البيت...، كالصناعة والزراعة والتجارة...

وهناك عدد من العوامل والمميزات التي ميزت هذه الأنشطة، وأثرت فيها ومنها باختصار:

– الاعتماد في الإنتاج على الوسائل التقليدية ذات الصنع المحلي ، وهو ما انعكس على مردودها وجعله لا يكاد يغطي حتى حاجيات السكان.

– يعتمد في الصناعة على المواد الأولية المحلية مثل: الصوف، الجلود والطين، والحديد، وسعف النخيل... وهو ما خفض تكاليفها، وجعلها تزدهر لتزيد عن حاجيات السكان.

– تمارس العديد من الأنشطة جماعةً خاصة الفلاحة، وهذا لأنها من الأنشطة التي تحتاج إلى جهد كبير، فيجتمع الفلاحون في أنشطة معينة

يطلق على هذه العملية اسم " التويزة" وتكون عادة عند الحرث أو الحصاد أو حفر أبار السقي " الفقارة".

– تحقق الزراعة والصناعة بعض الحاجيات المحلية، وما يفيض عنها يوجه للبلدان المجاورة، وهذا ما انعكس على النشاط التجاري فازدهر ونشط، وحلت منتجات البلدان المجاورة في البلاد، فأقيم لذلك أسواق أنعشت الحياة الاقتصادية. ووفد العديد من التجار على البلاد، وهم بدورهم أحضروا معهم أعرافهم وتقاليدهم فضلا عن الأنواع العديدة من منتجاتهم.

– العامل الأساسي الذي ساهم في ازدهار تلك الأنشطة هو توفر الأمن، والاستقرار اللذان جعل البلاد مطلب ومقصد للعديد من سكان بلاد المغرب، وبلاد السودان.

وسنحاول في هذا المبحث الوقف على مختلف الأنشطة الاقتصادية في المنطقة، وأهم العادات والممارسات المرتبطة بها، والمنتجات التي تساهم بها في تلبية حاجيات السكان.

1. – العادات المرتبطة بالنشاط الفلاحي.

تعد الفلاحة من الأنشطة الأساسية التي تقوم عليها حياة الفرد والمجتمع، فمن خلالها يوفرون غذائهم لتستمر حياتهم، وما يفيض عليهم يصدرونه للبلدان المجاورة، فربما يستغني الفرد عن الثياب لفترة من

الزمن وتستمر حياته، لكن لا يمكنه ذلك مع الغذاء، ولهذا هو أساسي لاستمرار الحياة. فهي كما قال ابن خلدون من أقدم الصنائع لحاجة الإنسان إليها في كل زمان فيقول: "...، وهي أقدم الصنائع لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالباً، إذ لا يمكن وجوده من دون القوت"¹

وحرفة الزراعة بما أنها من الحرف الأساسية التي قامت عليها الحياة، فهي من اختصاص البدوا لا الحضري وذلك لأن الأول أقدم عن الثاني، ويختص الثاني بمهن وحرف أخرى كالصناعة، والخياطة والنقش... والزراعة هي بحاجة إلى جهد عضلي أكبر وصبراً طويلاً نجدهما عند البدو أكثر من الحضري، وهذا لأن الثاني نخرت الحداثة قوته، وشغلت التكنولوجيا وقته، ويؤكد ابن خلدون ذلك بقوله: "... ولهذا اختصت هذه الصناعة لذلك هي بدوية لا يقوم عليها الحضري ولا يعرفونها لأن أحوالهم كلها ثانية على البداوة فصنائعهم ثانية عن صنائعها، وتابعة لها..."²

و يعتبر ابن خلدون هذه الحرفة من الصنائع فيعرفها: " هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الأقوات والحبوب بالقيام على إثارة الأرض لها وزراعتها

¹ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص406.

² نفسه.

وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله، واستخراج حبة من غلافه.¹

فيجمل ابن خلدون في هذا التعريف مختلف الأعمال المرتبطة بالزراعة من البذر إلى الحصاد، مروراً بتعهد أغصان الأشجار بالقص، وإزالة الشوائب، والسقي.

تعتبر الزراعة أهم مورد اقتصادي لسكان توات، فبواسطتها يلبون حاجياتهم اليومية، مع صعوبة المنطقة وشدة الظروف المناخية، فهي منطقة جافة مرتفعة الحرارة بالصيف ولذلك كانت أغلبية السواقي² مغطاة بالصخور لمنع تبخر الماء.

وقد كانت الزراعة في توات مستقرة وذات مردود وإنتاج معتبر، وذلك بفضل الأودية الجارية المتصلة بها، وبفضل نظام الفقاقير الموجود بالمنطقة، وعادة كانت بداية الموسم الزراعي بتوات من منتصف شهر أكتوبر، وهو ما يعرف عند العامة بتوبر (شهر أكتوبر).³

وللخصوصيات، والعوامل الطبيعية والتضاريسية، التي تتميز بها المنطقة عن غيرها من باقي مناطق الجزائر، ابتكر الفرد التواتي وسائل

¹ نفسه.

² السواقي: المجاري المائية التي تُصرف مياه الفقاقير على البساتين.

³ عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الطباعة

العصرية، الجزائر، 2010م، ص43.

وأدوات تمكنه من ممارسة نشاطه الفلاحي بكل سهولة، وتحقق له إنتاج يلبي حاجياته الضرورية، وما يفيض عليه ينشط به السوق المحلية، فابتكر وسائل للري تمكنه من سقى مزروعاته في وسط الصحراء القاحلة التي يتعذر فيها إيجاد الماء الذي يفيض على حاجة السكان الضرورية للشرب وسقي الدواب، وقد وصف هذه الطريقة الكثير من المؤرخين والباحثين على رأسهم كبير مؤرخي بلاد المغرب ابن خلدون، وسنحاول في هذه الدراسة تقديم وصف لعادات المجتمع التواتي في الزراعة من خلال وصف الوسائل المستعملة، وأهم المنتجات الفلاحية من نباتية وحيوانية، والطرق المستعملة في الري والحراث.

(أ) - الوسائل المستعملة في الزراعة:

يستعمل الفرد التواتي مجموعة من الوسائل التقليدية لتغطية حاجات زراعته المعيشية، وتسهيل عمله، ولضمان إنتاج أحسن بأقل مجهود، ولعل ما يميزها هو أنها محلية الصنع، خفيفة الحجم، مشكلة من المواد البسيطة المنتشرة بالمنطقة كالخشب، والحديد، وسعف، النخيل، ولحافها، والطين...، ويحرصون على أن تكون جزء من البستان لضمان مجانيته وتخفيف تكاليف إنتاجها، وسنحاول تقديم وصف لأهم الوسائل التي يستعملها التواتيين في العادة، وهذه الوسائل ليست التي يحملها الفرد بيديه فقط، وإنما هي تشمل جميع الوسائل حتى التي تستعمل لتخزين

المياه، أو الأماكن التي يجري بها الماء أو تحرث فيها المنتجات، أو تخزن فيها المحاصيل، ولعل أغلب هذه الأسماء بربرية تداولت على لسان العامة حتى ظنها البعض عربية، وتفصيل ذلك كما يلي:

1- الماجن: هي عبارة عن بركة صغيرة من الماء يختلف حجمها باختلاف طول البستان، وعدد المنتجات التي تسقى منها، وكمية الماء المتوفرة، وتصنع عادة في المنطقة من الطين، وهي أول إنجاز يقوم به الفلاح في بستانه بعد تحديد مكانه وعزله عن غيره من البساتين بجدار من الطوب أو الجريد المصفوف (أفراق)، وقبل تشكيلها يحضر الفلاح الوسائل اللازمة لذلك وهي: الطين، الماء، مجموعة من العصي الغليظة التي تسمى الهراوة في المنطقة، وصخرة مستطيلة مصنوعة من الحجارة أو الأسمنت تسمى أنيف وسيأتي الحديث على وصفها. وبعد تحضير هذه الوسائل، يحدد الفلاح مكان إقامتها، وتكون عادة في مكان مرتفع في أعلى البستان ليسهل تدفق الماء بسرعة إلى أبعد نقطة فيه، ثم يقوم بتخمير الطين، وذلك بأن يصب عليها الماء يوم قبل العملية، وبعد هذه التحضيرات يستدعي الفلاح مجموعة من الفلاحين الذين لهم خبرة في هذا المجال، فبعد حضورهم في الصباح الباكر يتقدم أكثرهم خبرة بتخطيط مكان الماجن، ثم يشرع البقية بدق الطين بالعصي في الأرض حتى تستوي معها وتشكل طبقة تمنع تسرب الماء، وهكذا تستمر العملية

بتناسق وتناغم يزيد من نشاط الفلاحين، وبعد الانتهاء تملأ بالماء لتختبر قدرتها على الاحتفاظ به.

وتستعمل الماجن في سقي البستان، وتجميع مياه الفقارة الذي ينساب بمقدار معين لا ينتفع به ما لم يخزن، ولهذا يحرص الفلاحون على معالجة الماجن بالأدوية ضد الحشرات والزواحف التي تشققها. ولكن مما يعاب عن هذه الوسيلة هو أنها معرضة للحشائش الضارة التي تحد من فائدتها خاصة نبتة تغانيمت التي تتسرب جذورها إلى باطن الماجن وتحدث فيها شقوق تتسبب في تسرب الماء.

2 – التابوت: هي المجرى الرئيسي للمياه في البستان مصدرها من الخزان الرئيسي (الماجن)، وتتشكل من الطين والحجارة، فيشق الفلاح في البستان مستطيل على طوله يمتد من الماجن إلى آخر نقطة فيه، ويرص على جانب هذا المستطيل حجارة صغيرة لتزيد من تماسكه وتمنع تسرب المياه، وبما أن التابوت يعد المجرى الرئيسي في البستان، وهو يمتد لمسافة طويلة يساهم ذلك في ضعف جريان الماء، ولهذا توضع في بعض الأماكن منه وسائل تزيد من سرعة الماء يطلق عليها أمازر سيأتي الحديث على وصفها، ويتفرق عن هذا المجرى مجاري صغيرة تسقي القمامين. يطلق على أحدها اسم لابادو سيأتي الحديث على وصفها.

3 - أمازر: هو بمثابة شلال صغير يكون في وسط التابوت يزيد من سرعة المياه، يصنع من ألياف النخيل والحجارة، والطين، وتوضع كلما خفت سرعة تدفق المياه، ويكون على عرض التابوت.

4 - أنفيف: هو الثقب الذي يتسرب من خلاله الماء من الماجن إلى التابوة ومنه إلى باقي البستان، ويصنع عادة من صخرة مستطيلة مصنوعة من الحجارة أو الأسمنت ذات ثقب في الوسط تسد بكومة من القماش ، وتسمى هذه السدادة في المنطقة الصمامة سيأتي الحديث على شرحها. ويجب إحكام الثقب جيدا لمنع تسرب المياه. الذي يطلق عليه في المنطقة الزلزال.

5- الصمامة: هي سدادة الماء التي تمنع تدفقه من الماجن، وهي للماجن بمثابة باب المدخل للبيت، وتصنع من القماش الذي يكور على شكل كورة على حسب قطر دائرة أنفيف (مخرج الماء)، ويجب إحكامها جيدا لمنع تسرب الماء، ولهذا يحرص الأب بنفسه على وضعها بدل أبناءه ليطمئن باله.

6 - الزرواطة: هي عبارة عن عصى غليظة تصنع عادة من الجريد، وبالتحديد الجزء الذي يصل الجريدة بالنخلة، يستعملها الفلاح في مهام عديدة، فيستعملها عند صناعة ماجن الطين، وهرس السنابل لفصل الحبوب عن الغلاف، وأشغال أخرى...إلخ.

07 – لبادو: هو مجرى المياه الفرعي، الذي ينبع عن المجرى الرئيسي (التابوة)، وبواسطته يتمكن الفلاح من سقى مزروعاته، ويستغله الفلاح عادة في غرس بعض المزروعات على جانبيه ليستفيد من الماء الجاري، ولهذا هو بمثابة أنابيب الماء التي يستعملها الفلاحون في يومنا الحالي في الزراعة الحديثة.

08 – المطرف: هو المساحة المحددة من البستان والتي تقسم هي الأخرى إلى عدد من المستطيلات الصغيرة التي تخصص لزراعة محصول معين كالقمح والشعير ، ويعود سبب وضعها من قبل الفلاح إلى نقص المياه.

09 – القمون: هو أحد المستطيلات المشكلة للمطرف تخصص لزراعة محصول معين.

10 – القمونة: هي مستطيل معين يخص لزراعة فسائل محصول معين، ومنه يأخذ الفلاح الفسائل الصغيرة التي ينقلها إلى القمامين الأخرى، وتخصص فقط للمزروعات التي تنقل مثل، السلاطة ، البصل، الفلفل، الطماطم...إلخ

11 – البطحة: يقسم الفلاح بستانه إلى مساحات محددة يفصل بينها بدار، ويعود سبب ذلك إلى الوقاية من الرياح التي تجتاح المنطقة، وتتلف المحاصيل، وإحدى هذه المساحات تسمى البطحة.

12 – الحيط: يستعمل الفرد التواتي عادةً جدار يفصل بينه وبين بستان جاره، يكون بناءه من الطين أو الجريد المصفف الذي يسمى أفراف حسب اللهجة المحلية. وهذه التسمية مشتقة من الإحاطة، وهو في العربية يسمى الجدار.

13– الميجل: هو قطعة من الحديد مسننة في الرأس تشبه المنشار، ملتوي في رأسه يستعمله الفلاح في الحصاد، وقطع جريد النخيل، يختلف حجمه باختلاف المهمة التي يقوم بها، فالمناجل المستعملة في الحصاد أقل حجماً من المستعملة في قطع جريد النخيل، ويصنعها الحدادون في المنطقة.

14 – المَخِيطُ: هو عبارة عن إبرة غليظة يستعملها الفلاح في أشغال البستان مثل إحاطة أكياس التمر والقمح والشعير وغيرها من الأكياس.

15 – الخزنة: وهي مشتقة من التخزين، لأن الفلاح يخزن فيها منتوجه من القمح، والشعير، والتمر، والبصل...، وتسمى كذلك المظمورة في بعض المناطق، وهي أثبتت فاعليتها في حفظ تلك المحاصيل.

16– الوتد: وهو من التوتيد لأنه يوتد في الأرض، ليثبت شيئاً ما، وورد ذكر ذلك في القرآن لتبيين فضل الله الذي تجلى في دور الجبال في تثبيت الأرض فيقول تعالى في سورة النبأ¹¹: ﴿ وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴾ ، ويستخدمه

¹¹ سورة النبأ، الآية 07.

الفلاح التواتي في ربط بهائمهم في وسط المراعي لترعى. خاصة عند فراغ البستان من الحرث.

17 – المثمورة: وهي مثل الخزنة التي تستغل في تخزين المحاصيل الزراعية، له مناخ مناسب لحفظ المحاصيل من التعفن، ويخزن بداخلها القمح بسنابله والتمر، وهذه الفكرة مستوحاة من قصة سيدنا يوسف عليه السلام في حفظ الحنطة من التلف والحشرات، وجاء ذكر ذلك في قول الله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَاكُلُونَ ﴾¹

(ب) مواد التسميد:

1- الطين: يستخرجها الفلاح التواتي من بعض المناجم القريبة من بستانه، والمنتشرة في المنطقة، وهي مفيدة لتماسك التربة الرملية، فتقلل من نسبة نفاذيتها للماء، كما تغذي النبات بالمواد العضوية. وتختلف نسبة ملوحتها لذلك لا تستعمل كلها في الحرث، فمنها ما يستعمل للحرث، ومنها ما يستعمل للبناء... الخ.

2 – الغُبار (الزُبَال): وهو الزبال باللهجة المحلية، ويتشكل من روث الحيوانات التي يدجنونها في البساتين عادة مثل الأغنام، والماعز، والإبل، والدجاج أحياناً، وبسبب عدم توفر الأسمدة حرص الفلاح

¹ سورة يوسف، الآية 47.

التواتي على هذه المادة العضوية الوحيدة، فنجده يخصص شهرا كاملا لنقل هذه المادة إلى بستانه وهو شهر توبر (أكتوبر).

3- لانقري (الأسمدة): وهي من الأسمدة الحديثة التي لجأ إليها الفلاح التواتي لتحقيق نتائج أحسن، ولتغطية متطلبات أسرته الكبيرة الحجم، وهو نوعان الأسود والبيض كل نوع مخصص لمرحلة معينة من مراحل نمو النبات.

4 - الرماد: يستعمل كسماد ودواء ضد الحشرات، ويتحصل عليه من بقايا نار الموقد التي يستعملها الفرد التواتي في أكله، وسمره، ودفئه.

(ج) - الحيوانات المستعملة:

يُعتمد في المنطقة على عدد من الدواب لتسهيل عملية الحرث ومن أهمها الحمير التي يسخرها للحرث، ونقل المواد العضوية التي يحتاجها النبات (الزبال، والغضار)، كما يستفيد من مخلفات بعض الحيوانات الأخرى، كالغنم والدجاج....

1- الحمير: تستعمل في العادة لنقل الزبال، والغضار(الطين) إلى البستان، وهي وسيلة تنقل من بستان لآخر، ومن البستان إلى البيت، ولنفعها الكثير ضرب فيها الفلاح التواتي العديد من الأمثلة ومن أشهرها المثل السائر الذي يتكرر على الألسن وهو: **اللي ما عندو الحمار خير منه الحمار**، وإن كان هذا المثل مجحفا في حق كرامة الإنسان إلا أنه

يؤكد مدى تعلق الفرد التواتي بهذه الحيوان حتى لا نكاد نجد بستان يخلوا منه.

– **الدبش:** هو الذي يضعه الفلاح على الحمار ليتمكن من استغلاله دون أن يلحق به أذى، وهذه الكلمة من اللهجة التواتية، ويشتمل الدبش على عدد من القطع المشكلة من الكتان، ولحاف النخيل.

رغم أن الفلاح التواتي يهدف من خلال عمله إلى تحقيق اكتفائه الذاتي ليس أكثر، إلا أننا نجده يهتم بتربية الحيوانات التي يستفيد منها في حاجياته الغذائية، ومن ذلك نجد:

2- الأغنام: هناك بعض الأجناس محلية، والأخرى هي خليط بين الجنس المحلي والسلالة المستوردة من الشمال أو من بلاد السودان الغربي، وهذه الأخيرة هي الأكثر انتشارا لعدة أسباب، منها أنها مستوردة من بيئة صحراوية شبيهة ببيئة المنطقة ما يجعلها تتكيف بسرعة، والأخرى أن سعرها منخفض مقارنة مع الأخرى، ويتم تربيتهم في مكان يسمى باللهجة المحلية " التقي¹"، وتحصر تلك الأغنام في داخلها ولا ترعى كما هو الحال في مناطق الشمال والسودان، ومنها أن

¹ هي عبارة عن حظيرة صغير يكون في أول البستان يخصص لتربية الأغنام، يقسم لعدة غرف صغيرة لفصل الأغنام بعضها عن البعض، وعزل الصغيرة عن الكبيرة، والحوامل عن غيرها...

غذائها يكون من البستان، وهو عادة من حشيش الذرة¹، الفصة، والنخالة، والتمر، والبلح، وفي يومنا الحالي تستعمل بعض الأغذية المسمنة، وهو ما أفقد أغانم المنطقة مذاقها.

3- الماعز: يهتم سكان المنطقة بتربية الماعز لفائدته الكبيرة في توفير الحليب خاصة، فأغلب الحليب المستهلك في المنطقة يتحصل عليه من الماعز، وأما لحمها فهو ليس من اللحوم المحببة لسكان المنطقة، ولهذا نجدهم لا يفضلون ذبحها في الأعياد والمناسبات إلاّ كآخر حل. ومن عادات سكان المنطقة في تناسل الماعز أنهم يتبادلون الذكران للحصول على سلالة جيدة فربما قد يطوف تيس واحد أغلب القصر.

(4- الإبل والأبقار: بعدما كانت الإبل واسعة الانتشار لدى سكان المنطقة أصبحت اليوم نادرة كالبقر، وهذا راجع إلى استغناء السكان عليها في السفر ونقل البضائع، فلقد عوضت السيارة دورها، كما أن تربيتها مكلفة فهي عالية الأثمان وتحتاج إلى أكل كثير قد لا يتوفر عند أغلب السكان خاصة بعض الجفاف الذي تعرضت له المنطقة في أيامنا، حيث كانت الغابات في القديم تغطي أغلب الصحراء بفعل تساقط الأمطار. ولهذا أصبحت أغلب الإبل الموجودة في المنطقة مستوردة من بلاد السودان.

¹ تسمى في اللهجة المحلية باسم البشنة.

5) - الطيور: يهتم السكان بتربية الطيور خاصة الدجاج والحمام، فتخصص لهما زاوية في البيت أو البستان، يعزلون بداخلهما ويقدم لهم الحبوب، ويعود سبب الاهتمام بهما لفائدتهما في توفير اللحم والبيض.

د) المنتجات: تساهم الزراعة التواتية في توفير بعض المنتجات التي يستفيد منها في توفير غذائه، وتسويق ما يزيد على حاجتها لتغطية احتياجاته الأخرى، ومن ذلك نجد:

النخيل، التمر، العدس، البصل، الثوم، القمح، الشعير، الفول البطاطا، التبغ، الشمندر، البطيخ، النعناع، البسباس، حلبة، القزير (البقدونس)، الدمشي (الجلبان)، البونافع (الحبة السوداء)، الحبق، الحرة، الخرطان (الشوفان)، الدلاع، القنية، زريعة الكتان، الكبل (الذرة)، البشنة (الدخن)، التافسوس، الكاوكاو، القرعة، الحنة، الرمان، النبق (الصدر)، الجزر، العنب (الكرمة)، الكابوي، الكرجيت، تدلاغ، نومي (الزنجبيل، السمسم)، أم الناس (سيد الحاج محمد الحرمل)، السلطنة، الكرنب (القرمبيط)، الشفلور (الملفوف)، السلق (السبانخ)، أفران. الفلفل، مريوا (المرمية)، صدرة الدواء، القرطوفة. الزعفران، اللافت، الطنجال (البازنجان)...

هـ) - عادات المجتمع التواتي في الري واستخراج المياه:

تتواجد منطقة توات في قلب الصحراء الإفريقية الواقعة في شمال إفريقيا، وهي تفتقر للمنابع المائية والأودية كالشمال، وبما أن الماء ضروري للنشاط البشري، سعى الفرد التواتي إلى ابتكار طرق تعينه في توفير هذه المادة الحيوية التي تتوقف عليها حياته و أنشطته المختلفة، وهذه الطريقة انفراد بها المجتمع التواتي في وطننا الجزائر ، وتشبه بكثير من المناطق في العالم مثل العراق وإيران...، وإن كانت التسمية وطريقة توزيع المياه مختلفة، أطلق عليها عملية نظام الري بالفقارة.

أثارت هذه العملية كبير المؤرخين ابن خلدون حتى أفرد لها جزء في كتابه العبر ليقدم لها وصفا، ومن ذلك قوله: "... في هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق طريقة غريبة في استنباط المياه الجارية لا توجد في تلال المغرب، وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها إلى أن يصل بالحفر إلى حجارة صلدة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها عن الماء فينبعث صاعدا فيعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا ويزعمون أن الماء بسرعته عن كل شيء هذه الطريقة الغربية موجودة في قصور توات تنجورارين وورقلة وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاق العظيم"¹.

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص77.

ولهذا كانت هذه الطريقة عجيبة في طريقة حفرها، واستمرار تدفقها، ونظام توزيع المياه على المشاركين في حفرها، وسنحاول وصف طريقة توزيع المياه كما جاءت في مخطوط لتعريف بمنطقة توات.

– طريقة حساب وتوزيع مياه الفقارة بالمنطقة (التكْيَالُ):

اعتمد في المنطقة على طريقة حسابية دقيقة لتوزيع مياه الفقارة، لأنه يشارك في إنجازها عدد كبير من الفلاحين، فبعد وصول المياه إلى مشارف القصر تُشقُّ لها طريق في داخله، ويسمى المجرى الذي يجري فيه الماء بالمنطقة " الساقية" وهذه الكلمة مشتقة من السقي، وتبقى مكشوفة ليتمكن الجميع من الاستفادة منها في الشرب، والنقل منها للبيت لتلبية أغراضه من طبخ، و شرب وغسيل، ولهذا كانت المصدر الرئيسي والوحيد للشرب لفترة طويلة من الزمن، وذلك إلى حين استعمال الحنفيات الحديثة، فبعد انتهاء المهمة الرئيسية الأولى التي أنشئت لأجلها وهي الشرب، تواصل مياه الفقارة شق طريقها في وسط القصر إلى أن تصل إلى مشارف البساتين، فهناك يجتمع الفلاحون ويستدعون أحد الاختصاصيين للقيام بمهمة تقسيم المياه بينهم بالسوية، وتسمى هذه المهمة التكْيَالُ، وكانوا قبلها يعتمدون فقط على التقدير بالعين كما ذكر في حين كانت طريقة الاعتماد على تكْيِيلُ الماء سارية المفعول في باقي المناطق الصحراوية، وبلاد المغرب الأقصى كذلك، كما جاء ذلك في مخطوط أحداث توات، وجاء فيه: " كان أهل الصحراء

يستعملون المكاييل خاصة لتقدير مياه السقي، فكانوا في البداية يعيرون بالعين دون مكيال خاص، ولأول مرة في عهد مولاي الرشيد العلوي جاء الجابي المسؤول عن إحصاء مقادير المياه من أجل تحديد الزكوات والأعشار بلوحة من نحاس مثقوبة لتقدير المياه ، وكانت هذه اللوحة مستعملة في مناطق أخرى من بلاد المغرب وهذا هو أصل ما يسمى بالكيل الأصغر.¹

اعتمد سكان توات على عدد من الوحدات الدقيقة في هذه العملية، لها عدة أسماء منها الحبة، والقراط ، والأساس الذي اعتمد عليه في ذلك هو مقدار تدفق الماء في الدقيقة، ويضيف نفس المخطوط: " ووحدة الكيل في هذا النظام هي الحبة أو الأصبع، أي كمية الماء التي تمر خلال يوم وليلة من ثقب في لوح نحاسي له مقياس محدد تقريبا بحجم الإبهام."²

وتختلف مقادير هذا الثقب باختلاف الدوائر واللوحات فهي من تسعة مليمترات في تامست³ من سبعة وعشرين مليمتر ، وهي سبعة وعشرين مليمتر في سالي⁴، وبعضهم استعمل مصطلحات أخرى غير الحبة، وهي

¹ مؤلف مجهول، مخطوط أحداث منطقة توات خلال خمسين سنة قبل الميلاد، خزانة كوسام، ولاية أدرار، ص31.

² نفسه.

³ إحدى بلديات الولاية تقع جنوبها تبعد عند مقر الولاية بحوالي 50كم.

⁴ كذلك هي بلدية تقع جنوبها تبعد حوالي 160كم.

كلمة قيراط في تيمي¹ وأصبع في تسابيت² وغيرها، وخرق(ثقب) في أولف³ وتيط ويمكن تقدير معدل صب الحبة بثلاث لترات ونصف في الدقيقة.

الحبة تعادل أربعة وعشرون قيراطا أو ستة وتسعين درهما أربعة دراهم لكل قيراط أو مئة وأربعة، وأربعون خروبة ست خروبات لكل قيراط أو خمس مئة وستة وسبعون موزونة، ستة موزونات للدرهم أو أربعة موزونات للخروبة.⁴

وكانت هذه مقاييس تعودَ عليها الفلاح التواتي في تقسيم المياه بالتراضي، وأثبتت هذه العملية جدواها إلى يومنا الحالي، وبذلك اعتبرت الفقارة مثار إعجاب في طريقة حفرها ، وتدفق مائها وجريانها من أعلى نقطة إلى أقل نقطة، وصولا إلى العملية الحسابية المعتمدة في تقسيم المياه بين الفلاحين.

(و) - بعض العادات العامة المرتبطة بالنشاط الفلاحي:

¹ إحدى البلديات العريقة في الولاية، وكانت هي مركز الولاية قبل أن تحول من تيمي إلى أدرار

² هي إحدى بلديات الولاية تقع شمالها، وتبعد عن مقرها حوالي 60 كم.

³ من دوائر الولاية، تقع جنوبها، وتبعد عنها حوالي 260 كم.

⁴ نفسه.

بعد تعرفنا على عادات المجتمع التواتي الفلاحية المتعلقة بأهم الوسائل التي يستعملها الفلاح في العادة، وأنواع المنتجات ، والعادات المتعلقة بطريقة توفير الماء في وسط هذه الصحراء القاحلة سنحاول أن نجمل في هذه النقاط بعض العادات العامة المتعلقة بالنشاط الفلاحي، ومنها:

1- الاجتماع للتعاون في الحرث: بما أن الفلاح نشاطه يعتمد على القوة العضلية، فهو بحاجة لمن يساعده لهذا يتعاون الفلاحون في الحرث، مثل: قلب الأرض وحرثها وغرسها أحيانا، وفي مقابل هذه المساعدة يكرم الفلاح ضيوفه بإطعامهم وجبة تليق بجهدهم المبذول، وأثناء العمل يردد الفلاحون بعض الأناشيد الحماسية موضوعها حول الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي نهاية ذلك يجتمعون على شرب الشاي الذي يعد رأس المائدة التواتية، ويدفن في وسط النار التي يطبخ عليها الشاي بعض المحاصيل لتقدم إلى جانب الشاي مثل الكاكاو والذرة الصفراء التي تسمى باللهجة المحلية (الكبَّل)، وهكذا يستمر السمر إلى حين انتهاء الشاي، وبعد ذلك يفترقون بعد تحديد الشخص الموالي الذي يكون دوره بعد ذلك.

2- تبادل المنتجات الزراعية: إنتاج الفلاح التواتي موجه للمعيشة، ولا يفكر في التعامل التجاري إلا في بعض المحاصيل التي تعد على الأصابع كالتبغ والتمر...، ولذلك لا يضره لو تبرع ببعض منها لجيرانه

من الفلاحين أو غيرهم، وأهم المنتجات التي يتبادلها الفلاحون فيما بينهم هي الفسائل التي تغرس، مثل التبغ، والتمر، والسلطة، والبصل...، وبعد الحصاد وجني التمر يقدم الفلاح لجاره الذي قلَّ حصاده بعض من ممتلكاته التي لا توجد عنده مثل: التمر، والقمح، والشعير والبطيخ، والسلطة، والنعناع خاصة... الخ، وهذه العملية تؤكد تماسك المجتمع، وتكافل أفرادها فيما بينهم.

3- استعارة وسائل الحرث: لا يمتلك الفلاحون جميع الوسائل التي يحتاجها عملهم إلا الضرورية والأساسية والتي لا يستمر العمل إلا بتوفرها، ولهذا يقترض الفلاح عن جاره بعض الوسائل ومنها الحيوانات، ويأتي على رأسها البهائم التي يستعملها في نقل الزبال والطين، وبعدما ينتهي الفلاح من استغلالها يعيدها لصاحبها مقابل عشاء (للحمارة)، ويتكون من التمر والعشب الجاف، كما يستعير الأنعام لغرض التنازل، والتكاثر وتغيير النسل، وأهم الدواب الماعز... ويقتصرون على الذكور دون الإناث إلا نادراً.

4- اختصاص النساء والرجال كل منهم بعمل خاص: يشترك النساء والرجال في العمل الفلاحي لكن كل منهم له عمل خاص به يتمشى مع بنيته الجسدية، وحسن إتقانه له، فيختص الرجال ببعض الأعمال منها: قلب الأرض، والحرث، ونقل المواد العضوية (الزبال، والطين)، والحصاد، وجني التمر، كما تختص المرأة بأعمال أخرى كذلك منها

اشتراكها في الحصاد إلى جانب الرجال، وإشرافها في بعض المناطق على الحيوانات الموجودة في البستان (الأغنام، الماعز، الدجاج) فهي التي تطعمها، وتتعهدها، وتنزع الحليب منها، وتجمع بيضها، كما أنها تجمع التمر مع بعض صديقاتها من تحت النخيل. كما تشرف بنفسها على زرع بعض المحاصيل التي تحتاجها للعلاج، أو الطبخ مثل: القزبر (البقدونس)، الثوم، الحبة السوداء (بوناغ) ... الخ

5 – **التعاون في الحصاد وجني التمر:** كما سبق وأن قلنا بأن الرجال يتعاونون فيما بينهم في بعض الأعمال الكبيرة والتي تحتاج إلى قوة أكبر، وتستنفذ وقتاً أطول لو أكلت لرجل واحد، ويتعاون النساء فيما بينهم في بعض الأعمال الشاقة مثل جني التمر، فبعد أن يقطع الرجل العراجين¹ ويتركها تحت النخيل، تأتي النساء في الصباح وهنّ يحملن القفف في أيديهم فيجمعن التمر ويضعنه داخل أكياس، وأثناء ذلك العمل يتحاكين فيما بينهم بعض الأمور التي تخصصهن، والتي لم تتح الفرصة لهن لحكيها في البيت ، وبهذا كان العمل متنفساً للنساء لتتلاقى وتبادل الأخبار والمشاعر، ويجتمعن كذلك في حصاد القمح والشعير، فيشارك النساء في ذلك ليسهل العمل وتخفف مشقته بحكاياتهن وسمرهن، وبعد نهاية العمل يكون أجر النساء المساعدات هو نصيب من التمر والقمح متعارف عليه بين النساء.

¹ هي عناقيد التمر.

11. (العادات المرتبطة بالنشاط الصناعي:

يحتاج الفرد التواتي إلى عدد من الصناعات ليلبي حاجياته الضرورية في المعيش والسكن، ولهذا أعطى عناية لهذا النشاط، وتعتمد الصناعة في العادة على مواد أولية محلية ومنها: الخشب، والطين، والقطن، وأجزاء النخيل...الخ، وتستعمل هذه المصنوعات في أغراض كثيرة تتماشى مع البيئة الصحراوية التي لها خصوصياتها الجغرافية والمناخية، وسنحاول في هذه المبحث وصف أهم المصنوعات التي يعتمد عليها الفرد التواتي في العادة، وطريقة الصنع، والاستعمال...الخ.

(1) - الصناعات التقليدية في المنطقة:

1-1 - الصناعة الطينية:

تعتمد هذه الصناعة على الطين كمادة أولية، وتستخرج من مختلف المناجم المتوفرة في المنطقة، ويتم تحضيرها بكيفيات عديدة حسب الاستعمال، والغرض الذي صنعت لأجله، ولعل أبرز الصناعات الطينية هي صناعة الفخار التي تعد من أقدم الصناعات التي قام بها الإنسان لسهولتها وتوفر مادتها الأولية.

1-1 - صناعة الفخار: يعتبر الفخار من أهم الحرف اليدوية التي

استخدمها الإنسان منذ العصور الحجرية في حياته المنزلية والعملية،

كما يعتبر الفخار من أشهر الحرف والصناعات اليدوية في المجتمعات البدائية التقليدية.¹

ودل على ذلك الحفريات القديمة التي عثر فيها على أواني فخارية استعملها الإنسان في حياته اليومية. وصناعة الفخار في الجزائر تعتبر شاهدا من الشواهد العتيقة لماض بعيدا ، ولهذا يعتبر الفخار المصنوع بواسطة اليد والملتقى الزخرفة المستوحاة من المواد الطبيعية عنصر من عناصر الحضارة الريفية لشمال إفريقيا²

تعتبر الطين هي المادة الأساسية في صناعة الفخار لأنه يحتوي على مواد تساعده على التعمير طويلا ، وهو على عدة أنواع منها: الطينة البيضاء ، والحمراء، فكل نوع خصائص مميزة ، وتحتوي الطين على مواد أخرى كأكسيد المعادن، والمنغنيز ، والحديد ، والنحاس.³

¹ الحيدري إبراهيم، إنثولوجية الفنون التقليدية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية، 1984م.

² نابت ريحة، الفخار في الجزائر، الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية، أدرار من 1994/05/29م — 1994/06/02م — المتحف الوطني للفنون والتقاليد الشعبية، ص60.

³ بلحية بهيجة، الصناعة الفخارية وأبعادها الفنية والثقافية بمنطقة ندرومة، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2001—2002، ص25

والطينة الحمراء واسعة الانتشار ، فهي قريبة من السطح ، وهناك من يرى بأنها أقل الأنواع جودة لاحتوائها على عناصر أخرى ، وهي لا تتصهر حتى تبلغ درجة حرارتها 800 سنتغرادية¹

1-2 – تقنية الصنع: من أجل تحضير أواني فخارية لا بد من المرور بعدة مراحل لتحويل المادة البسيطة إلى أواني قابلة للاستعمال.

تتمثل المرحلة الأولى في كسر القطع الترابية الضخمة إلى قطع صغيرة ثم غربلة التراب لتفقيتها من الشوائب والحجارة ، والجذور العالقة، وبعد ذلك يبلى الطين بالماء داخل أحواض، ويترك مدة حتى يتحلل، ثم تفرش الطين المصفاة وتترك في الشمس حتى يتبخر منها الماء.

ثم يحضر الصانع كمية أخرى من بقايا الأواني الفخارية القديمة، وبعد طحنها يمزجها مع الطينة الأولى، وبهذا الشكل تحضر الخلطة، فيمزجها الصانع جيدا حتى تكون خلطة واحدة وتضمن تماسك الطين، وبعد تحضير العجينة باعتبارها المادة الرئيسية في هذه الصناعة يشرع الصانع في تشكيل الأواني، وللعلم فإن صناعة الفخار تجرى في فصل الربيع لأنه الفصل الأنسب لهذه الصناعة من حيث اعتدال الجو ، أو من

¹ علي بومدين، الفنون والعادات التقليدية وأهميتها في التنمية البشرية، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2009-2010، ص70.

حيث العمل نفسه، كما أن أغلب العائلات في هذا الفصل تسعى لإقامة أفرانها، وتبديل أوانيها.¹

وتتم هذه العملية الأخيرة كالتالي:

كما هو معروف فإن الصناعة الفخارية لا تحتاج إلى وسائل ضخمة بل تتطلب أدوات بسيطة، ببساطة هذه الصناعة، ومنها قوالب طينية جافة مختلفة باختلاف أشكال الأدوات المصنوعة ، وعصاة جافة لتلين العجينة وتطويعها، وبعد تحضير هذه الأدوات وهذه الخلطة يستعد الحرفي لإنجاز أواني مختلفة، وأول ما يقوم به الصانع هو ذلك العجينة حتى تصبح خالية من الجيوب الهوائية، وتحضر مثل عجينة الخبز، وكلما بدأت الطينة في الصلابة يرشها بقليل من الماء تليينها، وإذا حصل العكس أضاف إليها كمية من الطين الصافية المغرولة ، و يقوم الصانع بأخذ الطينة ولفها على اليد، ثم يضغط عليها بأصابع اليد، ثم يواصل عملية الضغط على قاعدة وجوانب دائرية، وفي هذه الحالة يصنع الأشياء الكبيرة الحجم، والدائرية والأسطوانية الشكل. وهناك طرق عديدة منها:

¹ نابت ريحة، صناعة الفخار في الجزائر، الملتقى الثاني للبحث الأثري والدراسات التاريخية، أدرار 1994/05/29 ، تمت صباعته بالوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، د.ت، ص 62.

3-1 – **طريقة التشكيل بالضغط:** هي ظاهر الأمر بسيطة وبدائية تستعمل لتشكيل الأنية، فلو أردنا تشكيل كوب مثلا نأخذ قطعة من الطين في حجم رمانة ونلفها باليد، وتتلاعب بها أصابعنا عن طريق الضغط مشكلين قاعدته وجوانبه السفلى مع المحافظة على سُمك جدران الإناء، وبعد الانتهاء تبقى بعض الجزئيات شبه مشوهة في داخل الإناء وخارجه، حينها نستعين بالماء لتمليس جدران الإناء، وبعد الانتهاء تبقى بعض الجزئيات شبه مشوهة في داخل الإناء وخارجه حينها نستعين ببعض الحصى الملساء لصقل الإناء، وتكون العملية بسرعة وبدقة.

والتشكيل بالضغط تصنع منه الأشياء الكبيرة الحجم الدائرية والأسطوانية الشكل، والقطع الصغيرة تشكل بسرعة نظرا لصغر حجمها، أما القطع الكبيرة فتشكيلها يكون بتشكيل القاعدة ثم تبنى جوانبها بإضافة قطع من الطين تلتئم قطعة فوق أخرى عن طريق الضغط، وعند إتمام جوانبها وبلوغها ارتفاع معين يمكنها أن تحافظ فيه على قوامها، فتترك لتجف بعض الشيء ثم يتواصل البناء حتى النهاية.

4-1 – **طريقة التشكيل بالحبال الطينية:** وهناك طريقة أخرى تبدأ بتشكيل القاعدة من الأسفل ينطلق الحرفي بالتدرج إلى الأعلى، وتسمى هذه الطريقة طريقة التشكيل بالحبال الطينية.¹

¹ صالح بوسليم، الصناعة التقليدية بمنطقة تيديكلت – صناعة الفخار والجلود أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2002–2003، ص60.

فيأخذ الحرفي كومة من الطين ويفرشها للقاعدة لتشكيل القاع، ثم يأخذ قطعاً متساوية من الطين ويلفها في اليد ليشكل منها حبال يضعها في شكل أسطواني حتى تبرز ملامح الحائط، وبعد تشكيل الآنية يبقى تشكيل توابع الإناء¹ مثل العرى، والمقابض² والأعناق³.

وهناك طريقة أخرى منتشرة بقصر تمنطيط ، – ويعد هذا القصر رائداً في هذه الصناعة إلى جانب النهضة الفكرية والتجارية التي ذاع صيتهما به، والدليل على ذلك ورود ذكره صريحاً في كتب الرحالة والمؤرخين مثل ابن خلدون، والعياشي – وهذه الطريقة تتم بأن يفرغ الحرفي عجينة في قالب أعد مسبقاً لتأخذ شكله، ثم يكرر العملية في النصف الآخر ، ويثبت الطين بأصبعه داخل حفرة مرسومة على شكل

¹ هي الأجزاء الضرورية للأواني التي تلحق بها بعد تشكيل هيكل الإناء، وأهمها المقابض ، والعرى، والأعناق، ودون وجود هذه التوابع يبقى الإناء فاقد لقيمه.

² العروة تتركب بعد الانتهاء من تشكيل الإناء، والمقبض يتصل بالجزء الأوسط من بدن الإناء وشكله على العموم يكون دائري وسميك.

³ وهي الجزء الأخير من الإناء حيث يصنع لوحده ثم يجمع، وهي أنواع منها: الأسطوانية: وتكون لها رقبة طويلة تجدها في القلل ، وبعض الآلات الموسيقية مثل الدربوكة وأقلال، وهذان النوعان من الأعناق هما البارزان في المنتوجات الفخارية في المنطقة.

الأعناق المخروطية: وهي التي تكون منفرجة نحو الأعلى ويكون هذا النموذج في المزهريات...

معين، وبعد ذلك يطبق الجانبين بعضهما على بعض ليحصل في النهاية على الشكل الذي كان يطلبه.

5-1- عملية التجفيف والحرق: بعد الانتهاء من عملية تشكيل الأواني تعرّض هذه الأخيرة لتجف مدة تتراوح ما بين ثلاثة أسابيع إلى شهرين تحت الظل لأن هذه العملية يجب أن تتم بكل تأنّي لأنه إذا عُرِضت مباشرة للتجفيف تحت حرارة الشمس تجف من الخارج فقط وبالتالي يبقى الجزء الداخلي وهذا ما يجعلها سهلة للكسر.

وعملية الحرق في هذه المنطقة لا تتم بواسطة الفرن كما هو معروف أثناء حرق الفخار بل تتم على مستوى سطح الأرض عن طريق حفر حفرة عمقها 50سم، وتحاط بالحجارة والعيّدان القابلة للاشتعال، وتوضع الأواني قطعة بعد قطعة، فمرة على قاعدتها، ومرة على فوهتها، للاستفادة من رص عدد كبير من الأواني في الفرن¹ ثم تغطى بحطب رقيق وفي الأخير تستخرج الأواني ساخنة وتترك حتى تبرد، وتتفاوت درجة حرارة حرق الأواني باختلاف تركيب كل طينة، فالطينة الحمراء مثلا لا تتحمل درجة حرارة مرتفعة.

6-1 - تزيين الفخار: بعد الانتهاء من صناعة الأواني الفخارية المختلفة يصقلها الحرفي ويملّسها بأداة حتى تصبح ناعمة يحضر أوانيه الزاهية ليزينها بأدواقه المستوحاة من بيئته الصحراوية، ولعل اللون

¹ بلحية بهيجة، المرجع السابق، ص41.

البارز هو الأسود والبني، كما يرسم على الأواني بعض الرسومات لأزهار، ونباتات، وحيوانات منتشرة في الصحراء مثل الجمل، والنخيل،... إلخ.

7-1- المصنوعات الفخارية: يشكل الحرفي التواتي من الطين مجموعة من الأواني التي يستعملها في حياته اليومية ومنها:

أواني الطعام:

– الصحون: تتميز باستدارة شكلها وعدم وجود قاعدة في الأسفل وتمتاز بسمك جدرانها خاصة التي تستعمل لصنع الكسكس، وهذه الخاصية ميزة الصحون في العالم الإسلامي¹.

– الأقداح: تستعمل للشرب، وهي متفاوتة الأحجام أما المقاس المتداول أثناء الصنع فيبلغ قطر فنجان القهوة أو الماء (06سم) أما الارتفاع فيبلغ (3سم). وقد كانت تصنع دون عرى أو مقابض إلا نادراً.

– القدور: تعتبر هذه الآنية ضرورية في كل بيت، وهو الوعاء الوحيد الذي يلزم الإنسان في بيته فيحتاج إليه الماكن في البيت والراحل مثل

¹ محمد الطيب العقاب، الأواني الفخارية الإسلامية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،

البدو الرحل، ولهذه القدور قاعدة مستوية غير مستديرة لذلك يسهل وضعه فوق الموقد، وهو مزود بعروتين قرب الفوهة من الجانبين، وكثير ما تستبدل القدور في ربيع كل سنة باستبدال القديم منها بالجديد، وهذا الأمر تتطلبه الوقاية الصحية.¹

– **أواني الشرب:** هناك العديد من الأواني المستعملة للشرب ويأتي في أولها القلل بمختلف أحجامها.

– **القلّة:** وتصنع من الطين، وهي على شكل دائري تستعمل لحفظ الماء وتبريده في الصيف، ولقد كان لها دور كبير في تخفيف عناء حر الصيف في وقت تعزر فيه إيجاد وسائل أخرى لتبريد الماء، ويضعها الفرد التواتي في العادة في مكان رطب تحت ظل الشجرة، في مكان يتحرك فيه الهواء ليسهل تبريد الماء، ويغطي مدخلها بغطاء سهل الفتح، وتلف بقطعة قماش، و ألياف النخيل لتقيها من أشعة الشمس، وتحافظ على برودتها. وتضع المرأة التواتية في مدخلها قليل من القطران ، ليعطي ماءها رائحة ذكية تزيد عزوبته وبرودته إقبالاً من قبل الشارب حتى في يومنا الحالي، في عصر التكنولوجيا واستعمال المكيفات التبريدية.

كما تستعمل لحفظ اللبن، وبعد فسادها، وتشققها تستعمل في حفظ المنتجات الجافة. وبذور المحاصيل . وشكلها مستدير في القاعدة أما

¹ علي بومدين، المرجع السابق، ص، 74.

الرقبة فتأخذ في الانفتاح أما عن مقاسها فالقلة يبلغ ارتفاعها حوالي 45سم، والطول يبلغ 13 أو 14سم ، ونصف قطرها الداخلي يبلغ 23 سم.

– **الجرار:** هو إناء له بطن كبير وعروتان وفم واسع، وبعض الجرار الإسلامية امتازة بقاعدة صماء، وبروز رقبتها في خط مستقيم، ومقابضها قصيرة تشبه علامة الاستفهام، وعددها لا يقل عن عروتين،¹ وهذه الصناعة مشهورة في منطقة توات الوسطى ، وبالتحديد منطقة تمنطيط التي اشتهرت بصناعة الجرار والقذور المحدبة.

– **الأكواب:** لها شكل اسطواني ينتهي بقاعدة دائرية مستوية وليس له عروة، وقد اتخذوا في الوقت الحاضر أكواب صغيرة تستعمل لشرب الشاي، أو القهوة أما الكبيرة منها فتستعمل لشرب الماء.

– **التحف الفنية:** من بين التحف الفنية يوجد المزهريات، وهذه لم تكن من الصناعات الأصلية بالمنطقة، بل وفدت عن طريق ترويج المنتجات الخزفية الحديثة²، والبقية من الصناعات هي وليدة الأفكار المحلية، و بحكم وجود المادة الأولية يتمكن الصانع من تشكيل عدّة أصناف بغرض تزيين المنازل، فنجد مثلا المبخرة التي تستعمل للتعطير ويكون هذا الشكل الأخير متنوعا بحيث يشبه الضريح في شكله الهرمي، أما من

¹ حسن زكي، كنوز الفاطميين، دار الرائد العربي، بيروت، 1981م، ص173.

² الصالح بوسليم، المرجع السابق، ص75.

حيث الزخرفة فهي عبارة عن تمازج بين الألوان مثل الأخضر، والأحمر، والأصفر ليشكل خطوط متنوعة تجلب النظر عن طريق اتخاذ عدة أشكال هندسية من جراء تنوع الخطوط الملونة ، وقد يجد الزائر أو يرى المبخرة في قاعة الاستقبال أو الضيافة، وتكاد هذه الصناعة الفخارية تقلد جميع المصنوعات المعدنية خاصة من جانب التزيين.

(ب) - **الصناعة الجلدية:** تعتمد هذه الصناعة على الجلود كمادة رئيسية، ويتحصل عليها من الحيوانات التي يربئها سكان المنطقة، أو التي تستحضر من البلدان المجاورة. ولقد كانت الأغنام والأبقار، والإبل هي المادة الأولية للاستفادة من اللحوم ومن المنتجات الجلدية، وتعد هذه الصناعة من أول الحرف التي لجأ إليها الإنسان في العصور القديمة، وهذا لأنها ضرورية لاستمرار حياة الإنسان في البيئة الباردة أو الحارة، فصنع ثياباً تقيه الحر، وأخرى تقيه البرد ، وكانت جلود الحيوانات ، هي المادة الأولى التي اعتمد عليها الإنسان إلى جانب ورق الأشجار، وسبب ذلك يعود إلى أن الإنسان رأى من خلال احتكاكه بالحيوانات كيف تكسي الجلود لحومها، وتوفر لها من الدفاء ما يجعلها تتكيف مع البرد والحرارة الشديدة، ويعد الصيد الوسيلة التي وفرت هذه المادة بالمجان.

وتقوم القبائل بصناعة الجلود وتعتمد على جلود حيواناتها ، وتصنع بها لوازمها الخاصة المنزلية ، أو الملابس من أحذية وغيرها.

1- طريقة تحضير الجلود: تحضر بطريقة تقليدية بدائية تسمى " الدباغة"، فيضع الحرفي الجلود في براميل كبيرة، تحتوى على خلطة مكونة من الماء، وبعض الثمار لشجر معين في المنطقة يسمى "أفار".¹ وبعد بقاء هذه الخلطة لمدة معينة تتخمر لتوضع في داخلها الجلود لمدة معينة تفوق سبعة أيام، وبعد ذلك يستخرج الحرفي الجلود من البركة وينزع منها الشعر حتى تصبح نقية خالية منه لتصبح جاهزة للصنع تنتظر التفصيل.

2- تفصيل الجلود وصناعتها: يحتاج الفرد التواتي إلى العديد من المصنوعات الجلدية في حياته اليومية وأشغاله المختلفة، ولهذا ابتكر أشكال هذه الصناعات من محيطه الصحراوي، فجاءت في قالب يلبي رغباته، وتشتهر منطقة أولف بإقليم توات بهذه الصناعة، حتى أصبح اسم هذه الصناعة مرتبط بالقصر، فيقال مثلا " نعال أولف"، وللتفصيل يستعمل عدة أغراض منها:

— **السكين:** وهو مثل أي سكين عادي يستعمله لقطع الجلد وتصميمه.

— **المبرد:** مصنوع من الحديد، يستعمل لذلك الجلد وتليينه.

¹ هذه الشجرة تنمو بكثرة في صحراء شمال إفريقيا، ونادرا ما نجدها في غيرها من صحاري العالم، ويستخرج منه عصارة تستعمل في الصباغة.

وهناك المثقب، والكماشة لنزع المسامير، المقص، آلة الخياطة وهي تقليدية (اليشفة)، مطرقة خشبية، وتستعمل لطرق الجلد وتليينه.

– **مطرقة حديدية:** مصنوعة من الحديد تستعمل لتثبيت المسامير.¹

ولإنتاج الصناعة الجلدية يتبع الخراز ثلاث مراحل هي:

– **التفصيل:** تعتبر هي أول مرحلة لأن التصميم ينطلق من دوافع واحاسيس يوظفها الخراز، فيقوم برسم الشكل حسب المقاس المطلوب على قطعة الجلد ثم يقطع الأشكال المرسومة على الجلد بمقص ليتحصل على الشكل الذي رسمه في مخيلته مثل إنجاز حذاء مثلاً.

– **التبطين:** هو إضافة جلد الماعز فوق الجلد الخشن من أجل تقويته وتزيينه.

– **الخياطة:** وهي المرحلة الأخيرة وفيها يقوم الحرفي بربط التبطين مع باقي الأجزاء.²

ومن أشهر الصناعات الجلدية في المنطقة نجد:

صناعة الأحذية: يملك الحرفي خبرة فنية كبيرة في هذا المجال لأنها تحتاج إلى دقة وبراعة واسعة أثناء الصنع فبعد أن يصبح الجلد جاهزاً

¹ نفسه، ص81.

² - على بومدين، المرجع السابق، ص79.

يأخذه الخراز ليصنع منه ما يريد، ويحضر ورقة مقوى خاصة لصناعة النعل، والمحافظ، ويستعمل الخيط الذي يأخذه من الجلد قبل دباغته.

— **التجليد:** تعد هذه المهنة عريقة لدى الأمة الإسلامية بحيث كانت الجلود تستعمل لتجليد الكتب، أو المخطوطات التي تشتهر بها المنطقة، وتجليد السيوف، والعلب الجلدية¹، والمحافظ لحمل الثياب، وتصنيع الأكياس الصغيرة لحفظ نفائس الأشياء، والشكوة المستعملة في تبريد الماء، وتخزين الحليب، وهي التي جاء فيها المثل التالي:

شكوتي شكوة وعلى المناصب توضع ، ثلاثة أوقوف والرابع منسوف، والخامس يضرب ويشوف.²

(ج) — الصناعة الخشبية: تعتمد هذه الصناعة على الثروة الخشبية الموجودة في المنطقة، ومن ذلك: أشجار أقار، والطلح، وشجرة الرمان، والحنة التي يصنع منها عود كحلة العين (المكحل) والنخيل، والفرسيك، والتلا...، وهذه الأشجار صحراوية شوكية في أغلبها، متناثرة من مكان لآخر تتوفر حيث تكون المنابع المائية، ويستفاد من خشبها بعدما تيبس أوراقها، فيقتطع منها الحرفي ما يحتاج إليه في صناعته ويترك الباقي لحين آخر، واستطاع الصانع التواتي التقليدي بالمنطقة أن يوفر لنفسه

¹ أحمد باي، المصدر السابق، ص17.

² وهذا اللغز يقصد به عملية المخض ثلاثة أوقوف يعني الحمارة بالعامية، والرابع منسوف يعني الشكوة (القربة) والخامس يضرب، ويشوف يعني المرأة التي تقوم بعملية الرج.

بعض المستلزمات لاسيما الضرورية، فصنع أثاث البيت ، وبعض الأدوات التي يستخدمها في حياته اليومية مثل: أواني الطعام، خصوصا الأواني الكبيرة الحجم التي كانت تستعمل لإطعام عدد من الناس في المناسبات كالولائم والمآتم، ومنها:

1 – **المهراس**: يصنع من شجرة الطلح في العادة ، وهذا لأن خشبها جيد وصلب، ويستعمل في تهريس التمر، وسحقه، والتوابل.

2– **أبواب الخشب**: يسمى في المنطقة (باب أفكر) ، ويكون عبارة عن ألواح مستطيلة مصفوفة، مشدوشة بثلاث ألواح على العرض واحدة في الأعلى وأخرى في الوسط والثالثة في الأسفل، مثبتة بمسامير، ولديه قفل مصنوع من الخشب كذلك.

3– **العمود**: هو الخشبة الطويلة التي تستعمل لتهريس التمر الذي يوضع داخل المهراس.

4– **المهراس**: ويصنع هو الآخر عادة من شجر الطلح، ويكون غليظ الحجم. مختلف الاتساع.

5– **القصة**: هي من الأواني المستعملة في الأكل يختلف حجمها باختلاف عدد الأشخاص الذين يقدم لهم فيها الأكل. وتصنع من شجر الطلح في العادة.

6- المشربة: من الأواني التي يقدم فيها الماء واللبن، تشبه القصة إلا أنها تكون مغروفة في الوسط لتحمل الكثير من اللبن.

7- الملاعق: تصنع من الخشب وتكون متوسطة الطول تشبه ملعقة الطعام العادية المستعملة في يومنا الحالي.

8- الغربال: مصنوع من الخشب توضع في وسطه شبكة من حديد يستعمل في غربلة الكسكس، والسفوف (التمر الكسر)...إلخ.

9- القفل: يصنع من الخشب، ويستعمل في قفل الأبواب، ويتشكل من جزأين جزء يثبت في الجدار يحتوي على فتحة، والآخر يثبت في الباب يحتوي على جزء يدخل في تلك الفتحة.

10- السلال: تصنع من ألياف النخيل وسعفه، وتستخدم في أشغال البيت، والبستان

هذا وصنع النجار مطرقة الخشب يستخدمها صانع الجلد (الإسكافي) في ترطيب الجلد وتمليسه أثناء عملية الدباغة وبعدها، كما صنع النجار (الراحلة) مركب البعير و(خيمة) يوضع فيها الطفل الرضيع هذا وللإشارة فإن هناك نوعا من الخشب مستورد من خارج المنطقة، وتصنع به مصنوعات غالية الثمن.¹

د- بعض الصناعات المعتمدة على ألياف النخيل:

¹ بوسليم الصالح، المرجع السابق، ص53.

من السعف الأخضر المصفر اللين الناعم يصنع الحصير في فرش أرضية المساجد، وقد استخدم بشكل كبير في الماضي بحيث كانت معظم البيوت في

1- طريقة الصنع: تتم الصناعة الحديدية في المنطقة على طريقة صهر معدن الحديد، وتشكيل مصنوعات أخرى منه، ويتم صهر الحديد باستعمال مادة الفحم، ويتم ذلك بأن يشعل كمية من الفحم تختلف باختلاف قطعة الحديد التي يريد الحدّاد صناعتها ، وبعد صهر القطعة جيدا يشكل منها أداة من الأدوات. ويسمى الصانع في هذه الحرفة باسم " المعلم" ولعل أبرز الفئات التي اشتهرت بها في منطقة توات نجد " التوارق" ، " الأفارقة" الذين قدموا للمنطقة من دول الساحل واستقروا بها وعُدوا من سكان المنطقة، وكانت هذه الحرفة من الحرف التي استتكتف عنها الكثير من سكان المنطقة. لأسباب اجتماعية، وأخرى لما تحتاجه هذه الحرفة من صبر وتحمل، وهو ما تميز به الأفارقة عن سكان المنطقة. وتفصيل طريقة الصناعة والمراحل التي تمر بها كما يلي:

2- الفرن التقليدي: هو أساس الصناعة الحديدية إذا هو مصدر النار ، وتتم فيه عملية صهر المادة الأولية بعد تنقيتها ووزنها، وللنار أهمية كبير في حياة الإنسان أكد الله تعالى ذلك في سورة الواقعة بقوله ﴿

أَفْرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧٤﴾ ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ



الفرن التقليدي متكون من حفرة صغيرة يوضع بها الفحم ،ومنفاخ تقليدي لتنشيط النار متكون من جلد ، وخشبة مستطيلة ، تسقب هذه الخشبة ليدخل بها أنبوب النفخ اللذان يتصلان بدورهما بالمنفاخ، وقد يتكون المنفاخ من شكوة، أو اثنتان، يضغط عليه باليد ليخرج الهواء الذي يزيد من إشعال النار.

3- الملاقط: هي حديدية بسيطة التكوين تختلف أحجامها، وهي محلية الصنع، وتستعمل لمسك القطعة الحديدية ، وسهولة إخراجها من النار، وهناك أدوات أخرى منها: المقص بمختلف أحجامه، والمبارد التي تستعمل في برد الدواة وصقلها، وزيادة حدة ومضاءة السكاكين والسيوف والخناجر، ومن الأدوات المطارق، والمقص بمختلف أحجامه، والمبارد، والم².

وما يمكن قوله هو أن أغلب هذه الأدوات محلية الصنع، صنعت لتأدية أغراض معينة، تتميز بالبساطة والسهولة في الاستعمال. وهي من صنع الحرفي بالمنطقة.

¹ سورة الواقعة، الآيات 74.75.

² نور الدين بن عبدالله، ص46.

4 - بعض الصناعات الحديدية بالمنطقة:

أدوات الفلاحة: تلبى الصناعة الحديدية طلبات كثيرة للفلاحين، بل تعد مصدر أدواتهم الرئيسية، وهذا ما يجعل الحداد خلال موسم الحرث يزداد نشاطه عن بقية المواسم الأخرى ومن أهم تلك الصناعات:

— **الأوتاد:** هي عبارة عن قضيب رقيق السمك ، حاد الرأس، في أعلاه خلقة تسمح بمرور الحبل منها، يستعمله الفلاح في شدّ البهائم.

— **الأدوات الحربية:** ساهمت الصناعة الحديدية بقدر كبير في توفير الوسائل التي استخدمتها الشعوب في حروبها، ودفاعها عن النفس، وهذا راجع لقوة وصلابة هذه المادة، وثبت استخدامها في العصور القديم، فكانت سهلة طيعة في يد سيدنا داوود عليه السلام، وجاء ذلك في قول الله تعالى في سورة سبأ ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَاجِبَالَ أُورُبِّ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾¹ ، فكان الحديد وسيلة لصناعات مختلفة تقي الإنسان من البرد ،وتحصنه في حروبه، وبيتزين بها في احتفالاته، ففيه بأس شديد لصلابته، فيؤكد ذلك الله تعالى في آية أخرى فيقول: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْعِعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾² ، ولهذا لا تخلوا

¹ سورة سبأ الآية 10.

² سورة الحديد الآية 24.

الصناعات الثقيلة من هذه المادة، خاصة الحربية، فحاول الحرفي بمنطقة توات تلبية حاجياته الحربية من هذه المادة، ومن بين صناعاته ما يلي:

— **السكاكين:** تختلف السكاكين التي تصنع بالمنطقة اختلافاً كبيراً من حيث الحجم والسّمك، وهذا راجع للغرض الذي صنعت لأجله، وطريقة صنعها تكون بأن يحضر الحرفي قطعة حديد ويدخلها في الموقد الذي أعده مسبقاً ويتركها لمدة حتى تنصهر، وتصير سهلة لتشكيل المصنوعات المختلفة، ثم يطرقها بمطرقة كبيرة ويكون للخبرة المهنية والكفاءة دور كبير في ذلك، وبعد النهاية تترك لتبرد، وينقش عليها بعض الرسومات التي تزيد من جمالها، وأغلب الرسومات تكون عبارة عن أقواس صغيرة متخالفة الوجوه. وتتنوع السكاكين حسب الغرض الذي صنعت لأجلها ومنها: سكاكين لذبح وتقطيع اللحم، سكاكين لتقطيع الخضر والفواكه، سكاكين للحروب، وسكاكين لتزئين....

— **السيوف:** تعد من أقدم الوسائل الحربية التي اعتمد عليها الإنسان في حروبه، فكان السيف ملازم للرجل كما تلازمه الثياب في استقراره، والزاد في سفره، فكان للرسول ﷺ سيف يستخدمه في حروبه اسمه " ذوالفقار"¹، وكان السيف للرجل العربي رمز فخر واعتزاز، ولهذا أبدعوا في تزيينه، والسيف بمنطقة لم يخصص فقط للحروب وإنما كانت

¹ يوسف بن اسماعيل النبهاني، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، دار المنهاج، لبنان،

له رمزيات أخرى، ومن ذلك أن العريس في أيام زفافه يتقلده، ويعد ضروري له في هذه المناسبة، ويقدمه في الهدايا التي يبعث بها للأحباب والأصحاب، والفئة التي اشتهرت بهذه الصناعة خاصة هم "التوارق".

وهناك صناعات حديدية أخرى تدخل في إطار الحلي التقليدي سنوضحها في المبحث الخاص بالحلي التقليدية بالمنطقة.

وفي آخر هذا المبحث نصل إلى أن المجتمع التواتي اهتم بالجانب الاقتصادي لتلبية حاجياته الضرورية من أدوات وأواني، وغذاء، فكانت الصناعة التقليدية بأنواعها من صناعة حديدية وطينية وسيلة لتوفير حاجيات السكان الضرورية، ومكنت المنطقة من الاستغناء عن الكثير من الصناعات الخارجية، ولعل ما ميز هذه الصناعات أنها جاءت بسيطة خالية من التعقيد مستمدة من البيئة الجغرافية للمنطقة، واقتبست جزء من الصناعات الخارجية بعض الإضافات بفعل التبادل التجاري الذي عرفته المنطقة، والصانع بالمنطقة لا يتلقى تعليماً أكاديمياً يؤهله للاشتغال في تلك الصناعة، وإنما يرثها عن والده أو عمه بفعل الممارسة والتقليد، وهذا ما يجعل هذه الصناعة تقتصر عند بعض العائلات في الغالب.

والمادة الأولية المستعملة في هذه الصناعة يتحصل عليها من المنطقة، وهذا ما خفف من تكاليف الصناعة. كما لجأ سكان المنطقة

إلى استيراد بعض المواد من المدن المجاورة، ومن ذلك الحديد، والفضة، والذهب...

وأما بخصوص النشاط الزراعي فهو في الغالب موجه للاستهلاك المحلي، يتم ممارسته بتقاليد موروثه عن الآباء، بوسائل تقليدية مردودها ضعيف يكاد يلبي حاجيات السكان. والقليل الفائض يوجه لأسواق المدن المجاورة خاصة المنتجات التجارية كالتبغ والطماطم. والقمح.

ولا يخفى على أحد الدور الكبير الذي لعبته المنطقة في تنشيط التجارة بين بلاد المغرب، ودول السودان الغربي، فكانت أسواق المنطقة بما تعرضه من منتجات قبلية للكثير من التجار الذي استهواوا طريقها لما امتاز به من أمن على خلاف طرق المغرب الأخرى، كما كانت البضائع المتنوعة عامل جذب من جهة أخرى، وهنا سنحاول التعرّيج على الرحالة والمؤرخين الذين شهدوا للمنطقة بذلك ومنهم:

ابن خلدون فيقول " وطن توات ...وهو بلد مستجر في العمران ،وهو ركاب التجار الى مالي ،وبينه وبين تغر مالي المسمى " غار، المفازة المجهولة ، لا يهتدي فيها للسبل ولا يمر الوارد إلا بالدليل الخبير من الملتمين الطواعن في ذلك القفر يستأجرهم التجار على الدربة"¹ ويقصد بالبز رقة الحقارة من النقود . ويتحدث كذلك في موضع آخر عن أهمية الإقليم في النشاط التجاري فيقول: " ومنها انطلق نشاطهم

¹ - ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص 77.

الحضاري إلى أوروبا والسودان ،مثل توات وبودة و تمنظيط و
ورجلان وتكورا رين شرقا " 1

ويتحدث كذلك الفشتالي مبينا دور الإقليم وأهميته لكل من أراد التوغل
في ارض السودان ،كما فعل المنصور الذهبي بعدما قاد حملته لسيطرة
على بلاد السودان فيقول

" والقطران توات وتيكورارين من أعظم أقطار المعمورة ، بما
جمعاها من الأمم والقصور ، أولهما اقرب إلى السودان ، والثاني يعد من
أعظم وأضخم أقاليم المغرب ، فقد كان أمام المنصور طريقين للوصول
الى السودان ، أولهما توات وتيكورارين في الجنوب الشرقي والآخر
عبر الصحراء الجنوبي إلا انه فضل الطريق الأول شعورا بأهميتها
،فالقطران عالم من عوالم الأرض وإقليم الدنيا لما جمعاها من الأمم
وتراكم من القصور وأهل من العمران وتتخلله من العيون ذات الآبار
والنخيل ... زيادة على أهمية طرقها في التجارة بين بلاد المغرب
والأقطار الإفريقية" 2

ويعتبر موقع الإقليم الاستراتيجي عاملا مساعدا للتجارة، فهو
الممر الطبيعي لتجارة السودان الغربي ولبضائع بلدان المغرب ، إذ

¹ - نفسه ، ج6،ص120.

² - عبد العزيز الفشتالي ، مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا ،تح كريك عبد الكريم ،
الرباط 1972،ص73.

أصبح الإقليم بحق همزة الوصل بين الشمال والجنوب ،فاستغل سكان الإقليم هذا الموقع فاشتغلوا كتجار وسطاء في سلع هذه الأسواق في الوقت الذي أصبحت فيه توات نقطة لالتقاء وتجمع التجار القادمين من هنا وهناك مع قوافلهم المحملة بالسلع لتبادل ، فيشير العياشي لذلك بقوله" .. وهذه البلدة هي مجمع القوافل الآتية من تنبكت ومن بلاد اكيدز من أطراف السودان ، ويوجد فيها من البضائع والسلع التي تجلب من هناك شيء كثير ، والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خارج السودان نافقة في هذه البلاد كالخيل وملابس الملف والحريير ،فذا قدم الركب إليها كان السوق حافل " 1

فالقافلة التواتية كانت تضم عند سيرها أكفاء لتقديم الخدمات الضرورية للمسافرين ، فتشتمل على الدليل الذي له دراية ومعرفة بمجاهل ومسالك الصحراء كما هو متقن لعلم النجوم ،وكذلك الطبيب العارف بالأعشاب المفيدة للعلاج بعض الأمراض التي تواجه التجار أثناء رحلاتهم في مجاهل الصحراء، والفقير بالأموال الشرعية فيستفتى عما لبس من تساؤلات أثناء السفر في ما يخص المسائل الدينية خاصة ما يتعلق بالأموال التجارية وحدود البيع والشراء،كما تحتوي على

¹ - العياشي ،المصدر السابق ، ص 80.

الحراس المكلفون بحراسة القافلة من اعتداء اللصوص، وأبعادها عن
الخطر¹.

ويمكننا القول في الأخير بأنه رغم بساطة الاقتصاد التواتي إلا أنه
استطاع أن يلبي حاجيات السكان الأساسية، ويجعل لهم مكانة في تحريك
التجارة الإقليمية.

¹ - ماجد كريمي ، العلاقة بين المغرب والسودان في العصر المريني ، رسالة لنيل الدبلوم
العالي في التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1987-1988م ، ص79.

. الفصل الثالث: العادات المرتبطة بالألعاب واللباس وأدوات الزينة.

المبحث الأول: العادات المرتبطة باللعب والمرح.

- تمهيد

- الألعاب الشعبية بمنطقة توات

- بعض الألعاب الشعبية بالمنطقة

- أهمية الألعاب الشعبية على الطفل

المبحث الأول: العادات المرتبطة باللعب والمرح:

تمهيد:

سعى الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض إلى ابتكار وسائل تمكنه من التكيف مع هذه الحياة، وتضمن له حق البقاء والاستمرار، فشغله غذاءه فانتقل من مكان إلى آخر معتمداً على الصيد والتقاط ثمار الأشجار، ثم استعمل أوراق الأشجار وجلود الحيوانات لتقيه من البرد، وبنا أكواخا من القش وأغصان الأشجار لتقيه من حر الصيف وبرد الشتاء.

وأثناء قيامه بهذه المهام والأدوار شاهد الحيوانات تمرح بفطرتها فأشبال الأسود تمرح مع بعضها، وآبائها تلهو هي الأخرى بعد الاستراحة من تعب الصيد، فتعجب من ذلك واستلهم منها ربما ذلك، فكما لا يخفى على أحد أن الحيوانات قد خلقها الله كاملة الاستعداد للتكيف مع هذه الحياة، فتمارس اللعب وتصطاد الحيوانات، وتنتقل من مكان إلى آخر بفطرتها، وذلك أنها مخلوقات ليس لها عقل فلو أوكل الله لها ابتكار الوسائل التي تكيفها على العيش لانقرضت منذ جيلها الأول، في حين أن الإنسان قد خلقه الله وفضله بالعقل، ولهذا أوكل الله له ابتكار الوسائل التي تكيفه مع هذه الحياة، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي تتطور حياته من جيل إلى آخر فما أن يأتي عصر إلا والذي بعده يختلف عنه، فلاحظ الإنسان أثناء تنقله واحتكاكه مع الحيوانات عند

الصيد الحيوانات تلهو وتلعب ، فأثار إعجابه ذلك فقلدها لكنه سرعان ما طور مهارته في اللعب، فلقد رأينا كيف أن الله تعالى علم ابن سيدنا آدم عليه السلام قابيل كيف يدفن أخيه هابيل بعدما قتله، وذلك بأن بعث له الغراب فيقول تعالى : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَيِّلَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾¹ وبذلك استلهم الإنسان طريقة الدفن فكان الغراب أول أستاذ علم الإنسان. لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى.

و بعد ما أصبح اللعب والمرح جزء من حياة الإنسان اليومية عمل على تنظيمه وضبطه، فجعل له القوانين التي تسيره، والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها من خلال اللعبة الواحدة، ولهذا تنوعت الألعاب واختلفت حسب نوع المجتمع والجنس فالعاب النساء ليست هي نفسها عند الرجال، وألعاب الأطفال تختلف هي الأخرى عن ألعاب البالغين، كما أن الهدف يختلف فهذه لعبة ذهنية وهذه عضلية وهذه لتحدي ، وهذه لتسلية والرهان، وهذه للقناع والتمثيل، وهذه بالنار وحول النار، وهذه للمخاطرة بالنفس والكبرياء، وعموما الألعاب سواء كانت شعبية أو رسمية تختتم برابح أو خاسر وهو ما يضيفي عليها المتعة والمرح والاستمرارية. كما أن كثيرا من الألعاب تحمل بين طياتها ومضامينها

¹ سورة المائدة، الآية 33.

الكثير من الدروس التربوية التي تنمي فكر ومهارة الطفل ، و هذا ما أكدته الكثير من النظريات الحديثة في التربية كنظريات (جان بياجيه) أو (روسو) أو (مونتسيوري) وإن كانت بعض الألعاب قد وجدت منذ آلاف السنين..¹

وحول الاهتمام بالألعاب الشعبية في منطقة توات، والعالم العربي عموماً نجد أن المحاولات كانت محتشمة، فبخصوص المنطقة لا نكاد نجد دراسة مخصصة في المجال سوى بعض العناوين التي جاءت ضمن فصول من كتب كما فعل الأستاذ أحمد جعفري في كتابه " العامية " ودليل ولاية أدرار الذي أعده عدد من الباحثين فعالج هو الآخر بعض الألعاب الشعبية بالمنطقة من دون شرح .

أما بخصوص العالم الإسلامي فكذلك تكاد لا توجد أعمال دقيقة في هذا الغرض، إذا ما استثنينا كتاب أحمد تيمور باشا الموسوم ب: " ألعاب العرب " .

كما أن هناك مداخلات ومقالات في هذا الغرض كما فعل الباحث " قيس مرزوق الورياشي " في مؤتمر " رياضة وألعاب بالبحر الأبيض المتوسط " المذكورة آنفا حيث خصص مداخله عنوانها : " ... انطولوجيا

¹ عزام أبو الحمام المطور، الفلكلور (التراث الشعبي)، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 2007م، ص 75.

الألعاب الشعبية في شمال المغرب وجنوب إسبانيا" عمد فيها إلى تصنيف ما جمعه. من ألعاب لدى الكبار والصغار إلى عدة أنواع أوردها من الأبسط إلى الأكثر تعقيدا متسائلا عما يمكن أن يبحث عنه الطفل عند اللعب، فكانت هذه الدراسة مقارنة بين الألعاب في شمال المغرب وجنوب إسبانيا قدم فيها الباحث بصفة تحليلية تطبيقية العديد من الأنشطة المشتركة مبينا اختلاف التسميات هنا وهناك مع تطابق المضامين وأساليب الممارسة سواء كان ذلك في لعب الأطفال أو ما يتعاطاه الراشدون من أنشطة ترفيهية هنا وهناك ، وبينت هذه الدراسة بأن الثقافة الشعبية وسيلة بإمكانها أن تفيد في الكشف عن الأرضية المشتركة لثقافات البحر الأبيض المتوسط، أو لمختلف شعوب العالم.

وسيلحظ الدارس أو الباحث في هذا الحقل أن بعض الألعاب قد انقرضت نهائيا ولم يعد لها وجود، وهذا يعني أنها باتت غير ممكنة للممارسة لهذا السبب أو ذاك ، وفي أغلب الأحيان يكون السبب هو حلول ألعاب بديلة عنها بفعل التغير والانفتاح، وبعض هذه الألعاب لا تزال تحتفظ بحيويتها وفاعليتها حتى هذه الأيام عابرة للمراحل، ومتجاوزة للتغيرات مما يعني بقاءها كضرورة لها، وظيفتها في المجتمع سواء مجتمع الصغار أو الكبار، ومن هذه الألعاب مثلا الاستغماية (الغماية) القلول (البنانير)، والألعاب التمثيلية للبنات كلعبة (بيت بيوت)، ومن ألعاب الكبار السباحة، و الركض، و القفز، و الضامة، والسجدة..

كما أن هناك تشابه بين الألعاب المعروفة في المجتمع العربي وبعض المجتمعات الأخرى.¹

1. بعض الألعاب الشعبية بمنطقة توات:

يستمد الفرد التواتي ألعابه من بيئته التي يعيش فيها، فيحاكي والديه وأقرانه ، وحيوانات وطيور بيئته، ويصنع وسائل ألعابه مما توفره له بيئته، ولأن الفراغ السمة الغالبة على الصحراء ابتكر وسائل يستثمر بها وقته ويرفقه بها عن نفسه لتقربه وتجمعه بأقرانه في وسط سادت فيه الوحدة والعزلة، فهي وسيلة تنمي مهاراته الإبداعية والعقلية والجسدية- فيثبت من خلالها قوته ودهائه ومرونته، فهي تنمي قدراته العقلية والجسدية، وتهيئه لتحمل أعباء المستقبل والتكيف مع المرحلة القادمة من حياته، وكان لهذه الدوافع والأهداف أثر في تنوع وتعدد الألعاب الشعبية بالمنطقة.

سنحاول في هذا الفصل الوقوف على تلك الألعاب سواء التي يمارسها الكبار أو الصغار، أو النساء، أو الرجال، ولا يمكننا حصر الكل بسبب أن كثيرا من الألعاب اختفت، ولم يعد الأطفال يمارسونها بسبب ما أدخلته الحداثة من وسائل ملأت الفراغ، وشغلت الطفل عن

¹ بفعل التقارب الكبير بين المجتمعات العربية بفضل اللغة، والدين، والموقع الجغرافي، نجد تشابه كبير في الكثير من العادات والتقاليد، كالألعاب الشعبية ، والمناسبات الدينية مثلاً، وإن كان هناك اختلاف يكون في التسمية فقط.

التواصل مع أقرانه، ومنها التلفاز وما يبثه من مواد دسمة تجعله أمامه لمدة طويلة دون أن يشعر بالملل، وأهم هذه الألعاب هي:

1- لعبة البقرة: تزخر المنطقة بالعديد من أصناف الحيوانات كالإبل والماعز والأغنام والطيور كالحمام والصرند، وأزراراق¹...، وسمع بالأبقار وقرأ عنها في المدرسة لكنه لم يتصل بها مباشرة كما اتصل بغيرها من الحيوانات، وهذا الفراغ ترك لديه الكثير من التساؤلات سعى إلى إشباعها عن طريق اللعب والمرح.

وتتم ممارسة هذه اللعبة باشتراط حضور ثلاث أطفال على الأقل، فبعد اجتماعهم يختارون أرضاً منبسطة سهلة السير ما هي بالقاسية ولا بالرملية المعيقة للسير، وهذا لضمان سهولة السير وحماية اللاعبين من الإصابة عند السقوط، فيقف أحد الأطفال في الأمام وينحني خلفه زميله مشكلاً زاوية قائمة وهو يمسك بيد زميله، ثم يأتي الثالث ويركب على ظهر المنحني وبعد استوائه يطوف به زميله في المكان ويقطع به المسافة التي اتفقوا في البداية عليها، وهكذا يتوالى الأطفال في الركوب حتى يشعروا بالملل ثم ينصرفوا.

ربما تبدوا هذه اللعبة بسيطة لكنها تمد الطفل خلال ممارستها بالكثير من الفوائد منها: أنها تعلمه التحمل والصبر والتواضع وهذا

¹ أزراراق: صنف من الطيور الصغيرة المهاجرة، يصطاده الصغار في المنطقة في فصل الربيع.

عندما يحمل زميله على ظهره ويطوف به في المكان، كما تمد مخيلته بصورة عن البقرة وطريقة مشيها. وأهميتها في الحرث.

02- لعبة تاشكوم¹: هي من الألعاب التي تعتمد على السرعة والمهارة في المراوغة يمارسها الكبار خاصة الشباب – فلا يمارسها الصغار ولا الشيوخ لأنها بحاجة للقوة والشدة – ليلاً في الأيام المقمرة، وتعتمد على وسائل بسيطة من البيئة. مصدرها النخيل.

وتمارس بحضور عدد من اللاعبين يصل عددهم إلى عشرون لاعبا وهذا يختلف باختلاف مساحة الملعب ، كل لاعب يحضر معه المضرب الذي يلعب به، ويصنع عادة من جذوع النخل وهو الجزء الصلب من الجريدة، فبعد تجريده من الشوك يقطع اللاعب جزء يناسب طوله ويمكنه من التحكم فيه بسهولة ومرونة، ويشبه المضرب المستعمل اليوم في لعبة "القولف" ، والكرة التي يلعبون بها تصنع من القش والخيوط، و الفدام (ليف الشجرة)، ثم تخاط على شكل كرة، فبعد حضورهم وهم يضعون في منتصفهم حزاما ليشد من أزهرهم ينقسمون إلى فريقين متساويين ويتبارون من دون أن يكون لهم حارس للمرمى محدد، والهدف فيها يكون بدخول الكرة للمرمى.

¹ تاشكوم كلمة بربرية مستمدة من الكرة التي يلعب به الصبية، والتي هي عبارة عن كرة مشكلة من القش ، والفدام، والخيوط، وهذه اللعبة شبيهة بلعبة الكركيت ، أو القولف.

وأهمية هذه اللعبة أنها تنمي القدرة على السرعة في الجري عند اللاعبين ودوام المرونة، إضافة إلى القوة الجسدية وتنمية مهارة المراوغة والمنافسة وحب التغلب على الخصم.

03- لعبة تميقطن¹: هذه اللعبة شبيهة بلعبة خرييقة، إلا أنها لا تلعب إلا بحجرة واحدة ، وتمارس بأن يحضر أربعة من الأطفال على الأقل، كل اثنان على حدا ويجلس الفريقان بشكل متقابل، ويرسمون مربع يحتوي على خمسة وعشرون حفرة، والقانون في هذه اللعبة يتمثل في أن يخبئ أحد الأشخاص حجرة صغيرة في أحد الخانات، ويتم ذلك بأن ينتقل اللاعب بين الحفر وهو يخبئ بين أصابعه صخرة صغيرة، ويردد عبارات عند التنقل هي:

تميقطن فيها لقطن يا حمامة يا قورية عيطي لأولاد رقية كالنفاس القامية يا باقادي يا بوشدوق يا نفاخ العينين ، التقرمن التقرمن.

مفردات هذه اللعبة غريبة مستمدة من اللهجة المحلية، يركز فيها اللاعبون على النسق الموسيقي أكثر من تركيزهم عن المعاني التي تتضمنها تلك العبارات.

¹ تميقطن: كلمة أمازيغية مستمدة اسمها من الحفر التي يلعب فيها الأطفال، ويخبئون فيها حجرة لمخادعة الفريق المنافس.

وبعد أن يخبئ الصبي صخرته ينبه زميله سرًا بمكانها، وإذا لم ينتبه زميله يكرر له العملية، وبعد أن يعقل يقوم الفريق الخصم بتحديد مكان الحجرة، وعندهم محاولة واحد لكل شخص فقط، إذا تمكنوا من ذلك ينتقل الدور إليهم، وإذا فشلوا يقوم صاحب اللعب بتحديد مكانها إذا عقل مكانه يكسب الفريق اللعبة وتصبح تلك الحفرة من حوزتهم، وإذا خطأ ينتقل الدور للفريق الخصم، وتستمر اللعبة هكذا حتى تنتهي جميع الحفر، ويحدد الفريق الرابع بعدد الحفر التي يحوزها.

لهذه اللعبة دور كبير في التأثير على عقل الطفل، فتتمى لديه مهارة الذكاء وذلك أن الطفل يستخدم كل مهارته العقلية في إخفاء حجرته عن الفريق الخصم، كما تتمى الحدس والتخمين لديه، فهو يستعمل حدسه في الكشف عن حجرة الفريق الخصم. وفوق كل هذا تزيد من روح المنافسة عند الأطفال، وتبعدهم عن الانعزال والوحدة. وتتمى الروح الجماعية عندهم.

04- الجراد الملاك: يحاكي الطفل التواتي في هذه اللعبة أصحاب المناصب العليا والقرار في البلاد فيتقلد مناصبهم، ويقوم بدورهم للحظات قليلة.

تمارس هذه اللعبة بحضور أربعة أشخاص فيحضرون ورقة ويقسمونها إلى أربعة أقسام فيكتبون على الأول " الجراد " والثاني " الملاك " والثالث " الوزير " والرابع " السراق " ثم يقوم أحد المتنافسين بإثناء

تلك الأوراق جيدا ويرفعها في السماء وبعد سقوطها يحمل كل واحد ورقة ويتقلد المنصب الذي كتب عليها، ثم يطلع الجميع على أوراقهم ويحدد الملاك السراق فإذا تمكن من ذلك حكم عليه وإذا خسر يحكم الوزير على الملاك لينفذ الجراد الحكم أخيرا.

تبدو هذه اللعبة بسيطة لكن لها فوائد كثيرة على الطفل، فهي تنمي لديه حاسة الحدس، وتهيئه لتحمل المسؤولية واتخاذ القرار وتنفيذه.

05- لعبة حيبو: هي من الألعاب الحركية ، وتمارس بأن يجتمع طفلان على الأقل، ثم يقومون برسم مربعات على الأرض، ثلاثة متوالية، والرابعة يقسمونها إلى قسمين، وخامسة عادية، والسادسة كذلك يقسمونها إلى قسمين، ثم يختار اللاعبان حجرة ملاء صغيرة تسمى **الدق**¹، وهي شبيهة بحجرة لعبة الكجة كذلك، فيرمي الصبي الدق في إحدى الخانات ثم يقفز من خانة إلى أخرى، والتي سقط فيها الدق يتجنبها ويقفز عليها، وبعد وصوله إلى النهاية ينظر اللاعب خلفه ويرمي بالدق على الخانات، والتي يسقط فيها تصبح ملك له، وإذا سقط في الخارج يخسر اللاعب لينتقل الدور للثاني، واللاعب الذي يتمكن من ملك عدد كبير من الخانات يكون هو الرابح، وهناك شرط في اللعبة حيث اللاعب الذي ملك خانة لا يسمح للاعب الآخر بالقفز فيها، وإذا خطأ وقفز فيها يخرج اللاعب.

¹ الدق: هو حجرة صغيرة ملاء يختارها الطفل بعناية للعب، ويتعدد استخدامها فنجدها في لعبة الكجة ، وحيبو...، ولهذا نجد بعض الأطفال يحتفظ بها في جيبه ينتقل بها من مكان إلى آخر.

لهذه اللعبة أهمية كبيرة على الأطفال حيث أنها تزيد من مهارة الطفل الحركية، وتدربه على القفز، وهو ما يزيد من قوة عضلاته، كما أن لها أهمية أخرى في زيادة التركيز والدقة في التصويب عند الطفل، حيث يحترس عند رمي حجرته، ويخشى من وقوعها في خارج الخانات.

06- لعبة الحليسة¹: هذه اللعبة تعتمد على السرعة والذكاء والمرونة في الحركة، فباجتماع هذه الأفعال جميعا ينتج الأطفال لعبة مليئة بالمتعة والإعجاب.

وتتم هذه اللعبة باجتماع عدد من الفتية في مكان تكثر به أماكن الاختفاء عن الأعين وتقل فيه الحجارة والشوك لأن الصبية أثناء ممارستهم لها لا ينتبهون لما يعترضهم في الأمام ولا لما يختفي تحت التراب، إضافة إلى ذلك أن هذه اللعبة تتم في الليل وفي الأماكن المظلمة لتساعدهم في الاختفاء.

بعد حضور الأشخاص واختيار المكان تبدأ اللعبة، فيقوم أحد الأطفال باختيار الشيخ الذي يقوم بالمطاردة ويتم ذلك عن طريق قراءة بعض الجمل فمن تنتهي فيه الجملة يخرج ويتحرر والأخير هو الذي يتبع زملائه، وهذه الأبيات هي:

¹ الحليسة: كلمة محلية تشير إلى لعبة الجري، والاختفاء، والمرادغة.

بارنا با بارنا كذاباك في الكابيني وأنا حاضر فوق الناصر خير

بلاص¹

بعدها تبدأ المطاردة كل من يلقي عليه القبض يقوم بمطاردة زملائه، وهكذا تستمر الحليسة إلى أن يشعر الفتية بالتعب ويتوقفون.

تكمن أهمية هذه اللعبة في أنها تمد الأطفال بعدد من المهارات منها:

تزيد من قدرات الأطفال على الجري بسرعة ، فالطفل أثناء جريه وهو مطارد تزيد سرعته من دون أن يشعر بذلك، كما تمد الطفل بعدد من مهارات الحيلة والخفة والمرونة في المراوغة، وكل هذه المهارات تنمي جسم الطفل وتذهب عنه الملل وتجلب له المتعة والسرور، وفوق كل هذا تخلق لديه روح الجماعة وتجمعه بأقرانه الذين يتجاذب معهم أطراف الحديث عن دراسته وأعماله ومشاكل الطفولة.

07- لعبة السيف² (الحرب): هي من الألعاب القتالية التي يمارسها

الأطفال في المنطقة، فيحاكي بها الأفلام التاريخية التي شاهدها في التلفاز وسمع عنها في القصص التاريخية التي رويت له في المدرسة أو من أفواه الحكواتيين – كانت تعقد جلسات عديد في الليل لهذا الغرض

¹ يركز الأطفال في هذه الكلمات على النعمة الموسيقية أكثر من تركيزهم على المعاني.

² يجسد الطفل في هذه اللعبة شخصيته الإسلامية المدافعة عنه، والرافضة للكفر وأتباعه، فينشأ منذ نعومة أظفاره وهو يحب الإسلام وأهله، ويكره الكفر وأهله.

فيقولون هي نتحاجا ونتحاكا. ولعل أشهر فيلم يحاكيه الطفل التواتي هو فيلم الرسالة الذي كان بين الرسول (ص) وقريش.

والوسائل التي يستعملونها مستمدة من بيئته وهي عصي غليظة من جذوع النخل، وتتم اللعبة باجتماع عدد من الفتية قد يصل عددهم إلى ثلاثين أو عشرين أو عشرة، ثم ينقسمون إلى طرفين طرف يمثل المسلمين والآخر يمثل الكفار، وكل طرف يتسمى بتسمية يستمدتها من مخيلته وتعطيه رهبة في قلوب منافسيه، مثل الفوارس أو الجوارح أو الكواسر،

فبعد اجتماع الطرفين يبدأ القتال ويحتم الصراع، وتتعالى الصيحات الله أكبر الله أكبر، وينتهي القتال بانتصار أحد الطرفين، وهناك أمر يجب الإشارة إليه هو أن الطرف الأقوى دائما يختار أن يمثل المسلمين، والأضعف يقبل أن يمثل طرف الكفار، وبهذا يتنازل الأطفال رغم صغر سنهم للدين.

حقيقةً تحمل هذه اللعبة كثيرا من العنف لكن لها فوائد في بناء شخصية الطفل ومن ذلك:

لعبة الحرب من الألعاب التي تمتاز بالحزم والشدة فهي بذلك تنقل الطفل من الألعاب التي يسودها المرح واللهو إلى جو يسوده الشدة

والحزم، فيتربى الطفل منذ صغره على القوة والعراك فتنموا شخصيته
متزنة تجمع بين اللهو والحزم، والشدة والضعف.

لهذه اللعبة بعد ديني فهي تربط الطفل بدينه فيتقلد دور المجاهد
المدافع عن دينه نابذا للكفر محباً للإسلام وإن كان لا يدرك ذلك في تلك
المرحلة.

08- لعبة الكجة¹:

هذه اللعبة تمارسها البنات في العادة ، ولكن للمتعة والمهارة التي
تجلب الناظر يمارسها الأولاد كذلك، فهي تجمع بين خفة حركة اليدين
والنظر، والتركيز، ولذلك يتفنن اللاعبون في مسك الحجارة بعد رفعها.
تمارس هذه اللعبة إما فردياً أو مع شخص آخر، وهذا النمط الأخير
هو الأحسن لأنه يخلق جو من المنافسة التي تبرز مهارات وقدرات كل
شخص.

وسائل هذه اللعبة بسيطة فهي تحتاج فقط لبعض الحجارة الملساء
والمدورة ليسهل التقاطها عددها خمسة، وواحدة منها تسمى الدق ، وبعد
تحضير الوسيلة يجلس اللاعبون متقابلين على ركبتيهما، فيبدأ أحدهم
والثاني يراقب فبعد خسارته ينتقل الدور للثاني ، وتتم هذه اللعبة برفع
اللاعب الحجارة في السماء ثم يوزعهم على الأرض بسقوطهم على

¹ توجد هذه اللعبة كذلك في منطقة الخليج ، وبلدان المغرب العربي كتونس مثلاً.

ظاهر يديه، ثم يرفع الدق في السماء ثم يلتقط واحدة ثم يرفعه ثانية ويلتقط الثانية وهكذا يفعل مع البقية، وإذا سقط منه الدق أثناء محاولة الإمساك به يخسر اللاعب، وعندما يلتقطهم جميعاً يرفعها في السماء ويمسكها بظاهر يده ثم يرفعها ثانية ويمسكها بباطنها فما تمكن من إمساكه يحسب له، وهكذا يستمر اللاعب في كسب النقاط حتى نهاية اللعبة ليحدد في النهاية الرابح والخاسر¹.

لهذه اللعبة أهمية كبيرة في بناء شخصية الطفل المعرفية والمهارية، فيتعلم من خلالها التوفيق بين حركات يديه وعينيه، و الحساب، والمنافسة.

09- لعبة سرعة: هذه اللعبة من الألعاب القتالية التي يمارسها الصغار، والشباب في المنطقة تعتمد على قوة الجسد كوسيلة لممارستها.

تتم هذه اللعبة في مكان منبسط تغطيه الرمال وتقل به الأشواك والحجارة ، وهذا حتى لا يتعرض اللاعب للأذى، وتبدأ اللعبة بأن يجتمع شخصان في مكان وتنطلق اللعبة بأن يتعارك الاثنان، ومن يسقط يكون هو الخاسر، وبذلك يجتهد كل واحد في إسقاط زميله.

¹ يظهر الصبية بعض الحركات البهلوانية عند التقاطهم للحجارة المتساقطة من السماء تعبيراً عن مدى تمكنهم من اللعبة ، ومرونة وخفة أطرافهم من جهة أخرى، وهو ما يعطي اللعبة بعداً حركياً فنياً. يزيد من عدد المشاهدين لها .

لهذه اللعبة فوائد كثيرة في بناء شخصية الطفل الجسمية فتعوده على القتال والعراك ، و المنافسة والتحدي. منذ صغره.

10- لعبة المش¹ والفار²: المش هو القط، وتبنى هذه اللعبة بتشكيل

حلقة دائرية من الأفراد بينما يجسد واحد منهم دور القط ، والآخر دور الفأر ، و تبقى المطارد بين الفأر والقط بحيث يجري القط وراء الفأر إذا خرج من الدائرة، أما إذا دخل الدائرة فإن الجماعة تحميه، وتمارس نفس هذه اللعبة بالريف التونسي وهو ما يؤكد التقاطع والتأثر الثقافي بين الجزائر والبلدان المجاورة ويلعبها الأطفال بشكل متقارب يسمونها " القط والشحومات" حيث يكون الأطفال حلقة وهم واقفون متماسكون الأيدي متباعدون بما يتيح اتساع الحلقة والقضاء بين اللاعبين يمكن القط من المرور بينهم متبعا دائرة المشاركين من الأمام أو من الخلف أو تارة من هنا أو من هناك ، محاولا أو مموها في بعض الأحيان التقاط ما تمسك به يد أحد المشاركين الذين يمررونه بينهم ويكون عادة فولارة أو فوطة أو أي قطعة قماش، فهي تمثل قطعة الشحم التي يريد القط التقاطها والهروب من أمام صاحب القطعة الذي يلاحقه للإمساك به قبل استكمال الدورة مارا بين المشاركين في اتجاه واحد حتى يصل إلى القط الهارب بقطعة الشحم إلى مكان الضحية ليأخذ مكانه فتكتمل الدورة

¹ المش: القط.

² هذه اللعبة تحاكي الصراع الأزلي بين القط والفأر، ولقد جسده بعض الرسوم المتحركة

مثل "ثوم وجيري".

عندئذ، وعلى اللاعب المتابع له أن يواصل دورانه بين اللاعبين وحولهم، لأنه بدوره أصبح القط المهاجم من جديد والمحاول التقاط الشحمة ، أما إذا تمكن اللاعب الملاحق للقط من الإمساك به فيوضع القط وسط الدائرة كسجين إلى أن يتم تعويضه بسجين آخر تم القبض عليه خلال اللعب، وقد يلجأ الهارب بقطعة الشحم وراء أي لاعب فعلى هذا الأخير أن يسرع بالجري وراء القط ماسكا بقطعة الشحم بعد أن يكون المتابع الأول قد أخذ مكان المتابع الثاني، وهكذا يتواصل اللعب وتتبادل الأماكن إلى أن يصل اللاعبون إلى المشارك الأسرع وهو من شارك في اللعبة ولم يمسك به أي لم يسجن وهو إذاً البطل.¹

لهذه اللعبة فوائد تربوية واجتماعية فعلى المشارك التحلي بالصبر واليقظة والتحفز لأداء الحركة السريعة، كما أنها تهيئ المشارك إلى ضبط النفس وفهم حركات الغير والتلاؤم معها للإمساك بالطرف الآخر، وهي لعبة تتطلب التحكم في الجسد والمرونة في استغلال كل عضو ، وتعلم الطفل المراس في الدفاع عن النفس.

¹ نورالدين البياوي ، الألعاب الشعبية التقليدية بالريف التونسي، تق بوبكر خلوج، دار

سحر للنشر، تونس 2008م، ص161.

11 – لعبة الغميضة¹: هذه اللعبة تعتمد على السرعة وحسن التتكر،

والاختباء

فتمارس بأن يجتمع عدد من الأطفال فينقسمون إلى قسمين قسم يفر والأخر يطارد ، فتبدأ بأن يغمض القسم الثاني أعينهم فيبقى واحد يراقبهم حتى يختبئ زملاؤه ثم يختبئ هو وبعد ذلك يؤذنون للقسم الأول بملاحقتهم بإصدار كلمة " خلاص " معنى انتهى اختباؤنا فمسموح لكم القبض علينا ، فبعد سماع القسم الأول هذه الكلمة يبدوون بملاحقتهم ويلقون القبض عليهم واحد تلو الآخر حتى يلقوا عليهم القبض جميعا وإذا فشلوا في ذلك يعلنون عن انهزامهم، وبذلك يخرج الجميع من مخابئهم وتحسب اللعبة لهم، وتتطلق اللعبة الثانية ويختبئون مرة أخرى ولا ينتقل الدور للقسم الثاني إلا بإلقاء القبض عليهم جميعا، وهو ما يضفي الحماس على اللعبة ويخلق جو المنافسة والإبداع والدهاء في التتكر، والحدس والذكاء في الكشف.

هذه اللعبة تحمل بين طياتها الكثير من الفوائد لإعداد الطفل للمستقبل، فتعود الطفل على السرعة في الجري، والصبر لأن اكتشاف مخابئ المجموعة يحتاج لوقت قد يشعر البعض باليأس والقنوط، وتنمي مهارة التخفي والتمويه، وفوق كل ذلك تعود الطفل على العمل الجماعي فالكل يعمل في مجموعة لتحقيق هدف واحد.

¹ سميت بهذا الاسم لأن أحد الصبية أو الفريق بأكمله، يغمض عينيه أثناء اللعبة إلى حين فرار زملائه، ولا يفتحها إلا إذا أذنوا له بذلك بإشارة أو بكلمة مثل كلمة: " خلاص " أو انتهينا... الخ

12- لعبة الطابع¹: وهذه اللعبة تعتمد على الدقة في التصويب والمهارة في الرمي، فتمارس في مكان مستوي يسهل فيه رؤية الأداة المعدة كهدف للرمي، فيحضر الأطفال وسائل بسيطة وهي حجارة يختارها الأطفال تمتاز بالحدة والدوران ليسهل حملها وتتمكن من اختراق الهواء، ثم يحضرون أداة تتخذ كوسيلة وهدف للرمي، وعادة تكون أداة من الحديد (مثل علبة فارغة للمصبرات) حتى تتحمل إصابات الحجارة وتصدر صوت ينبئ عن التوفيق في الإصابة ، وتبدأ اللعبة بأن يصطف الأطفال في صف واحد مقابل للأداة المعدة للرمي، ثم يرمي كل واحد على حدة فإذا أصابها حسبت له نقطة، وهكذا يستمرون حتى تنتهي اللعبة بشعور الأطفال بالملل أو الانتقال إلى لعبة أخرى.

لهذه اللعبة فوائد كثيرة على الطفل منها تعلمه الرمي والتصويب بدقة، إضافة إلى الدقة في العمل وروح المنافسة.

13- لعبة الدوار ارحل " أنا قشبة ما انطيح " :

هذه اللعبة تعتمد على الحركة والتركيز وإحضار الذهن، و تتم ممارستها بحضور عدد من الأطفال في مكان مستوي يخلو من الشوك والحجارة تجنباً لإصابة أي شخص بجروح أثناء سقوطه بعض الدوار،

¹ استمد اسم هذه الكلمة من الصوت الذي تصدره الحجارة بعد اصطدامها بمكان الرمي، فهو شبيه بصوت الطابعة ، أو الختم المستعمل في ختم الوثائق.

فبعد تجمعهم يحسبهم أحدهم من واحد إلى ثلاثة ليبدأ الجميع في الدوران، والفائز هو الذي يبقى وحده في الساحة بعد سقوط الجميع.

هذه اللعبة ربما تبدوا بسيطة، وخطيرة على الصبية في مثل هذا العمر لكن لها فوائد جمّة منها : أنها تعود الأطفال على تحمل الدوار الذي سيصيبهم في المستقبل، تزيد من قوة تركيز الذهن أثناء العمل، وطرده شروده، وفوق كل هذا تساهم في تعويد الطفل على المنافسة والتحدي.

14- لعبة المعقال¹: هي من الألعاب القتالية التي يشكلها الطفل بنفسه ويحدد هدفا يسعى إلى الوصول إليه، فيفتل شريطا بطول مترين أو أقل وهذا حسب قامته، ثم يثنى الشريط ويجعل في الوسط شبكة صغيرة تمكنه من وضع الحجارة .

تتم ممارسة هذه اللعبة بأن يضع الطفل حجارة يختارها بعناية تكون ملساء وحادة متوسطة الحجم ليسهل حملها وتزيد سعتها وقوة اختراقها للهواء وتنساب بسهولة من المعقال، ويختلف التصويب والرمي باختلاف الهدف ، فالتصويب لغرض صيد طائر أو عصفور على الشجرة أو النخلة ليس هو نفسه التصويب لتحديد من يرمي الحجارة لمسافة أبعد.

¹ استمد الطفل هذه اللعبة من انتفاضة الحجارة، التي قام بها الأطفال الفلسطينيون ضد الصهاينة، فرأوا الأطفال وهم يحملون الحجارة في معازلهم ويصوبونها نحو الصهاينة، فأعجبوا بذلك وقلدوهم، واستعملوها للصيد، والمنافسة في الرمي لأطول مسافة.

فبعد نهاية فترة الدراسة المسائية يأخذ كل صغير معقله ويتجه إلى الرق أو القصور القديمة التي تبني فيها الطيور أعشاشها للصيد، وبعد نهاية الصيد يتنافس الأطفال في من يتحكم في استعمال المعقل جيدا، ويرمي الحجارة لمسافة أطوال، يستعد المشارك واقفا ممسكا بطرفي الحبل المتدلي بشبكته ويأخذ في تدويره عاليا فوق رأسه من اليمين إلى الشمال بصفة متسارعة طول ذراعه حتى إذا استوى الدوران وتيقن اللاعب من إمكانية إبعاد الحجارة أفلت من يده في الاتجاه الأمامي المتفق عليه طرف الشريط مطمئنا على الطرف الآخر المتضمن لإصبعه فتنساب الحجارة كأنها من فوهة مدفع يسمع لها صوت ينبئ عن سرعتها .

تعد هذه اللعبة من الألعاب الخطيرة التي يمارسها الأطفال بالمنطقة، كما أن المجتمع ينفر منها ويزجر ويعاقب الأطفال على استعمالها في الأماكن العمومية لما تلحقه من أذى، وهذا ما يجعل الأطفال يمارسونها في الرق¹، والأماكن البعيدة، وكثير ما يتعرض ممارسيها للأذى ورغم أن هذه اللعبة لها مخاطر إلا أن لها فوائد على الطفل ومن ذلك أنها تنمي مهارته في الرمي والدقة في التصويب، ونفس هذه اللعبة تستعملها بعض المجتمعات في النشاطات الاقتصادية كالرعي ، فنجد الطفل في

¹ الرق: هو سهل مغطى بالحجارة الصغيرة، أو الحصى.

المجتمع التونسي أثناء الرعي يستعملها في مطاردة الحيوانات المفترسة لمواشيهم والدفاع عن النفس ضد الأعداء¹

15، الطبخ: كثيرا ما تشاهد الفتيات أمهاتهن وهن يمارسون نشاطات تتكرر يوميا على ناظرهم وتثير إعجابهم فيحسبنا تقليد ذلك، فيبحثنا عن فضاء يمارسنا فيه ذلك بكل حرية.

يمارس هذه اللعبة الفتيات عادة، فتكون القصور القديمة والأماكن البعيد مجالاً لنشاطهم لأنها توفر لهم الحرية وتبعدهم عن ناظر الكبار الذين يسخرون منهم ويحتقرون عملهم، فيجمع الفتيات مواد الطبخ من الأعشاب والحشائش المتواجدة قربهم، فيصنعون وسائل من الطين كالقدر والملاعق والصحون، وقد يستعملون علب المصبرات الحديدية، ومما يثير الإعجاب أكثر هو أن الأطفال يضيفين بعض الجدية على عملهم ويظهر هذا من خلال كلامهم وتسميات الأكلات التي يطبخونها، ومما يثير الإعجاب أكثر أن الفتيات يدعون الفتيان لحضور ولائمهم فيضعونهم في غرفة الضيافة ويقدمون لهم الأكل المكون من التراب والطين والأعشاب البرية²، ويتظاهر الفتيان بالأكل وفي الأخير يشكرنهم على كرم الضيافة والدعاء لهم بالبركة.

¹ نور الدين البياوي، المرجع السابق، ص71.

² قد يحضر الصبية بعض الخضر والفواكه من بساتينهم، مثل البطيخ، والتمر، والبصل، وال فول... إلخ

حقيقة عالم الطفل فريد من نوعه معقد في مكوناته مثير للإعجاب في بساطته وعفويته، هذه اللعبة لها فوائد كبيرة لإعداد الفتاة للمستقبل وتحمل مسؤولية البيت بعد الزواج، تعودها على العمل الجماعي في الولائم والأعراس الذي ستقوم به في المستقبل، وفوق كل هذا تنمي خصلة من الخصال الحميدة وهي إكرام الضيف .

16- السياقة: يحاكي الفتيان في هذه اللعبة الكبار الذين يقودون السيارات والحافلات، فيصنع الفتية من الخيوط حافلات يركب فيها عدد من الفتية ويطوفون داخل القصر، وتمارس في المنطقة عادة في شهر رمضان ليلاً ، فبعد ذهاب الكبار للمساجد لأداء صلاة العشاء والتراويح وحضور الدروس الرمضانية التي يلقيها إمام المسجد يخلو القصر للصغار ليمارسوا ألعابهم بكل حرية، وتكون ممارسة هذه اللعبة أكثر خلال فصل الشتاء وطول الليل مقارنة بالنهار، يتفنن الفتية في صنع حافلاتهم الخيطية فيعمدون إلى وصل عدد من الخيوط مع بعضها حتى تطول ويصل طولها إلى حدود عشرون متراً أو أكثر ثم يربطون الطرفين مع بعضهما ويصبح الشريط عبارة عن حلقة،

بعدما تنهياً الوسيلة ما على الفتية إلا الركوب والتجول في المدينة، وبعد اصطفاقهم داخل الشريط (الحافلة) يتقدم أحد الأطفال الذي يعد بمثابة السائق ويكون أسرعهم عادةً، وعند استعداده للانطلاق يخبر زملاؤه الذين هم بدورهم يشدون من أزهرهم، ويحملون نعالهم أحياناً

استعداداً للجري لأن من لا يقدر على الجري بسرعة ينفر منه الأطفال لأنه يعرقل من سرعة الحافلة، وقد تأخذ هذه اللعبة طابعا آخر غير التجول في القصر وهو السباق والتنافس بين الحافلات التي تحضر من مختلف أنحاء القصر.

لهذه اللعبة فوائد كثيرة على الطفل منها أنها تعرفهم على مهنة من مهن المستقبل وهي السياقة وإن كانت وهمية وليست حقيقية، وتعلم الطفل المنافسة والجري بسرعة، تضيي على وقته الفرح والمتعة.

17- البوكلات¹: كثيراً ما يشاهد الطفل عمل آلة الحفر الكبير الذي تقوم به، كل ذلك أثار فيه التساؤل وحاول أن يحاكي عملها مبتكرا وسائل من صنعه تمكنه من ذلك.

يمارس الأطفال هذه اللعبة بالمنطقة حين سقوط الأمطار على الرمال غالبا، فسقوط المطر في الصحراء عند الطفل ليس هو نفسه عند الطفل الذي يسكن المنطقة التلية إن كان هذا الحدث عاديا عند هذا الأخير، فهو ليس كذلك عند الأول لأنه لا تسقط الأمطار إلا نادراً أو أقل من النادر، فما أن تسقط إلا ويحضر الطفل لعبته التي صنعها من كوزة الزيت الفارغة فيقطع جزءاً منها ويربطه بأسلاك وخيوط ويتحكم فيها ويحاكي نفس العمل الذي يقوم به الجرار.

¹ البوكلات: هي الآلة المستعملة في الحفر، والتهديم، ويتم استعمالها في مختلف الأشغال العمومية للناس.

لهذه اللعبة فوائد كبيرة على الطفل فهي تنمي قوة الإبداع والاختراع لديه، فصناعة جرار يحاكي عمل الجرار الحقيقي من طرف طفل يبلغ من العمر في أغلب الأحيان عشر سنين أو إحدى عشر يؤكد مدى الكفاءة الكبيرة التي يمتلكها الطفل العربي عامة و التواتي خاصة، والتي بإمكانها أن تقدم الكثير لبناء نهضة حضارية. لكن عدم توفير الإمكانيات واحتقار الشاب العربي نفسه ضيع تلك الكفاءة وقبرت مع انقضاء مرحلة الطفولة.

18- البي (النبلي): هذه اللعبة تعتمد على المهارة والدقة في التصويب تمارس في المنطقة بوسائل بسيطة أهمها (البيبة)¹، يقوم بها عدد من الأشخاص يصل عددهم أحيانا إلى خمسة أو سبعة ، فيحضر كل لاعب معه بيته التي يلعب بها وقد يحضر بيات احتياطية ليضمن اللاعبين، وبعد حضورهم يحفرون حفرة يصل عمقها إلى عشرة سنتمتر لتستقر فيها البيبة، ثم يرسمون خطا مقابلا للحفرة يبعد عنها ثلاث متر أو أكثر قليلا.

بعد إعداد هذه الوسائل تتطلق اللعبة بوقوف الأطفال عند الحفرة ثم يرمون بياتهم باتجاه الخط وكل من تسقط بيته على الخط يكون له السبق في بداية اللعب، ثم الأقرب فالأقرب، وأما من تسقط بعد الخط

¹ البيبة: هي حبة مدورة مصنوعة من البلاستيك أو الزجاج والتي تصنع من هذا الأخير تسمى في المنطقة (البناف)

يكون هو الأخير، وهذا أول اختبار لمهارة اللاعب في التصويب، ثم ينتقلون إلى المرحلة الثانية وهي التصويب من الخط نحو الحفرة فيقف الأطفال صفا واحدا على الخط ويصوبون بيئاتهم نحو الحفرة فكل من تسقط بيته في الحفرة يحصد خمسون نقطة، وتكون له محاولة أخرى فإن سقطت مرة أخرى تكون خمسون نقطة أخرى، وبهذا وضعت قوانين هذه اللعبة لتمرين وزيادة مهارة الطفل في التصويب. وبعد ذلك ينتقلون للمرحلة الثالثة وهي رمي البية في الحفرة ثم التصويب باتجاه بية الآخر فكل إصابة يحصد اللاعب عشرة نقاط، وتنتهي اللعبة بوصول اللاعب إلى مئة وعشرة نقاط.

لهذه اللعبة قوانينها التي تبين الهدف الذي تسعى إلى الوصول إليه، ولها دور كبير في تعليم الطفل الرمي والتصويب بدقة باتجاه الأهداف، كما تساهم في تطوير قدرته على التحكم في أصابع يديه وتطويعها في أعماله.

19- السباق: تحتاج هذه اللعبة لأرض مستوية خالية من الحجارة والشوك، وعدد من المتنافسين فقط.، وتمارس بأن يجتمع عدد من الفتيمة في المكان المخصص للسباق للتنافس فيما بينهما وتحديد الأسرع، فيرسمون خط الانطلاق وينطلقون نحو نقطة حدودها للنهاية.

هذه اللعبة فائدتها ظاهرة فهي كغيرها من اللعب تقوي جسم الصبي وتدربه على السرعة في الجري وبث روح المنافسة.

20- الشوك في البلح: ترتبط هذه اللعبة مع موسم البلح¹ وهو فصل الصيف بالمنطقة التواتية.

يحضر الأطفال من بساتينهم كمية من البلح ويختارون الكبيرة الحجم، وعدد من الأشواك ثم يحفرون حفرة في الأرض ويضعونها فيها ، ثم يغطونه بالتراب، ويتعلق الأطفال حول الحفرة وهم يحملون أشواكا غليظة وقوية تعد بمثابة الرماح التي يستعملها المحاربون في المعارك، وكل من يستطيع أن يصيب كمية أكبر من البلح وينتزعها من الحفرة بشوكته يعد هو الرابع.

لهذه اللعبة فوائد كبيرة على الطفل فتعلمه التصويب والرمي – وإن كان هذا العمل غير محبذ لأنه يمتهن ويقلل من شأن نعمة أنعمها الله علينا –

21- لعبة تعقاد²: هي من اللعب المعتمدة على مهارة اليد في قتل سعف النخيل. والإبداع في ابتكار أشكال من ذلك.

¹ البلح: هو المرحلة الأول من مراحل الثمر قبل نضوجه، فيأخذ ألوان تختلف باختلاف نضوجه والمرحلة التي يمر بها، فبعض البلح يكون لونه أخضر ثم أصفر ثم تمرة، وآخر لونه أخضر ثم أحمر وأخيرا أسود وهو لون التمرة في آخر مراحلها.

² هي مشتقة من العقد تتميز بقدر العُقد التي يشكلها اللاعب. ويعتمد في تشكيل العقد على سعف النخيل الطري الذي يكون قريب من قلب النخلة.

يحضر الأطفال عدد من سعف النخيل ، ويفضل الطري الذي يكون بجوار قلب النخلة لسهولة في العقد، وليونته وصعوبة تكسره، ويتجه لمكان تجمع أفرانه فيشكل عُقد من السعف يختلف شكلها وتعقيدها من واحدة لأخرى، فتستعمل هذه العقد في صناعة أدوات الفلاحة في المنطقة كالسلال والقفف، كما تصنع منها بعض الحصائر التي كانت تستعمل قديما في الصلاة والجلوس، والقبعات للوقاية من حرارة الشمس، وغيرها من الصناعة التقليدية المحلية التي سنفصل الحديث عنها في وقتها ومكانها.

لهذه اللعبة فائدة كبيرة فهي تنمي خيال الطفل في ابتكار أشكال هندسية متنوعة، كما تزيد كغيرها من اللعب من مرونة يد الطفل في الصناعة.

22_ الرواجه¹: يقوم بها شخصان حيث يمسك الأول منهما بالشخص الثاني في قبضة يده ويقوم بتدويره بسرعة كمن يحاول أن يرمي به بعيدا ، ويفضل أن تكون في مكان رملي للوقاية من الإصابة عند انفلات الطفل من يد صاحبه، وحين يشعر أنه قد فقد السيطرة على نفسه وهو

¹ تم اشتقاق هذه الكلمة من الدّوار الذي يصيب الدماغ بعد الإكثار من الدوران الذي يطلق عليه، والدوار يسمى " الروجة" محليًا.

ما يشيرون إليه بالفعل راج يروج ومنه أخذت اللعبة تسميتها (الرواجة)¹

لهذه اللعبة فوائد كبيرة على الطفل رغم أنها خطيرة، فهي تعلمه التحمل والتعود على الدوار وشدة التركيز، فمع تكررها يعتاد عليها الطفل وبذلك تصبح من المهارات التي تفيده في المستقبل في حفظ التوازن وتجنب الإصابة بالدوار.

23- الطائرة²: تحتاج هذه اللعبة لمهارة الطفل في التلاعب بالورق، وحضور كفاءة في ابتكار هندسة تحاكي الطائرة، وورقة بيضاء، فباجتماع هذه الأمور ينتج الطفل التواتي شكلا هندسيا يمرح به لأوقات طويلة حين هبوب الرياح.

بعدما يصنع الطفل طائرته يتجه لمكان واسع ، فيرمي بها في الجو مستغلا هبوب الرياح لأن انعدامها لا يمكن من ممارسة هذه اللعبة، فقانون هذه اللعبة يحدد الفائز الذي تستطيع طائرته البقاء في الجو مدة زمنية طويلة، والتي تحدث حركات بهلوانية في الجو.

¹ أحمد أبا الصافي جعفري، اللهجة التواتية الجزائرية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2013م

ج1، ص370.

² الطائرة: الطائرة.

24- السرك¹: شاهد الأطفال العاب السرك التي يبثها التلفزيون² أو مباشرة خلال العروض التي تقدمها بعض الفرق المختلفة في المسارح، فأثار إعجابه ذلك فحاول أن يقلده.

تتم هذه اللعبة بحضور شخصان في مكان مستوي، فيصعد أحدهما خلف الآخر على يديه التي تكون مصعدًا له ويبقى واقفا، وعندما يعتاد الطفل عليها يزيدا تعقيدا أكثر بحيث يقف على كتفي زميله ليتشبه بلعبة السرك التي يقوم بها المتمرسين، وعندما يستوي قائمًا يتمشى به زميله في المكان. وهذه اللعبة قريبة من اللعبة التي يقوم بها الطفل في الريف التونسي وتسمى " زوز حدايد" حيث يجتمع الأطفال وينقسمون إلى اثنين فيربُّ أحدهما الآخر الذي يمثل بغلة القائد يركب هذا الطفل وهو يمثل أحد مبعوثي القائد يركب على قرينه وهو متجه إلى الورا حتى لا يتم التعرف عليه فينتقم منه بعضهم بعد هذه المهمة ثم ليتيسر له الإطلاع على من يلاحقه أو يريد غدره حينها تسير البغلة به بين الآخرين وهو يقول منادياً ومحرراً:

زوز حدايد بغلة قايد

¹ هي تمثيلية للألعاب البهلوانية التي يقوم بها رجال السلك ، من خلال ترويض الحيوانات

المفترسة...إلخ

² كثرت مشاهدة سلك عمار الذي طاف في الكثير من الولايات والمدن الجزائرية من قبل الأطفال، فأثار فيهم ذلك التساؤل حاولوا إشباعه بهذه اللعبة.

يرردها بينما تسير البغلة إلى المكان المقرر مسبقا سطر فيه الأطفال دائرة سموها " الجنة" رمزا لمكان تجمع أموال القائد.¹

ومن الألعاب التي لها علاقة بهذه اللعبة القفز على الحواجز، لكن الحواجز في هذه اللعبة ليست حواجز من خشب أو حديد وإنما هي من البشر، فيقف أحد الأطفال في الأمام متخذا وضعيات مختلفة يقفز عليها أصحابه، فمرة يتخذ وضعية تشبه الركوع في الصلاة، وآخر واقفاً على طول قامته، وهذه اللعبة لها حضور في المجتمع التونسي يسميها الأطفال "بهيم باديس" ولعبة " التنقيزة" فيشارك خمسة لاعبين أو أكثر يقفون صفا واحدا الواحد أمام الآخر في اتجاه واحد وفي هيئة واحدة تبدأ بالجتوم على الأيدي والركبتين، ويشرع اللاعب الواقف في آخر الصف بالقفز على الأجسام المتباعدة بصفة تمكن القافز من المسافة الكافية للقفز حتى إذا انتهى إلى أول الصف جثم بدوره وشرع لاعب آخر بالقفز بدوره إلى النهاية.

لهذه اللعبة فوائد كبيرة فهي تزيد مرونة جسم الطفل، وخفة حركته.

25 لعبة العقرب¹: هي لعبة بهلوانية يمارسها الأطفال – فيقومون بحركات تمثيلية تحاكي مشية العقرب تشد الناظر إليها لإبداع الطفل في إخراجها.

¹ نور الدين البياوي، المرجع السابق ص122.

تمارس بشكل فردي في أغلب الأحيان لكن قد يمارسها عدد من الأطفال في وقت واحد للمنافسة وإضفاء جو من المتعة على ممارستها. فيمشي الطفل على يديه وقدميه في الأعلى بشكل يحاكي مشية العقرب تماما، ويحدد قانون هذه اللعبة نجاح الطفل في أدائها وفوزه على أقرانه و منافسيه، بمدى تمكنه من إتقان وضعية العقرب وتحمله المشي بهذه الوضعية لمسافة طويلة. وكثيرا من الأحيان ما يتنافس طفلان أو أكثر في إجراء سباق بشكل العقرب فيضعون خط الانطلاق والنهاية.

فهذه اللعبة تعرف الطفل بنوع من الحشرات الموجودة في المنطقة هذه الحشرة التي طالما شغلت بال الطفل التواتي لخطرها فحرمته النعاس الهنيء على الرمال الباردة ليلا في الصيف الحار، فهي تخفف من خوفه لهذه الحشرة فيصبح اسمها وشكلها معتادا عليه. إضافة إلا أنها تمرن عضلاته لوضعيته المعقدة، كما تزيد من قدرته على حفظ توازن الجسم، وتحمل هذه اللعبة بعض المخاطر كنزول الدم إلى الرأس وتجمعه فيه مما يؤدي إلى الإصابة بالدور، وهو ما يجعل من اللعبة تنحصر عند بعض الأطفال فقط وهؤلاء سرعان ما يتخلون عنها لخطورتها، ولهذا قل رؤية من يمارسها من الأطفال في يومنا هذا.

¹ سميت بهذا الاسم لأن الطفل عن ممارستها يتخذ وضعية شبيهة بالعقرب، فهذه الحشرة كثيرة في الصحراء، وطالما أصبته بالخوف، مما جعله يسعى إلى مواجهته.

26- لعبة الصيد: تمارس هذه اللعبة في فصل الربيع أين تكثر الطيور¹ المهاجرة، ويصبح الجو دافئ والنهار معتدلاً مقارنةً بنهار الشتاء القصير والصيف الطويل الحار.

يعتمد الأطفال في هذه اللعبة على وسائل يصنعونها بأنفسهم من الأسلاك الحديدية، أو عراجين النخيل (الزوان) ، يسمون هذه الوسيلة (القوس) لشكلها المقوس الذي يشبه المنقلة التي يستعملها الأطفال في المدرسة ، وبعد فتحها تأخذ شكلاً دائرياً باجتماع النصفين، وفي المنتصف يوضع سلك يتصل بأحد الأنصاف ليمسكه من الإطباق إلى حين محاولة الطائر أكل الطعم، وبجواره مخطاف صغير يعلق فيها الطعم، توضع المصيدة التي تأخذ عدة تسميات في المنطقة مثل " القوس " و " المنداف " في مكان يراه الطير أو الفريسة، عندما يطول حضور الطائر للمصيدة يلجأ الأطفال إلى البحث عنه في رقّ الصحراء الشاسعة وبعد رؤيته يقودونه بالتصفيق إلى المصيدة ، و لأن بعض الطيور من عاداتها لا تحط على الأرض لخفة حركتها، وإنما تحط على الحجارة والتلال فقط يضع الأطفال قرب المصيدة حجرة قائمة حتى تحط عليها ، وبعد حط الطائر عليها يطبق صمت محكم على الأطفال لأن الطيور التي يصطادونها تمتاز بالحذر الشديد، وبعد رؤية غبار

¹ تشهد المنطقة خلال فصل الربيع الكثير من الطيور المهاجرة، القادمة من الشمال أو الجنوب، ومن أشهرها طير أزرق، وهو صغير الحجم ذو حركة خفيفة، وألوان زاهية، ولحم طري شهى.

يتصاعد من المصيدة بعد القبض على الطائر يسرع الأطفال إلى المصيدة ويفكون الطائرة منها حتى لا يموت ويذبحونه مباشرة بشفرة حلاقة حادة، وعند انعدامها يستعملون " القلوانة"¹ لتوفرها في البساتين التي تكون مسرح للعملية. وبعد نهاية اليوم يقتسم الأطفال الصيد ليعود كل طفل إلى منزله ومعه ما يخفف عنه غضب والديه، وللإضافة تستعمل النساء في المنطقة لحم هذه الطيور بعد تجفيفه في صناعة كسرة القمح المحشية بالخضر ولحم القديد التي تقدم في المناسبات الشعبية والدينية المختلفة مثل احتفال المولد.

لهذه اللعبة فوائد كبيرة على الطفل منها ما هو ملموس كاستفادته من لحم الطيور في أكله، وما هو معنوي كتعرف الطفل على أنواع الطيور بالمنطقة ووقت تكاثرها ونوع أكلها. وهو ما يجعله يضيف إلى قريحته أسماء جديدة عن طيور جغرافيته الواسعة.

27— شيخ الجنون مات: مرّت بعض السنوات على المجتمع التواتي عمّ فيها الجهل وقل فيها العلم وأصحابه، فأطلق الإنسان العنان لعقله ليسبح في عالم الغيب الذي أفلقه ففسج حوله الكثير من القصص التي تخفف عنه ذلك الخوف، ولهذا ابتكر الطفل وسيلة تمثيلية شخصياتها من

¹ القلوانة: هذه كلمة من اللهجة المحلية تطلق على غلاف عرجون التمر.

عالم الغيب وبالتحديد من الجان.¹ ولهذا اشتق اسمها من اسمهم، وهذه اللعبة لا زالت راسخة في أذهان الرجال ممن عايشوا ممارستها ومازال أثرها عميقا في ذاكرتهم لما تمتاز به من مسائل تأخذ بالعقول خصوصا إذا ما تم ممارستها في الليل بمكان خال من السكان.

للعبة جو خاص يملؤه الصمت العميق والسكون المطبق الموحش الحركة فيها قليلة إلا بما يستجيب لإنجاز اللعبة فلا ضحك فيها ولا هزل ولا حتى إشارات رغم ما تتم عنه الجمل والكلمات المستعملة أثناء الممارسة من سخافات ، همس لا يكاد يسمع إلا من الطرف المحاذي، وإشارات لا تكاد تلاحظ كل هذا يهيئ للعبة، وهو شرط من الشروط الأساسية لأدائها والنجاح في ممارستها.

وتمارس بمشاركة خمسة أطفال لا أكثر ولا أقل مشاركتهم فعلية بينما يمكن أن يحضرها عدد آخر كمتفرجين لكن عليهم الحفاظ على الهدوء، وقوانين اللعبة.

¹ الجان: هو أبو سائر الجن، وهو مخلوق من مادة النار المعروفة، وكان خلقه قبل خلق الإنسان كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانِ خَلْقَاهُ مِنْ قَبْلِ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ (سورة الحجر الآية 26 – 27) وسمي الجن جنا لاجتماعهم وهو استتارهم وعدم ظهورهم للناس، وسميت الجنة دار النعيم جنة لأنها تستر بأشجارها الكثيرة الملتفة من يدخلها كما سمي الجنين في بطن أمه جنينا لاستتاره بطن أمه وعدم ظهوره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (سورة الأعراف 27).

يجلس أربعة من المشاركين متقابلين اثنين اثنين ، ويستلقي بينهم الخامس وقد تظاهر بالموت بل عليه أن يتقمصها فهو لا يكاد يتنفس إلا بما يحتاجه للحياة ولا يفتح عينيه أبدا ، ولا يتكلم البتة ولا يضحك ولا يتحرك قط باسطا يديه إلى جنبه ، عندها يقترب منه الأطفال الأربعة فيتقابلون حوله اثنين اثنين عند الكتفين وعند الخصر فيضع كل واحد من الأربعة إصبع الشهادة تحت جسده عند الرأس والخصر، وتبدأ العملية بمجموعة من المقولات التي تتناقلها المجموعة من فرد إلى آخر وفي سرية تامة، حيث يقول الأول لصاحبة (شيخ الجنون مات) وهذا بدوره ينقلها إلى الذي بجنبه، ثم يقول قائد اللعبة مجددا (اشكون اللي كتلو) فينقلونها بينهما مجددا ، ثم يقول باش نغسلوه فيقولون (بقول¹ الحمارة)، ثم يقول باش تكفوه فيقولون بكاغط أبيض وبعد أن تدور على المجموعة يصدروا أزيزا في آن واحدا طويل موحش ليرفعوا الجثة بأصابعهم المستعملة فقط كما سبق ذكره، وهنا تحدث المعجزة حيث يرتفع الجسم خفيفا، ثم يسقطونه أرضا وتعتقد العامة أن الجان هي من تساعد على عملية الرفع ولذلك يكتفون هم بمساعدتهم بأصابع اليد فقط، وهذه اللعبة تحمل الكثير من الطلاسم والرموز الفاسدة.

¹ استبدلنا (الباء) (قافا) تهذبا مع القارئ الكريم.

تظهر اللعبة خيالاً يتسم به الطفل في تلك السن بل أنها تجعل المستمع والمطلع على كيفية ممارستها يعتبرها خرافة لا تحصل في الواقع وأنها مبالغة لما اتصف به الصبية من تهويل للأمر إلا أن الأمر يتعدى ذلك، فاعتقاد الطفل الممارس لها بصحتها والتزامه بقواعدها يجعله يشعر بقوة خفية تتفاعل معه.

هذه اللعبة هي من الناحية التربوية غير صالحة لبناء معتقدات الأطفال إذا تنمي لديهم أفكار الشعوذة والتطلع إلى التعامل مع عالم الشعوذة في المستقبل إلا أن لها فوائد في تكوين شخصيات الأطفال فهي تعلمهم الانضباط والسيطرة على النفس ، فهي تحتاج إلى الجدية التامة والمسؤولية مع رباطة الجأش لتحمل ذلك الجو الرهيب والمخيف فعلاً مع التلاؤم التام مع المشاركة في وقت معين ولوقت محدد ينفصل فيه الطفل عن نزعاته الصبائية وميولاته للأمور غير الجادة خاصة منها تلك التي تتعلق بحركيته ونشاطه كما تجعله يتجاوز زمانه ليعيش في الخيال في عالم الروحانيات متجاوزاً ذاته الأنانية ومركزيته الذاتية الشيء الذي يعدل سلوكه إزاء الآخرين مع مراعاة قواعد اللعبة الجماعية حيث ينعدم الفرد فيها من ناحية بل ويكتشف فيها سر قوة العمل الجماعي من ناحية أخرى.¹

¹ يوجد لهذه اللعبة لعبة مشابهة لها عند الأطفال في تونس غير أنها تختلف عنها في الاسم قليلاً فبدل شيخ الجنون مات يسمونها ولد الجنون مات. كما أنها تمارس بنفس الطريقة التي

28- لعبة الوكيل والعام: هي لعبة شعبية ريفية هادئة نهائية يمارسها الصبية والشبان ، وتتطلب التفكير العميق المتواصل وبعد النظر مع التخطيط عند النزول (أي وضع القطع المتحركة)، والتصوير المسبق لخطط المنافس مع التخمين لما عسى ان يكون رد فعله على التحركات التي يقوم بها اللاعب لكسب أكبر قدر من قطع المنافس والفوز باللعبة. وهذه اللعبة شبيهة بالشطرنج.¹

يمارس هذه اللعبة اثنان ترسم حفرها الـ 25 في أرض رملية ، كل واحد يحاول التفوق على منافسه بالقضاء على ما له من قطع موزعة في الحفرة المقابلة له، وعددها عند كل لاعب اثنا عشر وتكون مختلفة من حيث اللون والنوع فتستعمل عاد الحجارة الصغيرة ونوى التمر) العلف كما يسمى في المنطقة)، ويحاول اللاعب الأول أن يترك بين كل قطعتين يضعهما فراغ ليحجر خصمه على ملئها قصد حصر أحد قطعه منفردة بين حفتين وقريبة من حجارته فيأكلها وتحسب له نقطة ويضع حجرته في الحفرة الفارغة، و إذا أمكن له أن يجد نفس الوضعية عدة مرات واصل التخطيط لباقي حجر الخصم لتكون من نصيبه.

تمارس بها في المنطقة ، وهي تختلف عنها في الكلام الذي يقوله الصبية عند الممارسة فيقولون: ولد الجنون مات ، باش مماشى نغسلوه؟ بيول البهايم ، باش مماشى انكفنون؟ بالبصل. نفسه،ص 126.

¹ الشطرنج: جاء في المخصص قال ابن جني هو من اللعب الفارسية المعربة ، أحمد تيمور باشا ، لعب العرب، هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة 2014م،ص32.

يكون اللعب بالتداول لحركة واحدة دون تحريك القطعة من حفرة لأخرى مجاورة لها، وهكذا يتواصل اللعب لساعات حتى يهزم أحد اللاعبين ، ويحدد الفائز الذي يستطيع القضاء على جميع حجارة الخصم، فينسحب المغلوب ويدخل لاعب جديد أو يعاد اللعب وتكون البداية للفائز.¹

لهذه اللعبة فوائد كبيرة فهي من أولها إلى آخرها تعتمد على التخمين والذكاء ولهذا تعد رياضة عقلية تساعد اللاعب في نمو وزيادة حدة ذكائه . كما أنها تخلق جو من المنافسة في إبراز المهارات وخلق المتعة.

29 حرب كابوس²: يحاكي الطفل في هذه اللعبة الأفلام التي يشاهدها على شاشات التلفاز، فيختار الأطفال مكان تكثر فيه المخابئ، ثم ينقسمون إلى قسمين وبعد ذلك تنطلق المعركة بأسلحة مصنوعة من الألواح، ودوي الرصاص يصدر من ألسنتهم، وهو ما يضفي على هذه اللعبة جو من المتعة، فكل من يواجه زميله مباشرة يطلق عليه النار ليموت، ويتظاهر الأطفال بعد إصابتهم بالتألم والموت ، وعند نهاية

¹ تسمى هذه اللعبة في تونس بالخربيقة، وهي قريبة الشبه بهذه اللعبة إلا أن عدد حفرها يختلف فتصل إلى 49 حفرة وتسمى الحجارة التي يلعبون بها كلاب والحفر بالدار.

² الكابوس: هو المسدس.

المعركة يأخذ كل فريق ضحاياه والأسرى الذين اعتقلهم، ولا يخرجون من حوزتهم إلا بافتداء فريقهم لهم. فيعالج ضحاياه في معسكره.

لهذه اللعبة فوائد على الطفل فهي تربطه بساحات القتال وتعلمه مهاراته وإن كانت وسائلها شكلية، يتدرب على استراتيجيات المعارك من خلال إعداد الخطط ، وهي تمتاز بالحزم والشدة وحسن الاختباء ، وهو ما ينعكس على شخصية الطفل في المستقبل، وإن لم يدرك ذلك في حينه.

30 لعبة القزانة¹ : تدخل هذه اللعبة في الأمور الغيبية ، فيحاول الطفل من خلالها أن يتوصل إلى معرفة القادم من المستقبل.

يمارسها عدد من الأطفال، فيحضرون نوع خاص من الذباب له ألوان تختلف عن الذباب العادي نادر الوجود يسمونه باسم اللعبة " القزانة"، فبعدما يلقي الأطفال القبض عليها يحفرون حفرة ويضعونها بداخلها، ثم يوارون عليها التراب حتى تصير تلك الحفرة وكأنها قبر، ويمارس هذه اللعبة عدد من الأطفال يكون واحد منهم أمه حامل ، فيمرر أحد الأطفال يديه على ذلك القبر يمينا وشمالا، فمرت يقول بنت وأخرى يقول ولد، وهكذا حتى تزاح التراب عن الذبابية وتطير في الجو، فإن طارت عندما قال بنت تكون المولودة أنثى، وإذا قال ولد يكون المولود ذكر حسب اعتقادهم.

¹ القزانة: هي كلمة من اللهجة المحلية وتعني العرّافة، وهي من تدعي معرفة الغيب.

31 زوج ولا فرد " العلف¹ " : هذه اللعبة تعلم الطفل الحدس وحسن

الاختيار، فوسائلها يجمعها من البساتين والشوارع وهي علف التمر " النوى" ، يعد نوى التمر غذاء جيد للأغنام فيمزج مع الخبز والذرة ، ولهذا يحرص الأطفال على جمع أكبر قدر منه حتى يحصلوا على مكافأة من آبائهم، وبسبب ذلك ابتكر الطفل التواتي وسيلة تمكنه من جمع أكبر قدر من هذه المادة.

تمارس هذه اللعبة بأن يحضر أحد الأطفال مقدار من العلف ويخبئ قدر منه في يديه ويسأل زميله عن عدد العلف الذي في يديه هل هو فردي أم زوجي ، فإذا أجاب إجابة صحيحة يأخذه وإذا خطأ في ذلك لا يتحصل عليه.

لهذه اللعبة فائدة كبيرة على الطفل فهي قبل أن تكون فائدتها مادية كتوفير غذاء الأنعام، فهي تعلم الأطفال الحساب فالطفل قد يضطر أحيانا إلى حساب أكثر من 200 علفة في مرة واحدة.

32 صلح صلح " خريبيشة"² : هذه اللعبة تمارس من قبل الكبار اتجاه

الصغار، وتمارس بأن يمسح الوالد على راحة ابنه، وهو يردد كلمة صلح صلح، ثم يقوم بثني أصابعه واحداً تلو الآخرى بداية من الخنصر إلى الإبهام، وبعد النهاية يدغدغ الأب الابن، وهو ما يجعله

¹ العلف: نوى التمر، ويكثر انتشاره بالمنطقة لأنه من أكثر الثمار تناولاً.

² هذه اللعبة يمارسها الأب مع ابنه قصد ادخال السرور عليه.

يضحك، ويستمر الأب في ذلك حتى يسحب الطفل نفسه وهو يضحك بقوة، وتعتبر هذه اللعبة محببة عند الصغار، وذلك لأنها لا تؤدي إلى آثار خطيرة على الطفل، كما أنها تزيد من تعلق الابن بأبيه.

33 الكارثة¹: هذه اللعبة دخيلة على المجتمع التواتي، يمارسها الصبية في فصل الربيع في الغالب، تمارس بطريقة تنافسية حيث ينقسم الصبية إلى أفرقة كل فريق يتشكل من لاعبين، وتحدد الخسارة والربح بعدد النقاط التي يتحصل عليها كل فريق.

لهذه اللعبة فائدة في تدريب الطفل على المنافسة، والمشاركة مع غيره، تساهم في تنمية ذكاء الطفل وحده.

34- لعبة الرجاحة: هي حبل يعلق ويركبه الصبيان كالرجاحة كما جاء في القاموس، وفي اللسان يقال: للحبل الذي يترجح به الرجاحة والنواعة والنواطة والطواخة.²

هي من اللعب المعتمدة على توازن الجسم، فيستعمل الطفل التواتي في هذه اللعبة النخيل، فيثبت حبل بين نخلتين متقاربتين في وسطه يضع مقعدا يجلس عليه، كما يستعمل في بعض المرات جريد النخيل يصل واحدة بالأخرة، أو يمسك بهما بيديه ويتأرجح ذهابًا وإيابًا وشرط

¹ هي من الألعاب الدخيلة على المجتمعات العربية والإسلامية، استمدتها من الثقافة الغربية، فكثيرًا ما يشاهد الأطفال على شاشة التلفاز بعض الرجال وهم يلعبونها في المقاهي أو الساحات العمومية، فاقتبسوا ذلك.

² ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص1578.

التميز في هذه اللعبة يتحصل عليه اللاعب الذي يرتفع للأعلى أكثر،
ومن يسقط يخسر.

وتكمن أهمية هذه اللعبة في تعلم الطفل التحمل والتركيز، و
مقاومة الدوار، كما تعطي الطفل القدرة على المرونة والتحكم في
الجسم.

35 الأرجوحة والمرجوحة: تتم هذه اللعبة بأن يحضر الأطفال خشبة¹
فيضعون وسطها على تل ثم يجلس غلام على أحد طرفيها وغلام آخر
على الطرف الآخر، فترجح الخشبة بهما ويتحركان فيميل أحدهما
بصاحبه الآخر، وترجحت الأرجوحة بالغلام أي مالت، والأطفال
بالمنطقة يستعملون في غالب الأحيان جذوع النخيل التي مانت، فيثبتونها
على حجرة توضع تحتها في الوسط، ويركب عدد من الأطفال على
يمينها والبعض الآخر على يسارها ثم يلقي أحد الأطراف بكل ثقله في
حين يخفف أنفسهم أصحاب الشق الثاني فيصعدون إلى الأعلى وبعد ذلك
ينتقل الدور للقسم الثاني وهكذا دواليك.

لهذين اللعبتين دور كبير في تمرين الأطفال على الحفاظ على
توازن وثبات الجسم.

¹ أكثر الأخشاب استعمالاً هي جذوع النخل، والأعمدة الكهربائية الخشبية المتساقطة بفعل
الرياح، والمستغنى عنها من قبل الشركة.

36- نبش التراب دون إسقاط ما ثبت : يثبت الأطفال عود في وسط كومة من التراب ويجلس أحد الأطفال على يمين الكومة والثاني على يسارها ، فيبدأ أحدهم بنبش الكومة من الطرف المقابل له ثم يفعل ذلك الآخر، وهكذا يتوال الدور بينهما فمن أسقط العود يخسر اللعبة، كما أن هناك لعبة أخرى شبيهة بها تخضع لنفس قوانينها فيحضر طفلين عدد من الحجارة فيقومون ببناء قلعة أو برج على مكان مستوي في كل مرة يضع طفلا حجرة والذي يسقط العمارة يكون هو الخاسر. ولهذا يكون اللعب بحذر شديد.

هذان اللعبتان لهما دور كبير في تنمية قدرات الطفل في اكتساب الحذر والدقة في البناء.

37 - العروسة¹: يعد الزواج الحلم الذي يشترك الجميع في طلبه ، ولهذا يكبر هذا الحلم مع الشاب و الفتاة منذ صغرهما، وهو ما جعل الفتيات يبتكرن لعبة يجسدنا فيها حلمهم ويتدربن على الاستعداد له، هذه اللعبة قديمة تعود إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث كانت تسمى بالبنات (البنات التماثيل الصغيرة يلعب بها)، وفي ربيع الأبرار للزمخشري في حديث عائشة رضي الله عنها : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وفي سهوتي ستر فهبت ريح فكشف ناحية

¹ سميت هذه اللعبة بهذه التسمية لأن أحداثها تدور حول العروس، وما تقوم به أثناء الزفاف، وما يصاحب ذلك من عادات، ويمارسها البنات.. إلخ

الستر عن بنات لي فقال : " ما هذا؟ قلت: طبناتي" ورأى بينهن فرسا له جناحان فقال: "ماذا أرى وسطهن؟" فقلت : فرس قال: ما هذا الذي عليه ؟ قلت جناحان قال: " فرس له جناحان" فلت أما سمعت أن لسليمان خيلا لها جناحة؟ فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه.

والعامّة في مصر تسمي هذه التماثيل بالعرايس وواحدة عندهم عروسة.

تمارس هذه اللعبة الفتيات فيحضرنا قطعة خشبية يلفونها بالخيوط ويشكلون منها دمية صغيرة لها يدان ورجلان ورأس، ويضيفون لها شعر في الرأس حتى تصبح على شكل فتاة صغيرة، فيزينونها بالخيوط والقلائد فيمشطنا شعرها، ويضعونها في مكان مرتفع ويغطونها بقطعة قماش كبيرة، فتكون بمثابة العروس في ليلة الزفاف ، فيجتمع البنات في مكان معين ويرقصن ويغنيانا.

لهذه اللعبة فوائد كبيرة على الأطفال خاصة الفتيات فهي تجعلهم يمارسن حفلة العرس قبل أوانها فيمثلنا دور العروس وأهلها فيتعلمن منذ الصغر الكثير عن هذه الحياة.

38 الوجوابة¹ " عين البقرة : هذه اللعبة شبيهة بلعبة الببليد ، لكن الفرق بينهما أن هذه تكون من نواة فاكهة المشمش، حيث يعمل الأطفال

¹ سميت بهذا الاسم لأنها تصدر صوتاً عن تدويرها، يشبه الوجوابة.

على ثقبها، وتمرير خيط في داخلها ، ثم يعمل الصبي على سحبه ذهابا وإيابا، مما يجعل تلك الحلقة تدور مصدرة صوتا تزيد حدته بزيادة السرعة، والعكس، ولهذه اللعبة فائدة في إدخال المتعة على الصبي، وزيادة المرونة الحركية في يديه لأنها تعتمد على اليدين بشكل أساسي.

39- الزحلوقة¹: هي لعبة يمارسها الأطفال في المنطقة على أرض صلبة تكون منحدره قليلا حتى تمكن من التزحلق .

يحضر الأطفال قطعة خشبية أو بلاستيكية تكون مستوية ليسهل ركوبها تسمى (الزحلوقة) ، يصعد أحدهم بالزحلوقة إلى أعلى التل ويدفعه أحد أقرانه من الخلف فينطلق بسرعة إلى أسفل المنحدر، ويحبذ الأطفال ممارسة هذه اللعبة على الرمل بعد سقوط الأمطار وتماسك حبات الرمل فيصبح العرق برماله المتحرك كتلة واحدة، فتجتمع الوفود من الصبيان في قمة التل المشكل من العرق فينطلقون وفودا وفودا ليتسابقوا في من يصل على زحلوقة أولاً إلى الأسفل.

¹ الزحلوقة: يتزلج بها الصبيان، وهي مثل الزلخة ومما أنشد أبو عمرو:

وحدث من بعد القوام أبزخا وزلخ الدهر بظهري زلخا

لهذه اللعبة فوائد على الطفل فيتعلم الحفاظ على توازن الجسم عند التزلج، كيفية استغلال البيئة الصحراوية القاسية وتكييفها لتصبح في متناول الأطفال وخدمتهم.

40- كرة الخبيط:¹ هذه اللعبة تعتمد على مهارة الطفل في المراوغة والهروب من الكرة التي يضربه بها صاحبه.

تمارس هذه اللعبة في المنطقة بين فريقين اثنين، فيحضرون الملعب برسم مستطيل طوله 20م وعرضه 07م، ثم تقسم على اثنين كل فريق في قسم وعدد اللاعبين هو 10 يتوزع اللاعبين في منطقتهم بطريقة محكمة أربعة على الأركان وواحد في الوسط ويحدد الفريق الذي يبدأ اللعب بطريقة رفع الكرة في الوسط بين لاعبين من الفريقين ومن يتمكن من أخذ الكرة يكون له السبق في البداية، وحسب قانون اللعبة من يضرب بالكرة التي يرميها عليه أحد لاعبي فريق الخصم ينسحب، وعند خروج الكرة يقوم أحد لاعبي الفريق برمي الكرة لأصحابه وذلك من وراء منطقة الخصم وفي الوقت نفسه يقف الفريق المنافس لصد تلك الكرة مشكلين صفا واحدا قرب الخط الفاصل بين المنطقتين فإذا تمكنوا من صدها قبل وصولها إلى فريق اللاعب الذي رمى الكرة

¹ سميت بهذه التسمية نسبة إلى كلمة خبيط والتي تعني القذف أو الرمي فنقول رمى الكرة بالكرة وباللهجة التواتية خبط صاحبه بالكرة..

تصبح اللعبة لهم ويحاول ضرب أحد لاعبي الفريق الخصم وهكذا تستمر اللعبة والفريق الذي يصاب جميع لاعبيه بالكرة يخسر المباراة. لهذه اللعبة فوائد كثيرة على اللاعبين فيتعلمون المراوغة لتجنب إصابات الخصم، كما يتعلم الأطفال الرمي والتصويب.

(2) – فوائد الألعاب الشعبية على الطفل والمجتمع:

– أهميتها في التربية والإعداد للحياة:

فعل التربية يتأثر باللعب ضماناً لديناميكية الطفل واستخدامه البديهي لكل طاقاته، ثم إن التربية تؤثر في اللعبة المختارة لتساير أهدافها، وذلك بإعطائها الحركية والهدف المرسوم مسبقاً إن أمكن من قبل الطفل نفسه، وهكذا تكون التربية قد انطلقت من واقع الطفل بل من باطن ذاته محاولة الارتقاء به والسمو إلى تفتح أجدى، مراعية في ذلك ميولاته ومشاعره، فتصبح التربية العامل الفعال من ذات الطفل، إذ هي تؤثر وتتأثر بمعطيات كيانه المتحولة والمتبدلة كل حين.

وبخصوص أهمية اللعب في حياة الطفل قام الباحثان لطفي قحة، والدكتور توفيق الصخيري بإعداد دراسة في هذا الشأن عنوانها " اللعب

في إعداد شخصية الطفل – المسكوت عنه" فيؤكدان ذلك بكثير من الدراسات التي أجراها غيرهم من الباحثين¹ ومن ذلك:

بأنه قيل قديما وحديثا تعسا لطفل لا يلعب، إن طفل لا يلعب هو طفل مريض.

لقد ثبت أن اللعب يبدأ لدى الأجنة قبل الولادة وهو ظاهرة تميز كل المخلوقات الفقرية، ويظهر جليا لدى كل الثدييات طويلة النضوج ، فيرى العالم " جان بياجى " بأن اللعب يساهم في رسم معالم الشخصية لدى الطفل من خلال:

– الألعاب الحركية الحسية التي تنمي الإدراك والحس .

– ألعاب التركيب التي تنمي الإحساس بالذات من خلال تغيير ما حوله.

– ألعاب الخيال.

ويضيف العالم بوهلير أن الطفل يلعب لاكتشاف مختلف وظائفه وقدراته الجسمانية والذهنية التي تبرز لديه تدريجيا، وبالتالي يكون النشاط اللعبي لدى الطفل تمشيا هادفا إلى التكوين واندماج مختلف مكونات شخصيته ، وهو أيضا ممشى تفاعلي، وإبراز لدور الذات في تعاملها مع دور الآخر، فالطفل يحي وهو يلعب ضمن مجموعات ووضعيات فانت حاضره ومستقبله أيضا لا سردا على طريقة العالم

¹ نورالدين النياوي، المرجع السابق، ص44.

النفساني ، ولكن من خلال الأداء التلقائي ، وهو ما يمكن من عيش الماضي وإحيائه في إحساس عسير ، وهو إعداد لوضعية صعبة فيتخلص من ذلك العسير ويتحرر من خلال وعيه بالوضعية.

ولهذا أكدت كثير من النظريات التفسيرية لأصول اللعب تركز وتؤكد على الغاية الإبداعية للعب ، وعلى الحاجة البيولوجية التي تنشط النمو الجسماني وتسرعه لدى الطفل توجيهها للطاقة والضغوطات.¹

حتى الإنسان الكبير هو بحاجة إلى متنفس يخرج به عن حياة الجد والقيود، فلا يجد ذلك إلا في اللعب، ولقد استفاد علماء النفس كثيرا في ذلك فاستخدموها في العلاج النفسي لدى الصغار والكبار ، إذا أن اللعب يرجع اللاعب إلى طور الطفولة ، فترة اللامسؤولية واللاهوم التي تلعب الدور السلبي في الحياة ذلك أن الالتجاء إلى اللعب هو دعوة إلى التلقائية الإبداعية، فالطفل يدخل إلى اللعب وكله نشاط وحيوية وشغف لها خاصة تلك التي يحاول الكبار منعهم من تعاطيها في الأسرة بصفة فردية، فهي رغم اللاشعور التاريخي تكشف عن محتوى وسيولة الأفكار السائدة في المجتمع.²

¹ Toufik Skhiri et Lotfi Gaha : le jeu dans l'organisation de la personnalité de l'enfant le non dit، article paru in Revue Alif colloque de carthage 7- 9 novembre 1989،p66.

² نور الدين البياوي، المرجع السابق، ص45.

ويمكننا حمل بعض الفوائد التي تتضمنها الألعاب الشعبية في النقاط

التالية:

— تفيد ألعاب الذهن التي يقوم بها الأطفال في تنمية الملكات الفكرية لهم، فيستمد من ألعاب الخفة والحيل الكثير.

— تحمل الكثير من الألعاب الشعبية عدد لا يحصى من القيم والأخلاق والعادات والسلوكيات التي تتضمنها، وبفعل ممارستها تترسخ تلك الأخلاق في نفوس الصبية لتهذب طبعهم وتقوم سلوكهم ، بأسلوب مرح يقبله الصبية ويحرصون على احترامه، وتبرزها في نفوسهم، كما تُبذر البذور في الأرض الخصبة، فيشُبُّوا وقد تعودوا عليها.

— لها أهمية كبيرة في تنمية الحركة وقوة البدن لدى الأطفال خاصة الألعاب التي تعتمد على السرعة مثل: الرمي من الثابت ، حركة التتابع، والوثب الطويل، فهي تدربهم، وتجعلهم على استعداد دائم، فالإنسان دائماً في حاجة إلى قوة البدن والحركة، والمرح، فتخفف من متاعب الحياة.

— بفعل اعتماد الألعاب الشعبية على المنافسة، وبذل الجهد في فرض الذات، فهي بذلك يتعلم من خلالها الطفل الاعتماد على الذات، والتدريب والشجاعة، وبذل الجهد بالإضافة إلى تأثيرها المباشر على الجسم والروح معاً. فهي تفسح له المجال لكي يتعلم ويحقق ذاته ويكشف قدراته واختبارها.

– تساهم في تنمية شخصية الطفل من خلال التفاعل بينه وبين عناصر البيئة، وجعله أكثر توافقاً مع متطلبات المجتمع المحيط به.

– يعتمد الطفل في هذه الألعاب على استخدام حواسه المختلفة، بكل دقة وحدة، ولهذا يستفيد منها في حياته المختلفة لمعرفة الأشياء بالإضافة إلى تنمية ملكات الإبداع لديه.

– تعد وسيلة للتعلّم فالأطفال يهتمون بالعلم من خلل مواقف اللعب فهي تنتج فرص التقدم بالمهارات وفقاً لقواعد التدريس المعروفة من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المعقد ، بالإضافة إلى توفير الحاجات النفسية والاجتماعية الأساسية للطفل من الجنسين فكلا منهما يريد أن يفرغ طاقته ، وأن يكون عضواً مقبولاً في الجماعة.

وفي الأخير توفر الألعاب الشعبية تكاملاً شاملاً في المجالات الانفعالية، والمعرفية، والنفس حركية ، فبما أن الطفل يلعب بحرية فهو يفكر ويتحرك ويبتهج.

المبحث الثاني: العادات المرتبطة بأدوات الزينة واللباس

- تمهيد

1 - المراجع العربية التي اهتمت باللباس

- المواد المستعملة

- تقنيات الصناعة

2- تركيبة اللباس بمنطقة توات

- ملابس الهيئة الخارجية

- ملابس الهيئة الخارجي المفصلة المخاطة

3 - الحلي التقليدي

- المواد الأولية

- بعض الحلي التقليدي بالمنطقة

4 - المساحيق ومواد التجميل

المبحث الثاني: العادات المرتبطة بأدوات الزينة واللباس:

تمهيد:

يعد اللباس من الأمور التي تتفرد بها المجتمعات وتتميز بها عن غيرها، فهو يعكس هويتها ويثبت تواجدها وامتدادها التاريخي، فلا نكاد نفرق بين المجتمع الجزائري، أو المغربي، أو التونسي، أو الليبي... مثلا من الوهلة الأولى وقبل الاحتكاك والتعرف على ما تضرر به قريحتهم إلا من خلال لباسهم، فهو بطاقة تعريفية للمجتمع، تبرز هويته وانتمائه، وتميزه عن غيره.

والمجتمع التواتي من المجتمعات الكثيرة التي يتشكل منها وطننا الجزائري الكبير، فكما أن له عادات في التعلم والأكل والشرب... له عاداته الخاصة في اللباس، التي تميزه عن غيره وتبرز خصوصيته، وسنحاول في هذا المبحث أن نقدم دراسة وصفية تحليلية لأنواع اللباس وأدوات الزينة بمنطقة توات، واقفين عند أهم المراجع والمصادر التي اختصت في دراسة هذا الموضوع بصفة عامة، وكذا المادة الأولى المستعملة في صناعتها وأنواع اللباس حسب الاستعمال.

1. - المراجع العربية التي اهتمت بالموضوع:

إن وجود كتب مختصة في دراسة اللباس في المنطقة العربية عموما لا نكاد نقف عليها فضلا عند وجود كتب مختصة في اللباس التقليدي بمنطقة توات، وبما أن هناك تشابه كبير في اللباس بين المجتمعات العربية لخضوعه لعامل الدين و العادات والتقاليد، فأغلبهم يشتركون في الأول ويدينون بالإسلام، وبعضهم يشترك في الكثير من العادات

والتقاليد وأبرز تلك المظاهر الحشمة والعفة في اللباس. ومن أهم الكتب التي اهتمت بهذا الموضوع وهي المراجع العربية القديمة منها ما هو شعر، ومنها ما هو كتابة أدبية (الجاحظ، و أبو الفرج الأصفهاني) ومنها ما هو أدب الرحلات (ابن بطوطة ، ابن جبير) ومنها ما هو أيضا أعمال لباحثين تاريخيين واجتماعيين أمثال ابن أياس، ابن خلدون، والمقريري، والسيوطي) فهذه المصادر قدمت وصفا للباس الذي كان يرتديه الملوك وبلاط الخليفة ، أو تلك الهدايا الباذخة التي كان يقدمها الملوك والحكام للشخصيات البارزة عشية تقليدهم مناصبهم.

ولقد كان للرحالة والدبلوماسيين فضلا كبيرا في التعريف بجوانب كبيرة من اللباس العربي وهذا من خلال الأوصاف التي قدموها في رحلاتهم ودراساتهم ، ومن أولئك الوصف الذي قدمه " برنار فون بريد نباش B.V Breydenbach عام 1482م تحت عنوان " الحج إلى الأرض المقدسة" حيث أبرز داخل مؤلفه هذا صورة حفرة تمثل بعض اللبنانيين داخل كرم عنب.¹

وبسبب الحملات الاستعمارية على الوطن العربي، تبعتها نزاعات اثنوغرافية عرقية ، ولأن الثقافة الشعبية عامة و العادات والتقاليد خاصة تعد الأساس الذي تقوم عليه هذه الدراسات، ولقد شكلت الجزائر عشيت

¹ بينول ، اللباس والزينة في العالم العربي، تر. نبيل سليمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان، 1997، ص10.

غزوها عام 1830م. وبعدها تونس والمغرب حقل واسع للدراسات المتعلقة بالعادات والتقاليد في البلاد المغزوة، كل بدوره العسكري والطبيب والموظف قام بسلسلة من الدراسات هادفا إلى معرفة أعماق الأرض والناس الأصليين ، وشكل موضوع اللباس والزينة جزءاً مهماً من ميدان البحث في الأنثروبولوجيا، التي كانت مدخلا سهل من عملية الغزو الفرنسي للبلاد. فبالرغم مما حملته هذه المواضيع من مادة سهلت من مهمة العدو في التعرف على البلاد والسيطرة على أهلها إلا أنها مع ذلك كانت صورة معبرة عن حياة وعادات الفرد في تلك الفترة.

وبخصوص منطقة توات لا تكاد توجد كتب اختصت في اللباس والزينة، وما تحصلنا عليه ليس فيه إلا نتافات قليلة لا تغني ولا تسمن من جوع، ومن ذلك مخطوط لسيدي المختار الكنتي الذي ألفه لغرض النهي عن تبرج النساء في اللباس ، وهذا ما شاهده عند نساء منطقة توات والأزواد، وجاء تحت عنوان " رسالة في زينة النساء" وهذه الرسالة ألفها صاحبها لينهي عن خلق زميم أصبح جديد على المنطقة، وهو التبرج وإبداء الزينة لإشاعة الفتنة وإغواء الرجال ، كما مدح فيه النساء المتحجبات المتمسكات بشرع الله، وبذلك يعد هذا الكتاب كتاب فقهي أكثر مما هو وصفا للباس في تلك الفترة، ولقد أجرى الأستاذ العربي عبد الرحمن دراسة على هذا المخطوط ونشرة في مجلة رفوف

¹ ولكن لندرة الكتب المتخصصة في وصف اللباس في المنطقة نستفيد من هذه الرسالة في التعرف على بعض أدوات الزينة التي كانت سائدة في المنطقة ومما جاء في بداية هذه الرسالة: " بعد الاستفتاح بالبسملة وآيات من القرآن الكريم قال: ... وبعد فسلام ممزوج بالمسك والراح، ما زلت أجد العطايبيل الرواح² وازدانت المخدّرات³ بالحجاب وإرسال الجلباب من الطلاح إلى كل جيداء⁴ عروب⁵ بيضاء طلعة تصطاد القلوب أو جبة لهن حسن الظن بهن مما نشاهده من الفوائد الجزيلة والمناقب النبيلة والنزاهة والصباحة والرياسة، ونظافة الأطراف، ولكن لا نرضى لهن إلا طريق الألوهية... فوالله ما غضت المرأة صوتها ولا قصرت في مشية ولا أخفت محاسنها إحصانا وامتنالا لأوامره واجتتابا لنهيه وتعظيما لشعاره⁶ إلا رفع قدرها في ملائكته... ولا تبرجت امرأة

¹ عبد الرحمن العربي، مخطوط رسالة في زينة النساء للمختار الكنتي(ت 1226هـ)، مجلة رفوف، العدد 3، أدرار الجزائر، ديسمبر 2013، ص 290.

² الراح: يقصد الرائحة الندية الطيبة.

³ المخدّرات: أي نوات الخدور وهي مخادع النساء الخاصة التي لا يدخلها الأجانب من الرجال.

⁴ جيداء: من الحسن.

⁵ عروب: حسنة الكلام، وقال ابن منظور والعربية والعروب: كلتاها المرأة الضحاكة، وقيل هي المتحبة إلى زوجها المظهرة له ذلك، ينظر ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص2867.

⁶ هكذا هي في الأصل وربما هي تصحيف لكلمة: شعائره.

تبرج الجاهلية لنهي الله تعالى وانتهاكا لحرمة واصطيادا لمحارمه إلا
جُعلت عليها اللعنة وزالت عنها السكينة وابتليت بالحقر في قلوب
الرجال...¹

ويظهر المؤلف في هذه الرسالة بعض المواضع التي كانت النساء
تضع عليها أدوات الزينة من أقراط وسلاسل وهذا لإبداء زينتها وحسنها
فيقول: ... ثم لم يعرف الديوث أن المرأة إذا لم تصن عن الرجال
كجبيدها ولباتها² ولثاتها³ ومعاطفها فغير ذلك منها شأن الكلاب...⁴

تعد هذه الرسالة من الكتب الفقهية التي توضح حكم اللباس وحدوده،
وتكشف من جهة أخرى حالة المجتمع التواتي خلال عصر المؤلف وهو
أواخر القرن 12هـ وبداية القرن 13هـ، فلقد عرف المجتمع خلال
هذه الفترة حالة من الانحلال والتخلي عن اللباس التقليدي المحتشم،
وكان ذلك ربما راجع إلى الأحداث السياسية والقبلية المتشابكة، حيث

¹ المختار بن أحمد الكنتي، مخطوط رسالة في زينة النساء، مكتبة محمد آسكر، الخوارة
موريتانيا. ص 3995.

² اللبة: وسط الصدر والمنحر أي مكانه من العنق. ينظر ابن منظور، المصدر السابق،
ج5، ص3980.

³ اللثة: اللحم الذي تركز فيه الأسنان وتسمى اللهاة. ينظر نفسه، ج5، ص3997.

⁴ المختار الكنتي، المصدر السابق.

انهارت كثير من الكيانات المركزية وشاعت الفوضى¹، وبذلك آلت المدن والبلاد إلى ذوي العلم والتصوف فقادوا مدنهم بالحكمة وهدؤوا بعض النزاعات والحروب بالموعظة الحسنة والحكمة.

وبسبب ندرة المصادر التواتية المختصة في ذلك سنحاول بعون الله أن نقدم وصفا للباس التواتي، وهذا حسب ما رأيناه، وما توصلنا إليه من خلال بعض المقابلات الشفوية مع بعض الرجال والنساء الكبار في السن، وفي هذا نسأل الله العون والسداد، فهو القادر على ذلك سبحانه. وستتضمن هذه الدراسة مجموعة من العناصر المتعلقة باللباس، والمواد الأولية المستعملة في ذلك، وأدوات الزينة من مساحيق، وأدوات...إلخ

II . (المواد الأولية المستعملة في صناعة اللباس:

1 – الصوف La laine:

هو المادة الرئيسة التي يصنع منها قسما كبيرا من الملابس التواتية، وهذه المادة قديمة الاستعمال، كما أنها متداولة لدى أغلب الشعوب، وبين الله تعالى بنفسه أهميتها فقال سبحانه في سورة النحل: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا

¹ حماد الله ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني، مدن القوافل ما بين 1591-

1898م، دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008، ص176.

وَأَشْجَارِهَا أَتَتْهَا وَمَتَعَا إِلَى حَيْسٍ ﴿١٠٠﴾¹، وورد استعمالها لدى المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهناك إشارة إلى أن النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم كان يلبس بردة من الصوف السميك الداكن والمخطط تغطي كامل الجسم، كذلك الصوفيون، وفي الغالب يمزج الصوف مع شعر الماعز أو وبر الجمل مما يزيد من صلابته وبالتالي من مقاومته لاختراق الماء.²

— الحرير la soism :

هو من المواد المستعملة في الحياكة الرفيعة المستوى، وأصبحت هذه المادة تستعمل في اللباس التواتي الحديث بكثرة، أما قديماً فكانت قليلة يختص بها بعض الأثرياء من سكان المنطقة، وفي القرآن الكريم إشارة إليه كلباس لأهل الجنة فيقول الله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾³، ومع الفتح الإسلامي وظهر ما يسمى ببلاط الخليفة، حدث

¹ سورة النحل الآية 80.

² بينول، المرجع السابق، ص 13.

³ سورة فاطر، الآية 33.

تطور واضح، وقبول على لبس الحرير من طرف عليّة القوم : (الخلفاء ، التجار ، أصحاب المقامات والتجار الكبار".

وكانت تربية دودة القز المنتجة للحرير تمارس بشكل رئيسي في إسبانيا، وسوريا، وبلاد فارس، ووصلت معامل إنتاجه إلى أوج ازدهارها إلى الحقبة الأولى للسيطرة العثمانية حيث أضحت اسطنبول المركز الرئيسي لمعامل الحرير في الإمبراطورية العثمانية، ونستطيع أن نوزع إنتاج الحرير كما حددته القوانين العثمانية على ثلاث أقسام هي: **المخمل** la velours – **الديباج** la brocart (نسيج مقصب بخيوط الحرير والذهب) – **الأطلس** les satins .

2- القطن: le coton: هو إلى جانب الصوف المادة الأولية الأكثر استعمالا في صناعة الألبسة بالمنطقة، يستعملها الأغنياء، والبسطاء، يدخل في لباس الرجال، والنساء، والأطفال، وعن دخول هذه المادة للبلاد الإسلامية فيرجع ذلك إلى القرن الأول الميلادي، وهذا من بلاد الهند عبر طريقين : طريق الجزيرة العربية، ومصر ، ومع الفتح الإسلامي انتشر في المغرب العربي ، ولم تبدأ زراعته بشكل قليل ومتناثر في أرجاء العالم العربي إلا في القرون الوسطى، وخلال بداية الحقبة العثمانية وفي هذه الأيام، وبالرغم من أن زراعته قد انتشرت في كامل إفريقيا الشمالية، نجد أنها قد تركزت بشكل رئيسي في مصر، وعلى ضفاف النيل تحديدا، وقطن هذه المناطق فائق الجودة وذو نوعية

ممتازة (فتيلة طويلة)، وكذلك تركزت هذه الزراعة في سوريا أيضا وتحديدًا في المنطقة بين حمص وحلب، وبالرغم من هذا التركيز فإن هذا الإنتاج يستبدل شيئًا فشيئًا بالقطن المستورد وبالأنسجة الصناعية القليلة الكلفة (حرير صناعي، نايليون...)¹

3_ الكتان le lin: تستعمل هذه المادة بكثرة في المنطقة، وهذا لكلفتها الرخيصة، وتوفرها، ومناسبتها للجو السائد بالمنطقة، فهي على عكس الأقمشة التي تحتوي على نسبة كبيرة من النيلون، فهذه الأخيرة تتسبب في ارتفاع حرارة الجسم عند تعرضها لأشعة الشمس، ولهذا يتجنب سكان المنطقة هذه الألبسة، ويفضلون الكتان عليها بالتحديد.

عن إنتاج هذه المادة ظلت تونس وتحديدًا شبه جزيرة رأس بون هي مركز الإنتاج الرئيسي له حتى بداية القرن العشرين ، وبعد ذلك انتقل المركز إلى مصر حين صارت هي الأولى في كامل البلاد العربية من حيث الإنتاج.

4_ الحلفاء alfa: يغطي نبات الحلفاء الذي يصنع منه الورق عادة حوالي أربعة ملايين هكتار في مرتفعات إفريقيا الشمالية، ويعود استعماله لصناعة الحصير بشكل رئيس، بالإضافة إلى بعض المصنوعات الأخرى، ويتم حفظها في أغلب الأحيان بواسطة رشها بالماء مما يجعل الألياف رقيقة وناعمة عند ملامستها القدم. وبمنطقة

¹ بينول، المرجع السابق، ص 14.

توات تدخل الحلفاء في صناعة بعض المعدات الفلاحية كالأكياس التي
يخزن فيها التمر، والقمح... إلخ

5- le cuer: نحصل على الجلد بواسطة معالجة معينة من قبل
الدباغين لجلود الأغنام والماعز والجمال، والجدير بالذكر أن هذه
الصناعة الحرفية التي تقوم بها " طائفة الدباغين " سائرة شيئاً فشيئاً نحو
الانقراض. وهو يتميز بنوعين أحدهم خشن والآخر ناعم، ولهذا يجب
على العامل أن يتميز بالخبرة العالية خاصة أثناء السلخ بالاحتراز من
تقبه.¹

ويستعمل الجلد في أغلب الأحيان في صناعة الأحذية ، وحقائب
السفر و الغرقة (إناء من الجلد و "مطرة " يحملها البدو في المملكة
العربية السعودية، كما يستعمل من قبل الجماعات الصحراوية للزينة،
كالأساور التي تعلق بها أحجار ملونة ومزخرفة وفي مرتفعات الحجاز
وفي اليمن تستعمل جلود الأغنام والجمال كبطانة للمعاطف المسماة
"قروة" والذي كثيرا ما ذكره أبي الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني.
وتشتهر منطقة أولف بهذه الصناعة في المنطقة، لاسيما قصر حينون
بصناعة النعال الجلدية ... التي غزت أسواق توات الوسطى.²

¹ علي بومدين، المرجع السابق، ص77.

² فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان
المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م. ص 41.

١١١.)- تقنيات الصناعة:

تتعايش حاليا ثلاث أشكال من النماذج التقنية والتي تعبر عن
المواجهة القائمة بين التقليد والحداثة: التقنيات اليدوية، والتقنيات
الآلية، والتقنيات الصناعية:

1- التقنيات اليدوية: إن الأمثلة الأفضل على هذه التقنيات اليدوية هي
غزل الصوف أو الحرير بواسطة المغزل المنزلي، والحياسة على
النول الأفقي المستعمل لدى البدو الرحل في إفريقيا الشمالية وفي
فلسطين¹، وكذلك الحياكة على النول العمودي، وهذه كلها تقنيات يدوية
لم تنزل تصارع التقنيات الأخرى على البقاء.

2- التقنيات الآلية: يتميز هذا النوع من التقنيات بأن عملية الإنتاج لا
تتم كالتقنيات اليدوية داخل المنازل بل إنها عملية حرفية تتم في
الحوانيت، وتستعمل أنوال تسمح بإعطاء مردودية إنتاجية أكبر وأكثر
وأهمية.

وقد شكلت هذه التقنيات الصناعية تهديدا حقيقيا للحرفة التي راحت
تترك مكانها لصالح تقنيات تقدم للجمهور أزياء غريبة بالكامل عن

¹ بينول، المرجع السابق، ص14.

الملابس التقليدية المحلية، ولكن بالرغم من ذلك نرى مؤخراً أن البيوتات الصناعية الكبيرة تحاول جاهدة أن تأخذ بعين الاعتبار وجود تقنيات تقليدية حرفية وتراث ثيابي يجب المحافظة عليه والتعاون معه حيث نرى في الكويت في الكويت مثلاً كيف أن بعض الحرفيين هم الذين يزخرفون ويضعون اللمسات الأخيرة على المعطف الرجالي التقليدي المفصل صناعياً والمعروف باسم "البيشة".

3- أساليب الصباغة: تأخذ الكثير من الثياب ألوانها الزاهية عن طريق الصباغة، فكل لون صباغة خاصة، وبمنطقة توات يكثر استعمال الصباغة الزرقاء للكتان الأبيض خاصة الأقمصة والعباءة عند الرجال، والإزار عند النساء، وسبب استعماله راجع إلى اللون الزاهي الذي يظهر عليه الثوب بعد استعماله، كما أنه يساعد على اختفاء الأوساخ عند سقوط بعضها على الثوب الأبيض، كما يستعمل الطوارق¹ في المنطقة "النيلا" لألبستهم الشهيرة (البزان)، وتستعمل هذه الصباغة محلياً عند

¹ أن أغلب أهل الصحراء يلتزمون النقاب لا تبدوا منه إلا محاجر العين ولا يفارقونه في حال من الأحوال حتى أن الرجل لا يعرف ولييه وحميمه إلا إذا تنقب خاصة عند الطوارق، ولو زال القناع فتيل لم يعرف حتى يعاد عليه القناع، وبقايا الملتمين يعرفون اليوم بالطوارق، ومر علينا بالأغواط سنة 1348هـ بعض رؤسائهم فرأينا لثامهم على ما وصف به أسلافهم. ينظر مبارك بن محمد الملي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، ص216.

غسل الثياب، أما بقية الثياب المصبوغة فتستورد من الخارج، وتستهمل في العادة عند صباغة الثياب مجموعة من الطرق، والألوان منها:

إن أساليب التلوين والصباغة هي تقليدياً من أصل طبيعي فالصباغة كانت نباتية أو معدنية أو حيوانية، من بين المواد النباتية للصباغة هناك " الفوة" للأحمر ، الزعفران للأصفر، النيل للأزرق، ومن بين المواد المعدنية هناك " المغرة الصفراء"، ومن بين المواد الحيوانية هناك الملايق murex " للأرجواني" والحيوان القرمزي " للأحمر" ، أما في يومنا الحالي فإن الصباغة والتلوين تتم في كل مكان تقريباً بواسطة الألوان الاصطناعية.

4- تقنيات زخرفة الملابس: تحرص المرأة التواتية على ارتداء الثياب المزخرفة أكثر من الرجال، فتشرف على تلك العملية بنفسها، أو توكلها إلى من يقوم بها عنها، أو تستوردها جاهزة، فالرسوم الزخرفية مستنبطة من البيئة المحلية للمرأة، ولهذا تستعمل عدة تقنيات في هذه العملية على المستوى المحلي أو العالمي ومن ذلك:

إن تقنيات الزخرفة التي تكسب الملابس حلة وجمالاً وروعة نستطيع أن نميز بين أربع تقنيات هي: التطريز ، الزركشة ، التوشية والترخيم.

أ) – التطريز¹: إن تزيين وزخرفة الملابس تقوم بشكل رئيسي على

فن التطريز، ويستعمل بشكل أساسي لملابس الهيئة الخارجية
vetements de port exterior ، والوسائل المستعملة من
خرز وزخارف أخرى هي كثيرة التشابه في مختلف أرجاء العالم
العربي، وبخصوص هذا الموضوع هناك عدة مميزات لهذا الفن
في العالم العربي مشرقه ومغربيه بين الريف والمدينة وهي:

– التطريز في المغرب العربي هو فن مديني في الأساس نادر في
الريف، أما في المشرق العربي فهو يمتد ليغطي المناطق الريفية كلها .

– التطريز في شبه الجزيرة العربية يشكل احد النشاطات الرئيسة
للمرأة البدوية، وهو لا يقتصر على الملابس فقط بل يتعداها أيضا إلى
معظم أنواع المفروشات، واهتم المغاربة ولا يزالون يزينون المحارم و"
الأحزمة" و " العصائب" وأغطية الوجه وخصوصا " الشال" وأغطية

¹ الطرز: هو فن التزيين بالغرز على القماش أو مواد مشابهة باستخدام إبرة خياطة وخيط،
ويمكن المزوجة بين الغرز لرسم رسوم مختلفة ليس لها حدود منها : الحيوانات ، البشر،
والمناظر الطبيعية، والتجريدية وغيرها، ويستخدم في التطريز أقمشة مختلفة مصنوعة من
ألياف طبيعية (الحرير، الحلفاء، الصوف، القطن، الكتان) أو من ألياف صناعية مصنوعة
من مركبات كيماوية(الرايون، النايلون، ... ينظر جلييلة بن العمودي، إستراتيجية تنمية
قطاع الصناعة التقليدية والحرف بالجزائر في الفترة 2003 –2010م، مذكرة ماجستير ،
جامعة ورقلة ،ص 146.

الحمام المعروفة في الجزائر تحت اسم التنشيفة" بينما كانت ولم تزل الألبسة اليومية قليلة التطريز نسبياً¹

وكما ذكر ابن خلدون في المقدمة بأن التطريز على الثيب كان من مكملات الملك فهو الميزة التي تميزهم عن غيرهم فيقول: الطراز من أبهة الملك، والسلطان، ومذاهب الدول أن ترسم أسماؤهم أو علامات تختص بهم في طراز أثوابهم المعدة للباسهم من الحرير أو الديباج أو الإبر يسم.... فتصير الثياب الملوكية معلمة بذلك الطراز قصد التتويه بلبسها من السلطان.²

ونستطيع أن نقول أن الملابس النسائية هي في الغالب أكثر تطريزا من ملابس الرجال وأن مجموعة الألوان لخيطان القطن والحرير هي واسعة جدا، وكلها في خدمة وإرضاء هوى المطرز.

والتطريز يمكن أن يتم من خلال الرسم أو من خلال مجاهر صغيرة، حيث نرى أن مطرزي مدينة فاس (المغرب) الخبيرين في فنهم قد تركوا التطريز بالرسم لصالح تقنية التطريز بواسطة استعمال المجاهر الصغيرة، وزخرفات التطريز هي بشكل رئيسي نباتية وعلى شكل أزهار كثيرة المنمنمة في أغلب الأحيان.

¹ نفسه، ص16.

² عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ص266.

أما النموذج الثاني لزخرفات التطريز فهي الزخرفات الهندسية البسيطة المشابهة لتلك المستعملة في الهندسة المعمارية، كما يمكننا ملاحظة ندرة صور وأشكال الإنسان والحيوان على الثياب، فيما عدى بعض الرسومات التي ترمز للخير (مثل اليد)، والتي لها دلالات عقائدية كالوقاية من السحر والحسد، والتي كثيرا ما نشاهدها على شكل منمنمات .

ازدهر التطريز في الجزائر خلال العهد العثماني، حيث أدخل الأتراك أساليب جديدة مخصّبة بمضامين عربية وفارسية، كما لا يمكن إهمال التأثير الأندلسي في القرن الخامس عشر الذي أورث دول المغرب العربي مؤثرات فنية تعكس الحضارة الأندلسية خاصة بمدن الرباط ، فاس ، تلمسان ، الجزائر، تونس ، هذا التمازج ولد فناً زخرفيا في شكل مظروقات رائعة على أنسجة حريرية، وأقمشة ناعمة وأخرى رقيقة غير متشابكة، وحتى على الجلود¹

ب) – الزركشة: la passementerie

الثياب المزركشة قديما استوردها المجتمع التواتي في الغالب، وهذا لندرة توفر الوسائل التي تتم بها هذه التقنية، وأثمانها الباهظة من جهة أخرى، حتى وإن وجدت قديما فهي قليلة، ولكن بسبب تقارب المسافات بين الأقطار أصبحت هذه المادة متوفرة، وبأقل الأثمان.

¹ جلييلة بن العمودي، المرجع السابق، ص146.

تستعمل الزركشة في الغالب لثياب الاحتفالات (القفطان)، وهي تقوم على تزيين أماكن الخياطة والجيب والياقات بشرائط واشحة مضمورة من الذهب والحريز، وفي المناسبات الاحتفالية الكبيرة، تتوقف هذه العملية في أغلب الأحيان مع وضع سلسلة من الأزرار المزينة والأحجار الكريمة، والكرات الفضية على هذه الملابس المزركشة.

(ج) - التخریم: la dentelle

فن التخریم كانت بدايته الأولى على شكل المكدم وهي طريقة في فنل الحبال ظهرت في المملكة العربية السعودية، ثم عاد ليظهر على باقات القمصان، الأكمام، الخمار، المناديل، ويبدو أن فنل التخریم قد بدأ يتطور في المغرب العربي اعتباراً من القرن السابع عشر انطلاقاً من سببين أولهما تأثير المهاجرين الأندلسيين، وثانيهما الأزياء التي حملها الأتراك معهم إلى المغرب، إن الشغف بفن التخریم كان دائماً متواضعا في البلاد العربية لصعوبة العمل فيه كونه يتطلب في البداية مرانا بواسطة الإبرة على أصناف الوسادات الصغيرة، وفي الثلاثينات من هذا القرن اختفى تقريبا التخریم على الملابس، ولم يعد يستعمل على بياضات المنازل "الأغطية والشراشف وغيرها. وهذه العملية نادرة الاستعمال بالمنطقة.

ولقد استعمل الحرفيون الهندسة في إنتاج صناعتهم الحرفية كطريقة لتقسيم الشكل العام للبضاعة، وهي لم تكن عشوائية بل استنتجت من

المظاهر الهندسية الطبيعية ، ونجد هذه المفاهيم قد استعملت في أوروبا خاصة المجتمعات التي مستها الثورة الصناعية في القرن 18م التي غيرت الإنتاج الحرفي إلى مفهوم صناعي، وهذا ما نجده في مراكز التحويل الصناعي، ونجد هذه المفاهيم الهندسية والعلمية معمولاً بها في هذه المنتوجات الحرفية وخاضعة للدراسات عامة مفروضة على نوع الحرفية المعينة، وتوجد مقاييس محددة لنوع معين وأخرى عامة، ويستعمل الصناع مقاييس الذراع والشبر، والأصبع بالبصمات، وهي أصغر قياس في هذا الإنتاج¹.

وأخيراً يمكن القول أن الملابس لم تأخذ قيمتها الحقيقية وأبّتها إلا من خلال الزينة التي رافقتها، وسنحاول في هذا المبحث الوقوف على تركيبة اللباس التواتي.

IV. تركيبة اللباس بمنطقة توات:

يعد اللباس والغذاء ضرورتان حتميتان لاستمرار الحياة بشكل مستقر، ولهذا ابتكر الإنسان منذ وجوده على هذه البسيطة وسائل تمكنه من التكيف مع متغيرات البيئة والمناخ، فهناك الحر والبرد ، ولهذين العاملين تأثيرهما على جسم الإنسان ولا بد عليه أن يحتمي منهما، ولذلك

¹ الطاهر بلقاسم، الصناعة التقليدية في منبع حوض وادي تافنة تلمسان، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة تلمسان، 2001-2002م، ص 114.

كان اللباس الوسيلة المناسبة لتحقيق ذلك، كما أن لها دور في التعبير عن الرفعة والأبهة، وعكس رمزية المناسبات والاحتفالات المختلفة.

ويتنوع اللباس التقليدي بالمنطقة حسب المادة التي صنع منها، والغرض الذي صنع لأجله، والجنس الذي يلبسه ذكراً كان أو أنثى، والمرحلة العمرية للشخص الذي صنع له.

والفرد التواتي كغيره ابتكر أنواع عديدة من الثياب تتناسب مع شخصيته الدينية وبيئته الصحراوية، وكان للدين دور كبير في شكل اللباس وأنماطه في المنطقة، فيمكن تمييز نمودجين من الملابس، فمنها ملابس الهيئة الخارجية (vetements de port exterior) والتي تنقسم لقسمين (ملابس الاشتمال (drapi)، وملابس التفصيل والخياطة (coupe cousu) وملابس الهيئة الداخلية (vetements de dessous) من جهة ثانية والتي تكون جميعها ملابس تفصيل وخياطة، وتفصيل ذلك كالتالي:

1- ملابس الهيئة الخارجية: إن لباس الهيئة الخارجية يكون عادة طويلاً، وهو مشمول أو مفصل ومخاط وهو للرجل كما للمرأة على السواء طوله وحجمه كان يدلان تقليدياً على المكانة الاجتماعية للذي يرتديه، كما أن الطول والحجم يخضعان لضرورة مناخية إذا كان اللباس طويلاً وثقيلاً ومن الصوف فإنه يقدم حماية جيدة ضد برد الشتاء، أما إذا كان طويلاً وخفيفاً ومن القطن، أو من أنسجة أكثر نعومة فإنه يؤمن

رداءً مثاليًا ضد أشعة الشمس الحارقة، وأخيرا إذا كان طويلا دون إسراف فهو يخضع لتقييد الديني، كما كان حال أهل الذمة ببلاد المغرب الإسلامي حيث كانوا يلبسون الزي المميز الذي يعرفون به لتمييزهم عن المسلمين، وهو لبس الرقاع على الأكتاف، وشد الزنار في الوسط¹

وذكر ابن خلدون هذا النوع من الثياب ، عند حديثه عن صناعة الحياكة والخياطة فيختص أهل البوادي والصحاري بالاكْتفاء بلباس الاشتمال وقلما يستعملون لباس الخياطة لأنه من مميزات أهل الحضر فيقول: " إن صناعة الخياطة مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها وإنما يشتملون الأثواب اشتمالا ، وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإمامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها"²

وكلام ابن خلدون هذا ينطبق جزء كبير منه على المجتمع التواتي ، وذلك لأن التواتيين لا يتكفون في لباسهم عادة فصفة التواضع والاعتدال في اللباس هي السمة البارزة، قلما تجد التكلف سواء عند الرجال أو النساء، ولكن ما أفرزته الحضارة و العصرنة على المجتمعات من تقريب للأسواق التي تعرض فيها مختلف المنتجات إضافة إلى ما تعرضه القنوات التلفزيونية من حصص وأفلام وثائقية

¹ كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص49.

² نفسه، ص267.

وسينمائية، مبرزة الأنواع المختلفة من الثياب ، كل هذا جعل الفرد التواتي يتخلى عن لباسه التقليدي، ويميل إلى ثياب أكثر تعقيدا تختلف اختلافا كليا عن ثيابه الأصلية، وربما هذا ما أراح إحدى الخصائص التي تميزه عن غيره، وملابس الهيئة الخارجية تنقسم إلى قسمين هما:

(2) – ملابس الهيئة الخارجية المشمولة:

(ا) – الغطاء: la voile

الغطاء كتسمية عامة يعني الرجل كما يعني المرأة على السواء، وهو يعود إلى ما قبل الإسلام، ومع الفترة الإسلامية ظهر الغطاء للمرأة المسلمة ملبياً لحاجة مؤسسية اجتماعية ما لبث أن أصبح ذو أساس ديني واضح. ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَأْتِيهَا النَّجَاءُ فَلِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾¹

فالقُرآن الكريم يصف هيئة الثوب الطويل والمحتشم أي الجلباب ويأمر بارتدائه، بعد ذلك حدد الفقهاء كيفية الارتداء حيث تُرجم ذلك حسياً بواسطة أغطية مصنوعة بهيئات مختلفة منها غطاء الوجه الذي

¹ سورة الأحزاب، الآية 59.

يهدف إلى إخفاء وجه المرأة من نظرات الرجال، كما يستعمل الطوارق¹ غطاء الرأس والوجه خاصة الرجال، وغطاء الجسم الذي تستعمله النساء لأسباب مختلفة، والغطاء يحمل عدة أسماء حسب الموضوع الذي يوضع عليه من الجسم، وهو على عدة أشكال منها:

(ب) - غطاء الوجه (e voiole de face) :

نفهم بتعبير غطاء الوجه تلك القطعة من النسيج التي تغطي الوجه ، وهي تأخذ أسماء وأشكالا مختلفة حسب المنطقة والبلد، فمثلا غطاء الوجه الذي ترتديه النساء في المشرق العربي (شبه الجزيرة العربية ، مصر سوريا وفلسطين يسمى " البرقع" ، وهو غطاء تقليدي ظهر في عصر المماليك، وورد ذكر غطاء الوجه في وصف مصر الذي يعرفه

¹ الطوارق: يرى الدكتور حسن محمود أن اسم الطوارق مشتق من ترغة ، وهذي قبيلة من قبائل الملتمين في العصور الوسطى، كانت مضاربها في المنطقة الواقعة في وادي درعة في المغرب الأقصى ، فلما تفرق حلف المرابطين تفرقت في الصحراء بحثا عن وطن تأوي إليه ، كما أن دولة الزنوج في الجنوب قد توسعت نحو الشمال، وأخضعت هذه القبائل لسلطانها فهاجرت ترغة صوب الشرق، وظلت باقية حتى اليوم ، وقد عم الاسم حتى أصبح عاما على شعوب الملتمين كلهم، لأن القبائل في المغرب كانت تتداول السلطة والنفوذ، فقد سادت لمتونة وأسست دولة المرابطين فأصبح اسمها عاما على الملتمين، فلما سقطت الدولة وضعفت لمتونة ، وسادتها قبائل أخرى من الملتمين وخلفتها قبيلة ترغة، فأخضعت القبائل لسيادتها، وخلعت اسمها على الشعب كله فأصبح يعرف باسم الطوارق، ومن الممكن جمعها على " توارق و توارغ" ينظر: حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، القاهرة، 1958م، ص48.

بأنه : " غطاء يغطي الوجه بدءا من أعلى الأنف، وهو معلق من الجانبين بعمره الرأس في مكان تحت الجبهة إنها قطعة من الموسلين أو نسيج الكتان الأبيض الناعم ، عرضه عرض الوجه وهذا الغطاء لا غنى للمرأة عنه عندما تخرج من المنزل".

وفي الوقت الحالي نجد أن غطاء الرأس يختلف في البلدان العربية ففي المملكة العربية السعودية هو بشكل عام أسود اللون ومن القطن، و الحرير ومعلق بثلاث خرزات على الأنف من جهة وعلى أطراف عصابة الرأس العليا والسفلى من جهة ثانية يقف عند حدود الرقبة موفرا مكانا للعينين، وهو يزين عادة بتطريز معدني أو حجري. وفي بلاد المشرق العربي فهناك أشكال أخرى من أغطية الوجه ففي العراق هناك "البيشة" وهي غطاء أسود ترتديه النساء، وفي سوريا وفلسطين فنجد الطربية" وهي قطعة من النسيج الحريري الخفيف أو من القطن الشفاف.

أما في المغرب العربي فإن غطاء الوجه التقليدي هو " اللثام" وهو يغطي اسفل الوجه عند النساء المزوجات، وفي الجزائر يسمى النقاب" وبخصوص منطقة توات فيسمى " العجار" ajar وعادة يكون بألوان مختلفة أبيض أو أزرق أو أسود... ، وهو يوضع على الأنف بحيث يخفي كل أسفل الوجه، وهو خلاف " اللثام" لا يتخطى أبدا حدود أسفل الذقن.

(ج) – غطاء الرأس: تقع منطقة توات في وسط الصحراء الشاسعة، ولهذا تتأثر بعواملها المناخية كبقية المجتمعات المستوطنة في الصحراء في باقي دول العالم ، وتعد الحرارة أبرز المؤثرات، لذلك ابتكر سكان المنطقة لباس يقيه من أشعة الشمس الحارقة، ويعد الرأس أهم الأجزاء من الجسم تأثراً بها لهذا ابتكر له غطاء يقيه منها ويسمى اللباس الذي يخصص لهذه المهمة بالمنطقة بعدة تسميات هي :

(د) – العمامة: يسمى في المنطقة أحيانا بالشاش أو الحواق ، وهو عبارة عن قطعة قماش طويلة يصل طولها إلى خمسة متر أحيانا وعرضها إلى متر ونصف ، و هي مستطيلة الشكل، ويفضل التواتيين اللون الأبيض ، وذلك لأسباب مناخية فهذا اللون دور في رد أشعة الشمس الحارقة. ونجد لها في المناطق عناية كبيرة، فهذا يخصصون كل لون لطائفة، وكل حجم لمجموعة معينة، فمثلا في مصر كما ذكر أحمد أمين هي على عدة أنواع، منها البيضاء، والسوداء ، والخضراء، والحمراء، فالبيضاء هي اللباس العادي للمصريين، والخضراء للأشراف العلويين من نسل علي كرم الله وجهه، والسوداء لباس الأقباط، والصوفية السعديين، والحمراء لباس بعض الصوفية من الطريقة البيومية.¹

¹ محمد أمين، المصدر السابق، ص 281.

وبما أن المجتمع التواتي هو خليط من الأجناس المختلفة التي توافدت على المنطقة عرف المجتمع أنواع أخرى من اللباس حسب تقاليد المجتمعات الوافدة، وبخصوص غطاء الرأس اختص مجتمع الطوارق به حتى صار ميزة لهم تميزهم عن بقية أفراد المجتمع، وقد أثار هذا الغطاء على الدوام اهتمام المراقبين، حيث يسمي الطوارق أنفسهم بأصحاب الغطاء. keltaelmuoust.¹، إن هذا النوع من الأغطية التقليدية مؤلف من قطعة قطنية ذات لون " نيلي"، بين المتر ونصف المتر والسبعة أمتار طولاً، وبين النصف متر والمتر عرضاً، وهو مصنوع من لفة من النسيج المخاط قطعة واحدة، ويلبس على شكل عمامة لا تسمح برؤية سوى العينين²، حيث تغطي الرأس وتهبط إلى مستوى الأكتاف، وتقديرها وتسويتها وطريقة لها يخفي ويغطي الفم والذقن.

¹ بينول، المرجع السابق، ص 22.

² الأسطورة التي يرويها الطوارق عن توارثهم للثام تقول بأن رجال أكبر قبائلهم ارتحلوا بعيداً عن مضاربهم لغرض ما، فجاء العدو يطلب خيامهم التي لم يبق فيها غير النساء والأطفال وكبار السن، نصح عجوز حكيم النساء أن يرتدين ملابس الرجال ويتعممن وبأيديهن السلاح فيظن العدو أنه يواجه الرجال حقاً، ففعلن وقبل التحامهن مع العدو ظهر رجال القبيلة ووقع العدو بين رجالها ونسائها وانكسرت شوكته، ومنذ ذلك اليوم عهد الرجال على أنفسهم ألا يضعوا اللثام جانباً، والبعض يربط بين اللثام والخجل لطيب فضائل الطوارق، ولكن التفسير الأقرب إلى المحليين هو أن طبيعة المنطقة الصحراوية الرملية وما يمر بها من عواصف، إضافة إلى برد الشتاء القارس كل ذلك يتطلب وشاحاً يقي العين والجهاز التنفسي.

هـ) - الحرملة: وهي كساء صغير وواسع يحيط بالعنق ويغطي الرأس، ويكون متدلّيا على الكتفين تختص بلبسه المرأة، ويكون بألوان مختلفة¹، وتحرص المرأة التواتية على ارتدائه، ولا يمكن وجود امرأة مكشوفة الرأس في المنطقة، إذا يعد هذا الأمر خروج عن الدين وعادات المنطقة التواتية خاصة في القصور (القرى)، بعيدا عن وسط المدينة التي أضحت تعرف اختلاط كبيرا بين سكان المنطقة والأجانب الذي جلبوا معهم كثيرا من العادات الغريب على المجتمع المحلي، ومما يثير العجب بمنطقة توات هو الاختلاف الشديد بين الريف والمدينة. والحرملة أخذت أشكال عديدة، وألوان مختلفة، فمنها ما يستعمل في الصيف والخريف، ومنها ما يستعمل في الشتاء والربيع، وهذا يختلف حسب حجمها وكثافة المادة التي تصنع منها، والغاية التي تحققها.

و) - غطاء الجسد²: تستعمل المرأة التواتية عادة غطاء لجسدها ، تلبية لأمر الشرع في ستر العورة، ووقاية من البرد، وأشعة الشمس الحارقة من جهة أخرى، كما أنه أقل تكلفة مقارنة مع اللباس المفصل، وهو غطاء شامل لجميع الجسم، وملاحظة فإن هذه الثياب لا تختص به

¹ الجاحظ، المعجم الوسيط، مؤسسة ثقافية للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، تركيا، 1989م،

ج2، ص169.

² بسبب الحر الشديد في المنطقة يفضل السكان تغطية أجسادهم بالثياب المشمولة مثل: العباءة، والإزار، والدراعية... إلخ، أكثر من اللباس المفصل الضيق. فكانت بذلك العوامل المناخية من أبرز العناصر المؤثرة في لباس السكان، وهذا ما نجده عند سكان القطب المتجمد. حيث ساهمت البرودة الشديدة على مدى العام في التحكم في ذلك.

المرأة التواتية فقط وإنما تشترك في ذلك مختلف المجتمعات وعلى الخصوص المسلمة منها، وهذا النوع من الأغطية لم يكن مستعمل بشكل شامل ودائم خلال حقبة التاريخ المختلفة .

توجد عدة نماذج لأغطية الجسد منها ما يغطي كامل الجسد والرأس ، ومنها ما يغطي الجسد فقط، وتختلف النماذج أيضا حسب طريقة شمله حول الجسد، فلكل بلد ومنطقة طريقة في الشمل ، وغالبا ما تستدعي الهيئة المشمولة للغطاء استعمال قطع مصاغة لتثبيتها هي المشابك، فغطاء الجسد الأقدم والذي يظهر التقليد القديم للملابس المشمولة في منطقة توات والعالم العربي عموما هو :

— الإزار: هو تعبير كثير الاستعمال في اللغة العربية فنجد له ذكر في الشعر الجاهلي، كما في عدة أحاديث نبوية شريفة، كلباس أساسي للمرأة مهمته التغطية والحجب. ويكون طول وعرض عرض القماش المستخدم تبعا لحجم الجسم.

ومما لا شك فيه أن أقدم لباس للبدن والذي يظهر التقليد القديم للملابس المشمولة في العالم العربي هو الإزار، وهو يعني عند جماعة البربر في المغرب مجرد قطعة من النسيج الأزرق في الغالب.¹

¹ نصر الثريا، تاريخ أزياء الشعوب، القاهرة، 1998م، ص385.

وتوجد أسماء أخرى تطلق على الإزار منها " الحايك" وهو التسمية العامة لقطعة القماش الكبيرة التي يلبسها النساء على السواء-، ويمكن أن يكون من الصوف أو الحرير أو الكتان، ويختلف حسب فصل السنة والمرتبة الاجتماعية، وهو عادة أبيض اللون مربع أو مستطيل الشكل بطول ثلاث أمتار وعرض متر ونصف أو مترين وهو من الحرير الممزوج أكثر فأكثر بمنسوجات صناعية.

والإزار يعد اللباس الأساسي للمرأة بالمنطقة، فتلبسه خلال أيامها العادية، وخلال الحفلات الرسمية، فلا نكاد نجد امرأة تواتية لا تمتلك أربعة منه أو خمسة على الأقل. وارتداء الإزار بالنسبة للأنثى في المنطقة هو الذي يفرق بين البنت والمرأة، فهو خاص بالمرأة ، ولا ترتديه البنت التي لم تتزوج بعد .

(ز) – الحايك: هو ذو أصل عربي معروف في أغلب الأقطار العربية والإسلامية، يطلق عليه البربر إضافة إلى هذه التسمية اسم (اللحاف) بحيث كانت المرأة البربرية تلتحف بحايك يمسك بمساسيك، ويصنع من قماش ينسجونه بأنفسهن¹

هو عبارة عن قطعة قماش واحدة تلف به المرأة نفسها بطريقة متقنة، ويمكن أن يكون من الصوف لفصل الشتاء، أو من الحرير، وهو النوع المستعمل في الصيف، ويكون نوع النسيج على حسب مكانة

¹ صوفي فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص36.

الأفراد الاجتماعية، ويكون عادة مربعا أو مستطيل، وطوله وعرضه ما بين متر ونصف إلى مترين، ويكون عادة من الحرير، ويعرف هذا الأخير في مدينة تلمسان باسم " الكسا"، وقد ألزم على المرأة الجزائرية قبل خروجها أن تلتحف به، لأنه مدعاة للحشمة، ومجلبة للوقار والاحترام. وفي بعض النواحي الشرقية من الجزائرية ، تستعمل المرأة لباس يسمى "بالملاي" وهي عبارة عن غطاء كبير ذو لون أسود غامض، ونجد هذا النوع مثلا في: قسنطينة، عنابة، سطيف، أم البواقي...¹

ويستعمل الحايك في منطقة توات في المناسبات والاحتفالات، من طرف العجائز، وتلتف به العروس عند خروجها من بيتهم إلى بيت زوجها يوم الزفاف. ولهذا أصبح كرمز تاريخي، تلتف بها النساء تبركاً، وهن يفضلنا الإزار في باقي أيام السنة.

وتضيف المرأة قطعة أخرى لتكمل بها ستر نفسها تخصصها للوجه تسمى (العجار) ، وهناك عدة أنواع منه وهي: مرمة ، مرايا ، نيلون ، ترقال...

هو لباس تقليدي جزائري على العموم، شاع استعماله قديما خصوصا في القرن العشرين،

¹نفسه.

(ح) – الملف: هو نسيج كان يرد من بلاد الروم إلى المغرب والأندلس ، وكانت الجبة الملف المصنوعة من الجوخ من ثياب الطبقة الثرية.¹

(2) – ملابس الهيئة الخارجية المفصلة و المخاطة:

على خلاف الألبسة المشمولة فالألبسة المفصلة و المخاطة يقوم الخياط بتجهيزها، وهناك عدة نماذج لهذه الألبسة أهمها البرنس الجلابية العباية القفطان...

(أ) – البرنس " السلهام":

البرنس هو أحد ألبسة الهيئة الخارجية للرجال كما هو الإزار للمرأة، و تختص به منطقة المغرب العربي بامتياز إذ لا نجده في باقي البلدان العربية إلا نادراً. وترجع بعض المصادر أصل البرنس إلى أنه مستوحى من اللباس الروماني وذلك حسب تفصيله ، فتبنته الجماعات البربرية منذ ما قبل الفتح الإسلامي، وهو لا يزال يلبس حتى الآن في الاحتفالات الرسمية وغالبا ما يكون ارتدائه عند البعض لباس غربي الطابع.²

في منطقة توات يسمى البرنس ب" السلهام" ليدل على ذلك المعطف الدافئ الطويل الذي يحتوي على قلنسوة يمتد من الرأس إلى

¹ المقري ، نفح الطيب، دار الكتاب العربي، بيروت، دت، ج1،ص210.

² نفسه،ص24.

الرجلين ، ويستعمله الرجال عادة، وهو ثوب ثقيل من الصوف المضاعف مع رباط عريض مشغول بالإبرة يجمع ذيلي القماش على مستوى الصدر كما نلاحظ أحيانا شرايات من الصوف تزين البرانس، والسلهام دلالة ورمزية كبيرة في الاعتقاد التواتي، ولهذا تختلف ألوان السلهام حسب المناسبة ومكانة الشخص في المجتمع، فالسلهام ذو اللون الأبيض يرتديه الفقهاء والعلماء، والأسود يرتديه العريس يوم زفافه، والبني ترتديه العامة وهو اللون الكثير الشيوع في المنطقة.

(ج) - الجلابية: الجلابية يرتديها الرجال والنساء على السواء لكنها تختلف من حيث السمك وطبيعة القماش واللون، وتكون عادة من القطن غير المزين يهبط من الأكتاف حتى حدود القدم، وتتميز الجلابية بفتحة تكبر أو تصغر بشكل (V) تسمح بمرور الرأس منها مع أزرار على جانبها يمكن إقفالها وصولاً إلى الياقة، وتحتوي على قلنسوة، أما من ناحية اللون فيمكن للجلابية أن تكون مخططة أو ذات لون واحد.

(د) - العباءة : هي ثوب مؤلف من قطعتين طويلتين من النسيج ملتحمتين بخياطة أفقية واحدة مع بعض الخياطات الجانبية مكان الذراع، وهذا النوع من اللباس يبدو مثل دثار نشتمل داخله، وهي تختلف حسب الطبقة الاجتماعية فعباة الأغنياء مبطنة بالفراء، والفقراء مبطنة بالقطن¹، والعباءة عموماً هي تحمل ألوان مختلفة ويفضل الرجال اللون

¹ نفسه، ص210.

الأسود والأبيض، لطبيعة مناخ المنطقة، ويكثر استعمال الأبيض في المناسبات.

هـ)) - الجبة: هي عبارة عن ثوب فضفاض يصنع من قماش ذي ألوان مختلفة، وهي غالباً من الصوف¹، إن وجودها قديم جداً حيث أتى على ذكرها الأصفهاني في كتابه " الأغاني " كتوب للهيئة الداخلية من الصوف أو من أي قماش آخر، وفي سوريا ولبنان وشمالى فلسطين، فإن الجبة عبارة عن معطف واسع مفتوح من الأمام وله أكمام يسمى دراعة والجدير بالذكر أن كلمة jupe الفرنسية مأخوذة على ما يبدو من " الجبة " بواسطة الإسبان الذي يسمونها " El juppa "

ويرجع البعض أصلها إلى العراق لبستها المرأة في الفترة العباسية، وكانت شائعة ببغداد قبل أن تصل إلى الأندلس في العصور الوسطى لتصل إلى الجزائر².

وفي المغرب العربي وتحديداً في تونس تشكل الجبة العنصر الأساسي لملابس المرأة، أما في الجزائر فالجبة تسمى " غندورة " بين سكان الناحية

¹ كمال السيد أبو مصطفى، المرجع السابق، ص48.

² MARCAIZ,G , Lacostùme Musulman d Alger . collection du centenaire . 1830. 1930.p91 .

أما اسمها في منطقة توات هو الجبة وهي زي مستقيم طويل نسبيا وبدون أكمام وتثبت الجبة على الجسم إما بواسطة وشاح من الحرير ويسمى " فوطة" أو بواسطة مندبل من القطن يسمى " محرمة" ، وفي وسطها نجد مطاط كتاني " استيك" وتشد بمحزمة في الوسط كذلك.

(و) - القميص: قال عنه الجاحظ: " إن القميص، والسروال هما الشعار وسائر الثياب الدثار ¹ وهناك إشارة للدثار في القرآن الكريم في صورة المدثر، يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدْتَرُّ ۖ فَمَبَازِزٌ﴾ ².

إن معنى القميص واستعمالاته مغرقة في القدم ولم تتغير، فأبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني يستعمل كلمة " القميص" للدلالة على هذا النوع من اللباس الذي يرتديه الرجال والنساء على السواء، ووصف الجاحظ القميص والسروال بأنهما الشعار وسائر الثياب الدثار ³ ، ومن قول الجاحظ نستخلص مهمة ووظيفة القميص التي تتمثل في توفير الدفء، وتغطية الجسم، وبذلك هي الشعار وأن جميع الثياب التي تكون فوقها فهي الدثار لأنها تغطي الثياب التي تأتي تحتها. ولقد أظهرت المرأة التواتية براعتها كغيرها من نساء الجزائر في القميص، خاصة

¹ الدثار، وهو الثوب الذي يكون فوق الشعر ، والغطاء، ينظر الجاحظ، المصدر السابق، ص 271.

² سورة المدثر، الآية 01، 02.

³ الجاحظ، المصدر السابق، نفس الصفحة.

عند تطريزه حيث جعلت منه لباسا فخما واستعملت نوعين من القمصان الأول داخلي والثاني خارجي.¹

ولقد أبدت المرأة الجزائرية عموما مهارتها وبراعتها في القميص خاصة عند التطريز، حيث جعلت منه لباسا فخما، واستعملت نوعين من القمصان : الأول داخلي والثاني خارجي، ويتميز هذا الأخير بأنه أكثر شيوعا عند كل النساء الجزائريات، فقد اهتمت به المرأة اهتماما كبيرا، وجعلته اللباس الأول بين ثيابها.

وتميزت بالقميص أيضا المرأة الترقية بمنطقة توات، وهو ذو أطراف طويلة عادة ما يستعمل مع سروال من نفس النسيج أو من كتان خفيف أحيانا، ويعرف هذا اللباس باسم البازان.

وهذه الأنواع من الثياب التي تستعمل في يومنا ليست جديدة وإنما هي تعود لعهود قديمة فكثيرا منها ذكرها الونشريسي في كتابه المعيار فذكر أن من ملابس الرجال مثلا: الجبة ، الملف، والدراعة والسروال والغفارة والمحشو، كما أن هناك بعض الثياب الدخيلة ومن ذلك ثوب رومي كان يلبس في الشتاء ليقى من البرد يسمى (الدرندين) ويصفه

¹ Haedo. Fdk. Topographie et histoire generale d'alger. In revue RE Africaine. Alger.1871.

الونشريسي بأنه لباس مقتصد لا إسراف فيه، ينتفع به للوقاية من البرد القارص.¹

(ز) – القندورة: هي من اللباس المشتمل ، يرتديها الرجال بكثرة في الصحراء، تمتاز بخفتها، واتساع أكمامها، يكثر استعمالها في فصل الصيف، تصنع من الكتان، وهي عريضة ذات أكمام واسعة مفتوحة عند الرقبة.

(ح) – السروال: تضاربت الآراء حول أصل السروال² فالبعض اعتبره زيا خاصا بحوض البحر المتوسط، والبعض الآخر اعتبره زي فارسي دخل إلى المنطقة العربية أثناء الخلافة العباسية، لكن مهما اختلفت الآراء حول السروال أو الشروال فله خصوصياته التي ينفرد بها، بين عناصر اللباس التقليدي، ولأهميته بينها باعتباره العنصر الأساسي لستر عورة الرجل والمرأة كان أول الأجزاء التي اهتم بها الرجل والمرأة، وعرف خلال الحقب والأزمنة التي عاش فيها الإنسان مجموعة من التغيرات، من حيث المادة المستعملة، والزخارف التي يحملها، والغاية التي يحققها، فالسروال الذي يلبس في البيت يختلف عن الذي يلبس في الشارع، وهذا يختلف عن الذي يلبس في المحافل والاحتفالات.

¹ كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص47.

² السروال: هذه الكلمة مشتقة من الكلمة الفارسية شلوار كانت مستعملة منذ العهود الإسلامية . ينظر جودي محمد حسين، تاريخ الأزياء الحديث، (د.م.ن) 1977، ج2، ص05.

ولقد كان لدخول الأندلسيين لبلاد المغرب أثر كبير في دخول الكثير من الإنتاج الفكري والفني للبلاد، فلقد عرفت الأندلس نهضة كبيرة في كل الميادين الاجتماعية والفكرية، حتى كانت قبلة للعلم، وبهجة الحياة، فكانت البلاد قبلة للرحالة، وغيرهم، فإذا كانوا هم يحجون لبلاد المشرق لزيارة الأماكن المقدسة، وتأدية فريضة الحج، فإن المشاركة يرحلون إليها طلباً للحظوة والجاه، وهكذا انتشر في المشرق بتصوف ابن عربي ومؤلفات ابن عبد ربه، وابن رشد، وابن طفيل، والإمام بن حزم، وانتشر في الأندلس أدب القالي، ومبتكرات زرياب، وخير ما نستدل به على النهضة الفكرية، نقتبسه من شعر ابن زيدون¹ قوله حزنا على فراقه للأندلس:

أضحى التناهي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

من مبلغ الملبسينا بانترا حهموا حزنا مع الدهر لا يبلى ويبلينا

¹ ابن زيدون: (461 - 394)هـ، (1003 - 1068م). أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن زيدون المخزومي. من أعلام الشعراء الكتاب الأندلسيين. ولد بقرطبة بالأندلس، نسبه عربي صريح؛ ينتمي إلى قبيلة مخزوم العربية التي كانت من طلائع القبائل الراحلة إلى الأندلس. وهو شاعر الأندلس وأديبها دون منازع. فقد ترك بصماته على التاريخ الأدبي والسياسي للأندلس. وهو سليل أسرة عريقة وبيت علم وأدب، فقد عُني والده بتأديبه، وإعداده لمستقبل حافل. وكان لهذه النشأة في قرطبة الأثر الفعال في تكوين شخصيته العلمية والسياسية. ولم تكن قرطبة مسرح لهو وطرب فحسب، ولكنها كانت منتدى للعلم والأدب. فحصل ابن زيدون على ثقافة واسعة أهلته لأن يكون علماً من أعلامها الأدبية. ينظر الموسوعة العربية الميسرة، المرجع السابق، مادة ابن زيدون.

إن الزمان الذي مازال يضحكنا أنسًا بقربهموا قد عاد يبكيانا

وأمام هذا الثراء الفكري والعلمي عرفت البلاد حالة من العشق الفريد من نوعه، حتى تغنى الشعراء بذلك، ومن ذلك قول أحد الشعراء:

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب¹

فكان المجتمع الأندلس يعرف الكثير من التناقضات، وهذا ما أثر عليه وجعله يأخذ من كل بستان زهرة، ولكل طالبا فيه حاجة يجدها.

وكانت الجالية الأندلسية التي حلت ببلاد المغرب عموما، وغيره من المناطق قد نقلت معها الكثير من ثقافتها لتلك البلدان، لكنها مع ذلك كانت تحافظ على نوع من الخصوصية التي تميزها عن المجتمع الذي تحل فيه²، ومن بين تلك الخصوصيات مثلا اهتمامهم الكبير بشكلهم وأناقتهم حتى قال فيهم لسان الدين بن الخطيب: " كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة، تحت الأهوية المعتدلة"³

¹ محمد سعد الدغلي، الحياة الاجتماعية في الأندلس، دار أسامة، 1984م، ص45.

² محمد الطالبي، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة الأصالة العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1975م، ص78.

³ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد بن عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984م، ج1، ص35.

ومن ذلك اشتهارهم بمجموعة من الألبسة التي اشتركوا في البعض منها مع سكان بلاد المغرب، ومن ذلك الملف¹، والجلابة².

وبعد هذه الوقفة القليلة مع الحضارة الأندلسية التي تشد الباحث رغما عنه، وإن كان ذلك لم يعطها حقها نعود للحديث عن السروال، تشيير بعض المصادر إلى أن البعض منه دخل مع الأندلسيين النازحين إلى الجزائر خاصة ذلك القصير المنتفخ، والذي يصل إلى الركبتين، ثم دخل النوع التركي بعد توافدهم ، وهو طويل وعريض يصل إلى عقب القدمين.

ولطبيعة المنطقة التواتية الصحراوية التي يغلب على مناخها الحرارة الشديدة خلال أغلب أيام السنة، يرتدي الرجل والمرأة في الغالب سروال عريض يطلق عليه " سروال العرب" ، وهناك سراويل عديدة في المنطقة ، تصنع عادة من الكتان في الغالب منها:

(ط) – سروال التكة: وهو سروال عريض منتفخ في الوسط، ويسمى أحيانا سروال العرب، لأنه من خصائصهم في اللباس تمييزاً لهم عن

¹ الملف: هو قطعة من القماش تلف حول نصف الجسد الأعلى، وي طرح طرف منها على الكتف، وهي ملونة وتختلف ألوانها بحسب الثروة، والمكانة. ينظر مريم بوعامر، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري (ق 07هـ / 09هـ)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان، 2010/2009م، ص 131.

² حسين مؤنس، غرناطة تحفة من تحف الفن وعجيبية من عجائب التاريخ، مجلة العربي، العدد 89، الكويت، ص 70.

الإفرنج، وضيق عند القدم، يشد بخيط، أو حزام، ترتديه المرأة والرجل، لكن لكل جنس خصائص تميزه عن الثاني.

(ك) – المحرمة: هي قطعة من القماش مستطيلة الشكل ذات ألوان مختلفة تغطي به المرأة رأسها، وله أسماء عديدة في المنطقة ومن ذلك الحجاب، الخمار.

(ل) – العجار: هو من غطاء الوجه ، وهو عبارة عن قطعة من النسيج تغطي الوجه ، وهي تأخذ أسماء وأشكالاً مختلفة حسب المنطقة والبلد، وفي منطقة توات يسمى " العجار"، ويسمى البرقع في شبه الجزيرة العربية، مصر، سوريا، فلسطين، وأغلب القوال أنه ظهر في عصر المماليك.¹

وهو غطاء يغطي الوجه بدءاً من أعلى الأنف، وهو معلق من الجانبين بعمره الرأس في مكان تحت الجبهة، وتكون غالباً مصنوعة من الكتان الأبيض الناعم عرضه عرض الوجه، وينزل إلى تحت الذقن، وأحيانا يصل إلى تحت الركبة خاصة في بلاد المشرق العربي.

وهو في المملكة العربية السعودية ذو شكل أسود اللون، ومن القطن والحريز، ومعلق بثلاث خرزات على الأنف من جهة، وعلى عصابة الرأس العليا والسفلى، من جهة ثانية، وهو أقصر من السابق حيث يقف

¹ بينول، المرجع السابق، ص21.

عند حدود الرقبة موفراً مكاناً للعينيّين، وهذا النموذج من غطاء الرأس يزين عادة بتطريز معدني أو حجري، ولكن هذا الغطاء يتخلى شيئاً فشيئاً عن التعقيد ويتجه مع الوقت نحو البساطة، وهذا النوع يستعمل بالمنطقة لبساطته، وسهولة خياطته.

(م) - الشاشية: هي زينة رأس منتشرة بكثرة في المشرق ، وهي موروثية ومعدلة على شكل التاج التقليدي، والذائع الصيت ، وهي من اللباد الأحمر المركب على طاقية من الصوف تسمى "القبوس" وقد أخذت شكلها ولونها النهائيين بعد إخضاعها لعدة عمليات مختلفة ومركبة، ويوجد نوعان من الشاشية.

شاشية أسطوانية قاسية وهي منتشرة في مصر، وبعض دول المشرق وتسمى " طرطور " أو " طربوش".

شاشية مشبوكة أقل ارتفاعاً من " الطربوش " كانت تقوم بإعدادها منذ قرون جماعة حرفية في تونس.

ويستورد المجتمع التواتي هذه الأنواع ويستعملونها بكثرة.

كما يلبس التواتي الطاقية وهي العنصر الأساسي الذي تركز عليه كل أشكال زينة الرأس، وهي تسمى أيضاً " عرقية " ، وهي على الغالب عبارة عن قلنسوة صغيرة من القطن مطرزة في أغلب الأحيان يضعها

الرجل، وفي بعض الأحيان المرأة ، وهي شائعة الاستعمال بكثرة في أغلب بلدان المشرق الإسلامي.

(ن) – القفطان: وهو من لباس الهيئة الخارجية، الذي يستعمل في المناسبات الخاصة، كالأحتفالات ، وعن أصله فهو يعود للعنصر التركي، وبالتحديد إلى القرن 16م حين سيطرت الدولة العثمانية على العالم العربي، وهو ما ساهم في انتشار الثقافة العثمانية، من لباس وأعراف وتقاليد، والقفطان يرتديه الرجل والمرأة على السواء، وهو مخصص أساسا للأحتفالات، حيث أخذ بالمفهوم المغربي شكل الزي الطويل المفتوح من الأمام، والمزين بمجموعة من الأزرار والشرائط، وكثر استعماله خلال الفترة العثمانية، وكان من الشرف والافتخار أن يُحصل عليه، وقد تباغت "عزيزة عثمانة" الميرة المشهورة لأسرة "الباي" في تونس ، وكانت من لباس المرأة في المغرب، ولقد أشارت نوازل الونشريسي له، مع الكتان التي تلبس في الشتاء للوقاية من البرد.¹

(ص) – الحزام: هو عبارة عن قطعة قماش مستطيلة طويلة تلف بها المرأة والرجل وسطهما، وله فوائد عديدة، ومن ذلك تشد به المرأة العباءة والثياب المشمولة، كما يشد من إزر الرجل في العمل.

¹ كمال السيد أبو مصطفى ، المرجع السابق، ص 48.

المادة المستعملة في صناعة الثياب قديما لا تزال تستعمل مثل الكتان والقطيفة والقطن، ومن ثياب النساء الملحفة التي تلبس في الشتاء للوقاية من البرد، كما كان يلبس في أقدامهن الجوارب والأخفاف، وشاعت لدى نساء بلاد المغرب عامة لبس النعال أو الخفاف الصرارة التي تحدث صوتا أثناء المشي، وكان هذا مما يجذب انتباه الرجال اليهن ، ولعل هذا ما جعل كثير من العلماء يستتكرون عليهم ذلك ويعدونهم من التبرج والتعدي على حدود الله، ومن علماء المنطقة الشيخ المختار الكنتي الذي ألف رسالة في زينة النساء نهى فيها عن التبرج والمخالطة بين الرجال والنساء ، وهذا ما ذهب إليه كذلك يحيى بن عمر (محتسب القيروان) إلى القول بأنه يجب نهى الخزازين عن عمل الخفاف الصرارة، ومنع النساء من لبسها.¹

(3) الحلّي التقليدي:

الحلي هو ما ننتزين به من مصوغ المعدنيات أو الحجارة ... والجمع حلّيٌّ، والحلية: كالحلي، والجمع حلّي حلّي. قال الليث: الحلّي كل حلية حلّيت بها المرأة، أو سيفا ونحوه، والجمع حلّيٌّ...، وأضاف الجوهري: الحلّي حلّي المرأة وجمعه حلّيٌّ... وحلّيت المرأة أحليها حلّيا، وحلوتها

¹ نفسه.

إذا جعلت لها حليا ... هو اسم لكل ما تُزِينَ به من مصاغ الذهب والفضة¹

إن تعامل الإنسان عبر العصور مع المعادن الخالصة جعله يكتشف جل خصائصها ، وباكتشافه لذلك تعامل بشكل أكثر احترافية ، فاستطاع التحكم في درجة صفائها ومقاومتها، ومن بين التطورات التي حدثت في مجال التعدين وخصوصا في جانبه الخاص بالمعادن الثمينة الموجهة أساسا لصناعة الحلي، هو عدم الاقتصار على المعادن المتحصل عليها من الأجرام، والخامات التي كان يجدها على سطح الأرض، وهذا لأنها لم تكن كافية لسد حاجياته المتزايدة، وإنما على البحث على مصادر أخرى كالمناجم مثلا، فكان التنقيب عن المعادن إحدى تلك الحلول التي اهتدى إليها.

بعد حصول الإنسان على الذهب من المناجم كان بحاجة إلى محاولة لتصفيته وتنقيته من الشوائب، فاستخدم الرصاص لإزالة الشوائب، ولم يكن ذلك إلا في فترة متأخرة إذا كان الذهب الموجود في الأودية خالصا وصافيا، وبالتالي قابل للتشكيل، ولينا جدا ، فإن الذهب المستخرج من المناجم يحتوي على شوائب كثيرة يكمن التطور في تنقيته وتصفيته، وهي تقنية لم ينتشر استعمالها إلا مع الألفية الأولى قبل الميلاد.

¹ ابن منظور، المصدر السابق، ج2، 985.

من طبيعة الفرد التواتي التواضع ، والاكتفاء بضروريات الحياة في
المأكل والملبس، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يأخذ بحظه من هذه الدنيا
فيتزين بزینتها، ویأكل من طیباتها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا
ءَاتَيْكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ
1. ﴿﴾

ویظهر هذا الامتثال في لباسه، وحلیه التي یتریز بها في أفراحه
خاصة العرس ، فنجد المرأة تتزين بحلي خاصة والمرأة كذلك.

وتصنع هذه الأدوات في الغالب محليا، ب مواد محلية أو مستوردة من
المناطق المجاورة ، وتزين هذه الحلي بزخارف مستوحاة من البيئة
المحلية، وسنحاول في هذا العنصر الذي خصصناه للحلي التقليدية
بالمناطق التعريف على أهم الحلي التي یتریز بها الفرد التواتي في العادة
، والمواد التي تصنع منها، وأهم المناسبات التي تظهر فيها، والمواضع
التي توضع عليها.

(أ) – المواد الأولية:

¹ سورة القصص، الآية 77.

1- الذهب: بكل تأكيد يأتي الذهب على رأس كل المعادن المستعملة ، وأغلب الذهب المستعمل قديماً في المنطقة¹ أو بلاد المغرب العربي كان يأتي من منطقة السودان الغربي²، فتحدثت مختلف المصادر عن غنى هذه المنطقة بالذهب، وكان ذلك في فترة متقدمة، أما اليوم فالذهب الذي يستعمله الصاغة في البلاد العربية، ومنطقة توات يحصلون عليه كما في الغرب من خلال دورة الإنتاج والتسويق الدوليين ، في القديم كان الذهب المستعمل لا يتجاوز مقداره عيار 9قراريط، ولكن المنافسة في السوق العالمية رفعت هذا العيار إلى 18 قيراطاً³

¹ استورد سكان المنطقة في القديم الذهب من منطقة السودان الغربي، حيث كانوا يقايضونه مع الذهب، واشتهرت بذلك مالي، وما يؤكد هذا مثلاً أنه حين قدم أحد ملوك مالي وهو كنان موسى على الحج، وعند زيارته لمصر خلال القرن 14م/08هـ فأقام له السلطان الغوري احتفالاً على شرفه، وأمره بالسجود فرد عليه قائلاً "إننا مالكو الذهب، ولا نسجد لغير الله لأننا مسلمون". ينظر عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء دراسات ونصوص، م.و، ك، ج2، ص39.

² السودان الغربي: تطلق كلمة السودان على الأقاليم التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى فسمو بلادهم ببلاد السودان ، يحدها من الشمال الصحراء الإفريقية وجنوباً درجة 10درجة شمال خط الاستواء ، والمحيط الأطلسي غرباً ، وينقسم إلى السودان شرقي وسودان غربي ، هذا الأخير يطلق على إفريقيا الغربية التي تقع إلى الجنوب ، يحدها شرقاً بحيرة التشاد ، غرباً المحيط الأطلسي، وجنوباً خليج غينيا. ينظر يحي بو عزيز ، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية -16-20م ،دار هومة ،الجزائر، د.ت، ص 09.

³ بينول، المرجع السابق، ص 40.

وسكان المدن هم أكثر استعمالاً لذهب قياساً مع أهل الأرياف، والبدو نادراً ما يستعملونه بسبب تكاليفه الباهظة.

2- الفضة: تعد هي المعدن الثاني من خلال الأهمية، وتستعمل كذلك في صناعة الحلبي، ويتم الحصول عليها في منطقة توات أو الكثير من بلاد المغرب العربي بواسطة إعادة صهر حلبي قديمة، حيث يستخدم لذلك كثير من القطع النقدية المذابة أو المتروكة كما هي، والتي كانت تعالج بطرق تقنية تقليدية، ففي بلاد المغرب العربي مثلاً، فإن القطع النقدية الأكثر انتشاراً هي الفرنك الفرنسي: و"الدورو" الإسباني (نقد إسباني قديم) الذي أصبح نادر الوجود والسائر نحو الزوال كما يستعملون قطع نقدية من أصول مختلفة آتية من أوروبا والأرجنتين.

كما هو الحال في باقي مناطق العالم الإسلامي، ففي بلاد المملكة العربية السعودية، فإن القطعة النقدية الفضية الأكثر استعمالاً هي "تالر" ماري تيريز العائد لإمبراطورية النمسا التي حكمت ما بين العامين (1740 – 1780م) وقد انتشر هذا التالر النمساوي كتجارة مزدهرة في كل بلاد الشرق الأوسط لاحتوائه مقدار مرتفعاً من الفضة كما نجده أيضاً وبشكل قليل في كل مكان في بلاد المغرب العربي.¹

3 – النحاس: إذا كان الذهب والفضة هما الأكثر استعمالاً لصياغة الحلبي، فإن النحاس يأتي بعدهما حيث يستعمله " الطوارق" في المنطقة

¹ نفسه، ص41.

لصنع الحلقات التي يعتقدون بأنها قادرة على شفاء الروماتيزم، ويتحصل عليه من قطع أدوات مختلفة (حلقات البنادق، حبال كهربائية..). لصياغة الحلي والزينة التي ترتديها النساء، ويتم طلاؤها أحيانا بماء الذهب أو الفضة.

4- الأحجار:

الأحجار الكريمة والنصف الكريمة استعملت في العالم العربي في كل العصور تقريبا، ففي العصر العباسي كان "الماس" المنقول من سيلان هو الحجر الكريم الأكثر قيمة حيث كان يسمى " سيد الأحجار" في حين أن الياقوت الأحمر والزمرد والسفير (ياقوت أزرق) كانت كثيرة الاستعمال في بلاط الخلفاء، ومن قبل طبقة الأغنياء ، وهذا الصنف منعدم بمنطقة توات بسبب غلاء ثمنه وعدم توفره، أما الأحجار التي كانت ترصع بها الحلي كانت من الأحجار نصف الكريمة.

(ب) - **الأحجار نصف الكريمة:** هذا الصنف كثير الاستعمال في العالم العربي ومنطقة توات، أولها الفيروز الذي كان يركب دون صقل على الأساور والخواتم، وكذلك العقيق الذي يأخذ ألوانا مختلفة حسب نوع الرمل الصواني الذي يتكون منه ، والمترسب على شكل طبقات متتابعة ، وتقليديا كان العقيق يستخرج من اليمن، وهو حجر قليل الكلفة سهل الصنع يستعمل لتزيين حلي عديدة وأشهره " العقيق الأحمر" الذي يمكن أن يكون ذا لون غسقي (مثل لون الغسق) وهو نصف شفاف،

وهناك أصنافا عديدة من الأحجار النصف كريمة مثل: البجادي الأحمر ، حجر الطلق (حجر الصابون) ...¹

– **بيض النعام:** كان بيض النعام يتخذ من محه أحد العناصر الهامة في تركيب الأدوية كما كان يوضع فوق المناضد، أو يعلق على حيطان القاعات للزينة، ولذا كان التجار يجلبونه للمنطقة من بلاد السودان الغربي ، وأثمانه باهضة²

– **الصدف: Lescoris**

قوقعيات صغيرة بطول سنتمتر واحد أو اثنين، وغالبا ما تكون بيضاء اللون، حيث يزين الشعر بها، أو تصنع منها العقود.

4) – **بعض الحلي التقليدية بمنطقة توات:**

1) – **الأقراط:** يمكن أن تكون هذه الحلي التي تعلق على الأذن مجرد أقراط بسيطة من الذهب أو الفضة المحلات بزخارف تزيينية، أو يمكن أن تكون حلقات مفتوحة كبيرة الحجم معلق عليها مناجد. وهي تصنع أحيانا من الفضة، أو من الذهب.

¹ نفسه، ص42.

² بن عبد الله نور الدين، الحلي التقليدية لطوارق الهقار، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2000 – 2001م، ص43.

ب) — **العقد:** أقيمت المرأة على استخدام العقد لتزين به رقبتها، وعرفت منذ القدم¹ في العصر العباسي كان العقد يصنع من الأحجار الكريمة مثل الألماس، الصفير، والزبرجد، وقد أظهرت التقاليد تنوعا لا ينتهي من أشكال العقود التي تلبس حول العنق مباشرة أو تنزل على الصدر لتغطي كامل النصف الأعلى من الجسد، والمثل الأعلى لهذه الصدرية يسمى (اللبة) وهي مؤلفة من عدة صفوف متتالية من لآليء الذهب، وبمنطقة توات تسمى القلادة (المخنقة²)، وتصنع من العقيق أو الفضة، ذات ألوان مختلفة، ولها سلاسل في شكل مشط أو يد منمنمة ومركبة من سبع أسطوانات مركزها بياقوتة حمراء.

ج) — **الأساور:** تؤلف الأساور مع العقود الحلية الأكثر انتشارا، والقدم استعمالا عند المرأة في البلاد العربية، وخلافا للعقود فإن الأساور هي صنعة الحرفيين بامتياز، وطريقة صياغتها وتزينها متنوع جدا، فهناك الأساور المنقوشة والمبرومة (المفتولة) والمفرغة (المخرمة)، والمرصعة بالأحجار الكريمة، أو النصف كريمة، أو المحلزنة) على شكل حلزون، وهي لا تلبس لوحدها، وفي مناسبات الأعياد فإن عدد الأساور التي تلبسها المرأة يمكن أن تصل إلى أربعة أو سبعة.

¹ نصر ثريا، المرجع السابق، ص 387.

² هذه التسمية مشتقة من المكان الذي تعلق عليه القلادة وهو مكان الذي يخنق منه الإنسان في الرقبة.

د) - الخواتم: إن لبس الخواتم قديم جداً، والنموذج الأكثر قديم جداً، والنموذج الأكثر تداولاً للخواتم هو تلك الحلقة البسيطة التي تعلوها زخرفة مطلية بالمينا¹، وقد ترسّع الخواتم بأحجار نصف كريمة (فيروز، عقيق أحمر)، ويسمى الخاتم الذي يوضع في السبابة في بعض المناطق بالسبابة (الشاهد) لأن هذا الأصبع يرفع إلى الأمام عند تلقين الشهادة.

ولشدة اهتمام الرجل العربي بالخاتم شكله على عدة أنواع ومن ذلك:

هـ) - المجنيد: يشير اسم هذا الخاتم إلى أنه قد قطعة على شكل زهرة قبل أن تتفتح، ويقال أنه كان للخيزران² خاتم بهذا الشكل من الياقوت الأحمر.

¹ المينا: هي مادة ناتجة عن تقنية تقوم على مزيج الرصاص ، والنحاس والفضة، وتسمى أحياناً المينا السوداء.

² الخيزران: (توفيت - 173هـ، - 789م). زوجة الخليفة العباسي المهدي، وأم ابنه الهادي وهارون الرشيد. يمانية الأصل، من جوارى المهدي، فأعتقها وتزوجها. أخذت الفقه عن الإمام الأوزاعي، وعُدّت من المتفقهات. ولما مات زوجها المهدي، وولي ابنها الهادي انفردت بكبار الأمور، وأخذت المواكب تغدو وتروح إلى بابها، وحاول الخليفة الهادي منعها، غيرة عليها، حتى قال لها: إذا وقف ببابك أمير ضربت عنقه، وسعى الهادي في عزل أخيه هارون الرشيد عن ولاية العهد، وقيل إنها علمت بعزمه على قتل الرشيد، فقامت بدور كبير في منعه من ذلك، وتطورت الأمور وولي الرشيد الخلافة بعد أخيه. كانت الخيزران بارّة محسنة، وأنفقت أموالاً كثيرة في أبواب البر والإحسان، وتوفيت ببغداد. ينظر الموسوعة العربية الميسرة، المرجع السابق. مادة الأوزاعي.

(و) – المنقار: لعل اسم هذا الخاتم مأخوذ من المنقار لشبه بينهما من حيث تدبب وانحناء شكله، وكان للمتوكل خاتم فيه فص من هذا النوع.

(ز) – الجبل: لعل هذا الخاتم سمي بهذا الاسم لكبره، أو لتقبيه مع ضخامة غير معهودة في فصوص الخواتيم، وكان لدى الرشيد فص من هذا النوع.

ولقد اهتم الخلفاء والحكام بالخواتيم، حتى أن الخليفة المأمون كان له صندوق أودعه خواتم الخلفاء جميعا من العباسيين والأمويين والخلفاء الراشدين، ومن كان يقوم بدعوة الخوارج بعدهم، فكان جامعا لجميع خواتمهم إلا خاتم النبي صلى الله عليه وسلم الذي ضاع من عثمان في بئر أريس¹

(ح) – الخلاخل: Les Chevillières

هي حلي استعملت منذ أزمنة قديمة جدا وأصبحت الآن نادرة الاستعمال إن لم يكن قد تلاشى استعمالها، ويشير الشعر الجاهلي إلى الرنين الجميل للخلاخل أثناء المشي، وها هو عمر بن كلثوم يقول:

وساريتي بلنطٍ أو رخامٍ يرنُ خشخاش حليهما رنيناً²

¹ حنان قرقوتي، المرجع السابق، ص160.

² بينول، المرجع السابق، ص84.

وبالتالي فإن الخلال تشكل بامتياز نموذج الحلية الطنيانة والرنانة، وتأثيرها الصوتي هو في الغالب ناتج عن تعليق كرات وأنواط (جواهر مدلات) ، وتمائم داخل الحلقة الرئيسية للخلخال.

والخلخال الفضي المحيط بعرقوب القدم على ارتفاع عدة سنتمترات، والمنقوش والمزين بالحجار والمرجان الخام يوجد في مناطق محدودة، ونحن في الجزائر مثلا نجد الخلال المقلوب أو المحلزن بالذهب والمزين على طرفيه برأسي أفعة، فنجده في الجزائر، حيث يشكل جزءاً لا يتجزأ من اللباس التقليدي للعروس، ونجده على الخصوص في باتنة، وعند القبائل، حيث يشكل جزءاً لا يتجزأ من مكملات الأزياء التقليدية.¹

وهو كذلك بمنطقة توات ذو أهمية في اللباس التقليدي للمرأة تضعه المرأة في قدمها، وتنزين به في أعراسها، ويصنع عادة من الفضة.

ط) — المشبك: La fibule

يستعمل المشبك لربط الثوب المشمول وشده، وهو يمكن أن يكون قطعة واحدة ، أو قطعتين موصولتين بسلسلة، والمشبك الرئيسي المستعمل في العالم العربي هو مشبك إفريقيا الشمالية المعروفة تحت اسم بزيمة، وهو مكون من عنصرين:

¹ صوفي فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص30.

دائرة مفتوحة جزئياً، ودبوس كبير، وتزيين هذه المشابك يتم باستعمال المرجان الخام، وكرة الفضة، والميناء.

(ك) – **مشرفة:** هي عبارة عن أقراط مسننة الشكل تزن 70 غ، وإذا قل وزنه عن ذلك سمي "خرص" ذات زخرفة رمزية مصنوعة من الذهب، أو الفضة، ومرصعة باللؤلؤ.

(ل) – **الدلالة:** هي قبعة تضعها العروس على رأسها يوم العرس.

(م) – **الشركة:** تصنع من الذهب أو النحاس تعلقه المرأة على رقبتها، وهناك نوع آخر يسمى المخنقة، وهي مصنوعة من الذهب أو الفضة، أو العقيق العادي.¹

5) – المساحيق ومواد التجميل: يتم التجميل بواسطة مساحيق رئيسية: الكحل، والحنة، ويتم ذلك كما يلي:

(ا) – **الكحل:** مسحوق تجميلي للعيون، وبنفس الوقت له قيمة علاجية، وهو يستعمل في البلاد العربية منذ زمن طويل، والإثمد أو بودرة الكحل تتميز بشكلها اللامع، وتباع بكثرة في أسواق اليمن، والمملكة العربية السعودية، ويستعمله جميع أطراف المجتمع الرجال والنساء، وفي بعض المناطق هناك كحل خاص للاحتفالات، ويتم تحضيره بمزج الإثمد

¹ على بومدين، المرجع السابق، ص 67.

والدخان، واللوز المشوي والفول، والحامض والمرجان، وتسحق جميعها وتطبخ بماء الورد.

والكل بمنطقة توات يتم استعمالها بكثرة لفاعليتها في حفظ العين، ووقايتها من الإصابة بالعمى خصوصا وأن المنطقة يكثر بها الزوابع الرملية التي تؤثر على عين الإنسان، وتستعمل في المناسبات والأيام العادية، ويشرف على تحضيرها العجائز لأن هذه المادة حساسة في الاستعمال ليست كبقية المواد الأخرى.

(ب) - الحنة: هي من أهم المواد المستعملة في التزيين في المنطقة وغيرها من البلاد العربية، يستعملها النساء في تلوين أظافرهن ، وأطراف أصابعهن ، وأجزاء من أقدامهن ، وهي تستخدم في صباغة لحي الرجال ، وتستعملها النساء في تزيين العروس ، والصبيان أثناء الختان، كما تستخدم في تلوين الصوف والحريز، وجلود الحيوانات، واستخدام الحنة لا يقتصر على المجتمع التواتي فقط بل يشترك فيه العديد من المجتمعات العربية كسورية مثلاً: حيثما كان يخطب أحدهم إحدى الفتيات ... كان يعقب ذلك ليلة تدعى ليلة الحناء حيث يقوم نفر من أهل العريس وأقاربه بتوزيع مقدار معين من الحناء على كل بيت فيه شاب وشابة، وكان يتم ذلك قبيل وقت الغروب بقليل، وبعد أن يرخي الظلام سدوله يجتمع الشبان في بيت العريس حيث يعقدون حلقة الدبكة لوقت غير طويل على أضواء الفوانيس وغيرها، ومن ثم يبادرون إلى

الغرفة التي وضع فيها جهاز العروس حيث يقومون بوضع الحناء على يد العريس وسط أغاني خاصة.¹

– مواد أخرى: يستعمل سكان توات لغرض التزيين والتخلص من الروائح الكريهة مجموعة من المواد الأخرى منها:

(ج) – الشب (L'alun) : إن حجر الشب ليس له أي قيمة جمالية ، ويستعمل لأغراض عديدة مثل إزالة الرائحة الكريهة من الإبطين.

(د) – العنبر (الكهرمان) Lambre :ونقصد به هنا العنبر الأصفر، والذي يسمى أيضا " سيال الأصفر " فهو مادة صمغية متحجرة صفراء اللون شفافة ومضيئة، تتواجد في طبقات الصلصال خصوصا في منطقة البلطيق، ويصنع منها في المشرق والمغرب العربيين عقودا للزينة.

وفي آخر هذا المبحث نصل إلى أن هذه المواد منها ما هو متوفر في المنطقة، ومنها ما هو مستورد من المناطق المجاورة سواء الشمال أو الجنوب، خاصة بلاد السودان الغربي، وهي تتميز بانخفاض أسعارها، وشدة تأثيرها، وهذا ما يجعلها أكثر تداولاً في مناسبات سكان المنطقة تتزين بها النساء والرجال والصبية.

¹ الطيب بن هاشم، العادات والتقاليد في ولاية تلمسان وعلاقتها بالشريعة الإسلامية، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان، 2001/2002م، ص 28.

ولقد ارتبط اللباس التقليدي بمنطقة توات بالعديد من القيود البيئية، والدينية والاجتماعية التي تحكمت فيه، وصاغته في أشكال عديدة جاءت في أغلبها مشابهة للباس في المجتمعات الإسلامي، ومنفردة عنه في بعض الأجزاء، ومن ذلك تفضيل اللون الأبيض عن غيره من الألوان، لأنه يعكس حرارة الشمس من جهة، وجمال بشرة التواتي السمراء من جهة أخرى، ومن حيث الحجم يفضلون الفضفاض الخفيف عن الضيق الثقيل، لأنه يساعد على دخول الهواء وخروجه بسهولة مما يساعد على التخفيف من حرارة الجو، كما يميل أغلب سكان المنطقة إلى اللباس المتواضع القليل التكلفة لأنهم يرون أن قيمة الشخص لا تتمثل في مظهره فقط وإن كان مهما، وإنما تتمثل في نقاء روحه وسريرته.

أما الحلي التقليدي فهي جاءت في أغلبها مشابهة لتلك الموجودة في بلاد المغرب العربي والعالم الإسلامي، وإن كانت تحمل بعض الخصوصية في شكلها، وقيمتها، فارتبطت الأشكال بالمظاهر البيئية لسكان المنطقة، و القيمة بقدره السكان، ولهذا كثر استعمال الفضة والنحاس والحديد في صناعة الحلي مقارنة بالذهب الذي لا نجده إلا عند القليل من الأغنياء ، فإذا تتبعنا تكاليف العرس قديما في المنطقة نجد أن الحلي التي يقدمها العريس للعروس في أغلبها مصنوعة من الفضة، حتى أن عند البعض يفرضونها ويحرمون الذهب، وهذا ليس مخالفة للشرع ، وإنما للترغيب في الزواج، والتقليل من تكاليفه.

الخاتمة

الخاتمة:

وأخيراً نصل في ختام هذه الدراسة التي تضمنت في محتواها التعريف بعادات وتقاليد سكان منطقة توات، والتي جعلناها على شكل أطلس موثقة ببعض الصور التي تجلي الظاهرة بشكل واضح أكثر، ولقد توصلنا في الأخير إلى استخلاص بعض النتائج منها :

— ارتباط عادات وتقاليد دورة الحياة بالمنطقة انطلاقاً من الولادة مروراً بالزواج، وقوفاً عند الوفاة بتعاليم الشريعة الإسلامية، فكثيراً ما كان يتخلى السكان عن بعض العادات التي تخالفها، كما احتوت على بعض الممارسات المستمدة من ثقافات الشعوب التي استقرت في المنطقة، خاصة الأفارقة وما جلبوه معهم من ممارسات تجلت في احتفالاتهم، وأحزانهم.

— احتفل سكان المنطقة بأفراحهم بطريقة بسيطة بعيدة عن التكلف والطقوس الرمزية، ويظهر ذلك في إحياء الأعياد الدينية كعيد الفطر والأضحى، والمناسبات الشعبية كالوعدة (الزيارة) ، والاحتفال ببعض أيام السنة كالفتاح من أكتوبر، والعاشر من محرم، والفتاح من جانفي، فطريقة الاحتفال بهذه الأخيرة جاءت متشابهة مع الطريقة التي يحتفل بها بعض سكان بلاد المغرب العربي.

— انفردت المنطقة بوجبات شعبية كثيرة، عبرت عن الذاكرة الجماعية للسكان ، فكانت لها رمزية تشد الفرد إليها، فمثلاً عند الاحتفال بالأيام الأولى من شهر ربيع الأولى، والتي تصادف ذكرى مولد الرسول (ص) يقدمون وجبة الكسرة عند قراءة المدائح النبوية مثل (البشير ،

والهمزية، والبردة)، ويقدمون عند الاحتفال باليوم العاشر من محرم، وجبة مخصصة للأطفال الذين يطوفون بالبيوت مكونة من حبوب الفول والحمص، والجلبان وغيرها من الباقوليات، تكون مطبوخة (مسلوقة) في الماء مع الملح، وتسمى هذه الأكلة باللهجة المحلية (بريانو).

— يمارس الطفل التواتي عدد من الألعاب الشعبية التي استمدها من بيئته الصحراوية، فجاءت متماشية مع رغباته ومتطلباته، فكانت بمثابة المتنفس الذي يجد فيه المتعة والفرجة، وتنمية مهاراته الحسية والإدراكية، فرغم أن الكثير منها مكرر في مختلف مناطق الوطن العربي — بسبب حرية التراث الشعبي في التنقل والتداول — نجد أن الألعاب في المنطقة لها خصوصية فرضتها البيئة، فمثلا كانت الرمال مسرح أغلب الألعاب الممارسة فوق أرضية صلبة في بعض المجتمعات، وسعف النخيل وأجزائه وسائل أغلب الألعاب لتوفرها، وسهولة الحصول عليها.

— لم تحمل الألعاب الشعبية هدف واحد، وإنما كان لها أهداف كثيرة تتنوع بتنوع الموضوع، فمنها ما هو مخصص للمتعة، وما هو موجه لتنمية الذكاء، ومنها ما يساعد على تقوية الجسد، واكتسابه مهارة ومرونة.

— يضيف سكان المنطقة على احتفالاتهم بعض الفرجة التي تصنعها الفرق الفلكلورية بالمنطقة، فقد كان للأغاني والرقصات الشعبية أثر كبير في زيادة المتعة وجلب عدد كبير من الجماهير، وهذه الرقصات ليست كلها محلية وإنما هي في الغالب من الفنون الدخيلة على المنطقة التي

جلبها معهم النازحون من البلدان الإفريقية المجاورة، ومن ذلك رقصة العبيد.

— اهتمام سكان المنطقة بالتعليم وتحصيله خاصة العلوم الشرعية، وهذا مساهم في ظهور عدد كبير من الزوايا التعليمية، والتي كان لها الفضل الكبير في بعث النهضة الفكرية في المنطقة. والمناهج التي استخدمها المعلمون كانت مستمدة من البيئة الصحراوية التي تفرض قيود على زمن التعلم، ومواده.

— جاءت المناهج التعليمية بالمنطقة شبيهة إلى حد كبير بتلك المتبعة في باقي الدول الإسلامية، والتي وضع ركانزها كبار منظري المناهج في العالم الإسلامي مثل: القاسبي، وابن سينا، والغزالي...، وهذا ما يؤكد سعة اطلاع معلمي المنطقة على تلك المناهج، وهذا لأنها ناتجة عن تجربة وممارسة.

— كما أدعوا في الأخير السلطات المحلية من له صلة واهتمام بالتراث إلى المسارعة إلى إنقاذ تراث المنطقة والتعريف به ليكون هوية محلية تميز شعب المنطقة عن غيره، وبالتالي تكون له هوية ثقافية يفتخر بها وتؤكد جذوره التاريخية. ويكون ذلك عن طريق إقامة العديد من المهرجانات التراثية.

الفهارس

فهرس الأشعار

فهرس الخرائط

فهرس الصور

فهرس الأعلام والأماكن والقبائل

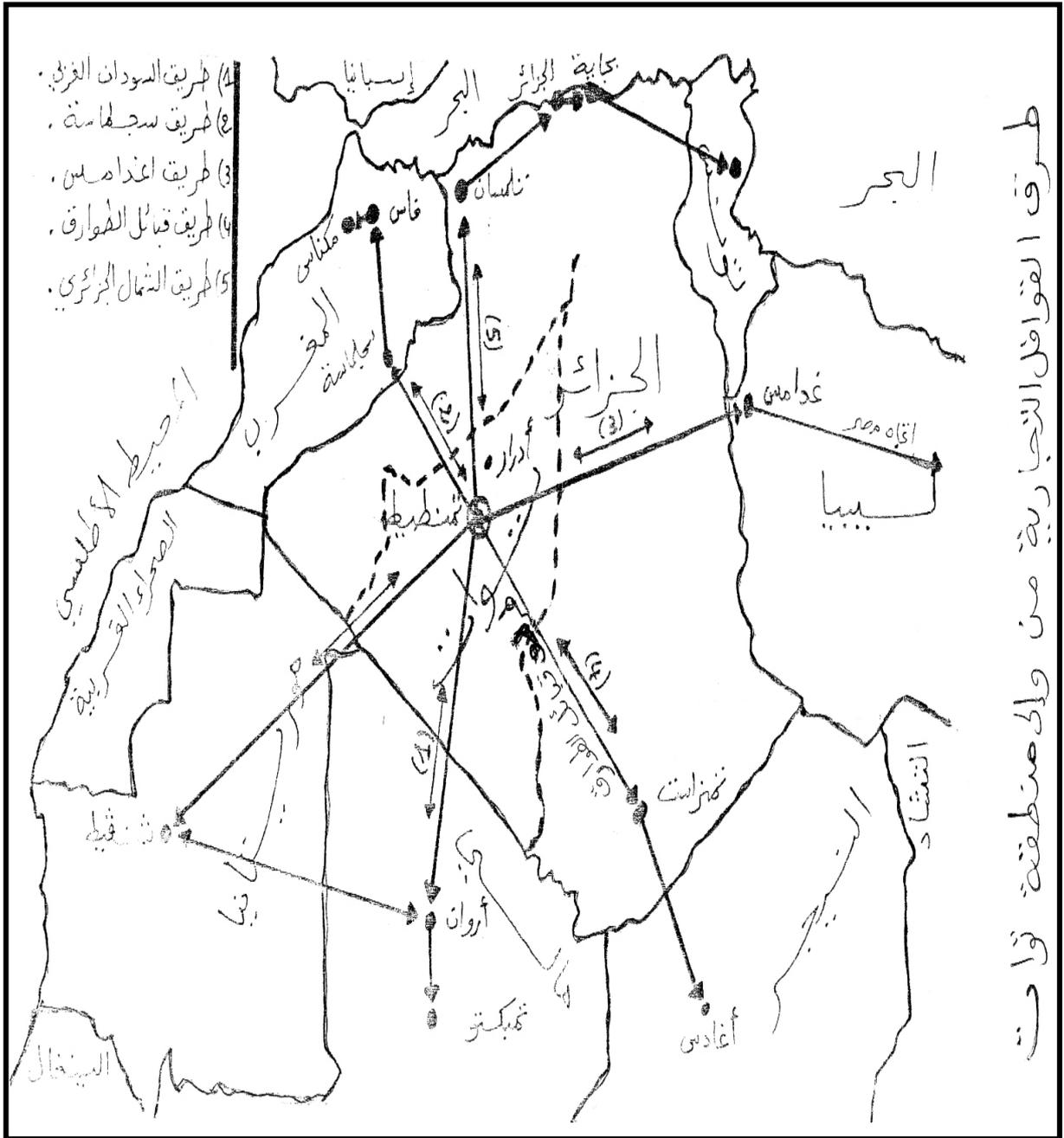
فهرس الأشعار

| الصفحة | البحر | القائل | الشطر الأول من البيت |
|------------------|--------|--------------------------|--|
| <u>حرف الألف</u> | | | |
| 79 | الرجز | محمد عبد الكريم البلبالي | صَلَّى عَلَيْكَ اللهُ يَا زَيْنَ الْمَقَامِ |
| 175 | البسيط | التتلاني أحمد بن يوسف | لَا تُعْجِبُنْكَ دُنْيَا أَنْتَ تَارِكُهَا |
| 180 | الطويل | قدور عباس الرويسي | لَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ الْعُلُومِ فَنَوَّرَ |
| <u>حرف الزاي</u> | | | |
| 304 | البسيط | ابن زيدون | أضحى التتائي بديلا من تدانينا |
| <u>حرف الشين</u> | | | |
| 130 | الكامل | شوقي أحمد | وإذا النساء نشأن في أمية |
| <u>حرف العين</u> | | | |
| 69 | البسيط | الإمام علي كرم الله وجهه | النفس تبكي على الدنيا وقد علمت |
| 171 | الرجز | عبد الواحد بن عاشر | يَقُولُ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ عَاشِرٍ |
| <u>حرف الزاي</u> | | | |
| 87 | البسيط | كعب بن زهير | بَانَتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَبُول |
| 304 | الوافر | ----- ----- | أحب لحبها السودان حتى |

فهرس الخرائط



- أقاليم الولاية الثلاثة بالإضافة إلى منطقتها (تزرولت) التي ضمنت للولاية حديثا



موقع منطقة توات بالنسبة للجزائر، وأهم الخطوط التجارية القديمة بها

فهرس الصور

اللباس التقليدي اللباس التقليدي



نموذج من لباس المرأة التواتية



لباس المرأة التواتية



نعال من الجلد بالمنطقة



لباس الرجل التارقي



لباس العريس بالمنطقة



لباس الرجل التواتي



عروس بالمنطقة في الوسط ترتدي لباسها أثناء الزفاف

الحلي التقليدي بالمنطقة



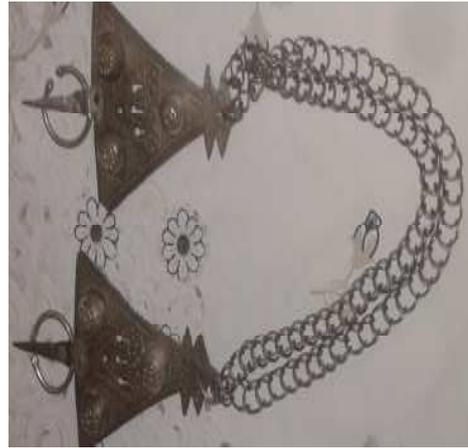
أساور



دبالج



قلادة



نوع آخر من الأساور (لمبالة)



خواتم من الفضة



نماذج من الأساور (لمبالة)



نماذج من الأساور

خواتم من الفضة

أخراس

(لمبالاة)

دبالح (المنفوخ)

الأكل الشعبي



طبق المردو



ن



طريقة طبخ خبز التنور (القلعة) في



طريقة طبخ الكسكس في المنطقة
المنطقة

رقصات الشعبية



رقصة البارود



رجال الإيقاع أثناء رقصة البارود



رقصة الحضرة



بعض الأضرحة بالمنطقة



رقصة الطبل

التعليم الشعبي



احتفال الطلبة بحفظ القرآن الكريم



أطفال الكتاب يحملون الألواح



بعض المخطوطات في المنطقة

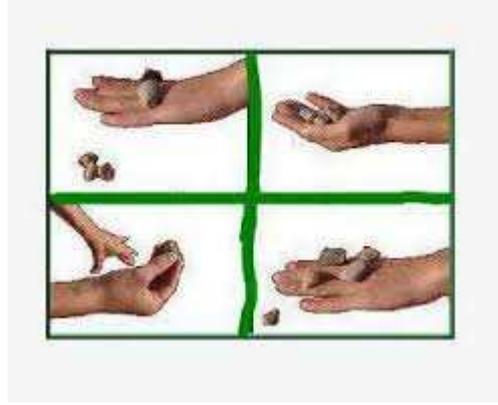


بعض رواد الحركة التعليمية في المنطقة

الألعاب الشعبية



لعبة البي (النبلي)



لعبة الكجة



لعبة المروحية



لعبة العربية



لعبة الجراد والملا



لعبة العجلة

بعض النشاطات الاقتصادية



تعاون بعض النسوة أثناء الحصاد



طريقة توزيع مياه الفقارة بالمنطقة



حرفي في ورشته المخصصة للصناعة



بعض الصناعات الخشبية
الفخارية



بعض الصناعات الجلدية



حرفي في ورشته المخصصة للصناعة الحديدية



بعض الصناعات الجلدية بالمنطقة



حرفي في ورشته المخصصة لصناعة الحلي

فهرس الآيات لقرانية

| الصفحة | رقم الآية | فهرس الآيات القرآنية |
|-------------|-----------|---|
| سورة البقرة | | |
| 44 | 31 | ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ |
| 55 | 231 | ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْتَمِرَ الرِّضْعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا بِصَالَا عَنِ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوهُمَا فَإِنَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ |
| 75 | 167 | ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُلُقَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ |

| | | |
|---------------|-----|--|
| | | لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٧٧﴾ |
| 117 | 226 | ﴿اللَّهُ لَمَّا مَرَّتْ بِإِمْسَاكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنِ﴾ |
| سورة آل عمران | | |
| 66 | 185 | ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْفِيلِمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْبَارِ وَادْخَلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ بَارَزَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴿ربيع﴾﴾ |
| سورة النساء | | |
| 116 | 01 | ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ لِتَفُؤُوا رَبَّكُمْ أَلذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رُؤُوسَهُمْ وَرَجَعَهُمْ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَفِيبًا ﴿١﴾﴾ |
| 116 | 03 | ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾ |
| سورة المائدة | | |
| 227 | 33 | ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ، كَيْفَ يُورِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَيِّلَتْنِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ |
| سورة يوسف | | |
| 193 | 47 | ﴿فَالْتَزَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَاكُلُونَ ﴿٤٧﴾﴾ |
| 239 | 14 | سورة النحل |
| 277 | 80 | ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْجَارِهَا أَتُذَّنَّ |

| | | |
|---------------|-----|--|
| | | ﴿ وَمَتَعْنَا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ |
| سورة الأعراف | | |
| 71 | 142 | ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِهَا عَشْرَ بِرِّمٍ مِيفْتِ رَبِّهِ ۚ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ |
| سورة مريم | | |
| 45 | 07 | ﴿ يَلْزَكَرِيَاءَ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ إِسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٦٠﴾ ﴾ |
| سورة الأنبياء | | |
| 313 | 107 | ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ |
| سورة القصص | | |
| 311 | 77 | ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَيْكَ اللَّهُ الْدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ |
| سورة العنكبوت | | |
| 68 | 57 | ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ |
| سورة الروم | | |
| 116 | 20 | ﴿ وَمِن - آيَاتِهِ ۚ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ |
| 117 | 54 | ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ |
| سورة الأحزاب | | |
| 98 | 21 | ﴿: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ۚ قُلْ لَّا زَوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلْبَابِهِنَّ ﴾ |

| | | |
|--------------|---------|---|
| | | ذَلِكَ أَذُنِي أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤَدِّينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾ |
| 116 | 71 | ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَقْوَى اللَّهِ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٢﴾﴾ |
| 290 | 59 | ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَ أُرِيتُكَ وَيَسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْ مِنْ جَلَابِيبِهِنَ ذَلِكَ أَنِّي أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤَدِّينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ |
| سورة سبأ | | |
| 155 | 38 | ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْبَغْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ بِهِوَ يُخْلِيفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ |
| 221 | 25 | ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أُوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ |
| سورة فاطر | | |
| 167 | 29 | ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْبَغُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ |
| 278 | 33 | ﴿جَنَّتْ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ |
| سورة الحجرات | | |
| 116 | 13 | ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ |
| سورة الواقعة | | |
| 218 | 71 – 70 | ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧٠﴾ ءَأَنْتُمْ ءَأَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧١﴾﴾ |
| سورة الحديد | | |
| 221 – 217 | 24 | ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرَسُولَهُ﴾ |

| | | |
|-------------|-------|---|
| | | بِالْعَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٤﴾ |
| سورة القلم | | |
| 87 | 4 | :﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلْيُ عَالِمٍ ﴿٤﴾﴾ |
| سورة المدثر | | |
| 301 | 02_01 | ﴿يَأْتِيهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿٦﴾ فُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٧﴾﴾ |
| سورة النبأ | | |
| 192 | 07 | ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ |
| سورة الفجر | | |
| 68 | 32 | ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمَلْمِيَّةُ ﴿٢﴾! رُجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٣﴾ فَبَادِخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴿٤﴾﴾ |
| سورة العلق | | |
| 129 | 01 | ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ |

فهرس الأعلام والأماكن

فهرس الأعلام

حرف الألف

- | | |
|----------------------------|------------------------------|
| — المامون:ص95. | — ابن أياس: ص273. |
| — البخاري:ص87. | — أحمد أمين: ص52، 106 ، 292. |
| — البصيري:ص69 . 87 . 118. | — أحمد رشدي صالح: ص72. |
| — التلمساني:ص175. | — أحمد جعفري: ص229. |
| — الجاحظ:ص273. | — احمد لكحل: ص123. |
| — الجرجاني ص12. | — أحمد غنيم النفراوي:ص163. |
| — العربي عبد الرحمن: ص274. | — أحمد المغيلي: ص181. |

- | | |
|--------------------------------|------------------------------------|
| — العياشي: ص 208. | — أحمد بابا التنبكتي: ص 172. |
| — أبو الفرج الأصفهاني: ص 273. | — المختار الكنتي: ص 274. |
| — السيوطي: ص 273. | — أحمد باي بلعالم: ص 35.22، 44. |
| — الشوشاوي: ص 163. | — أحمد ديدي بن محمد العالم: ص 176. |
| — القابسي: ص 136، 139، 157. | — آدم عليه السلام: ص 44. |
| — المقرئزي: ص 273. | — أمبارك بن محمد الميلي: ص 90. |
| — المغراوي: ص 157. | — أمبارك بن مولاي |
| — الونشريسي: ص 36، 31، 50، 53. | المنصور السعدي: ص 156. |
| — 133، 158، 167. | |

حرف الباء

- | | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| — أبي بكر بن العربي: ص 149. | — ابن بطوطة: ص 273 . |
| — أبي بكر الأمهري: ص 171. | — برنار فون بريد نباش: ص 274. |

حرف التاء

- | | |
|-------------------|-------------------------|
| — ابن تومرت ص 24. | — توفيق الصخيري: ص 267. |
|-------------------|-------------------------|

حرف الجيم

— جلال الدين السيوطي:ص95.135 .

— جان بياجي:ص267.

— ابن جبير:ص273.

حرف الحاء

— ابي حنيفة النعمان: ص81.

— حامد الخلفاني:ص196

— ابن حزم:ص303.

— أبا حامد الغزالي:ص131.

— حسان بن ثابت:ص244.

.165 ، 158 ، 148،143،142

— الحسن بن القاسم:ص60

الفتال:ص133.

— حا— ابن خلكان:ص86.

— ابن خلدون: ص 26 ، 168 ، 186.

— خيضاوي محمد:ص99.

.187 ، 197 ، 208 ، 223 ، 284

حرف الخاء

— ذي النون المصري:ص134.

— أبو ذر الغفاري:ص122

حرف الراء

— ابن رشد:ص303

— راد كليف:ص63.

— أبي زيد القيرواني:161.

زرياب:ص303.

— أبو زكريا يحيى بن محمد السراج

ص:155.

— ابن زيدون:ص303

حرف الزاي

| | |
|--------------------------|---|
| — أبي زيد القيرواني:161. | — زرياب:ص303. |
| — ابن زيدون:ص303 | — أبو زكريا يحيى بن محمد السراج :ص155. |

حرف السين

| | |
|-------------------------|--------------------|
| — سالم العصنوني:ص71. | — سحنون:ص14 |
| — سالم بن إبراهيم:ص180. | — سعيد المقرئ:ص172 |

حرف الشين

— شوقي الضيف:ص200.

حرف الطاء

| | |
|------------------------|-------------------|
| — أبو طالب المكي:ص108. | — ابن طفيل: ص303. |
|------------------------|-------------------|

حرف العين

| | |
|---|---|
| — عبد الله بن أبي بكر ال عبد الله بن مسعود: ص71. | — عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي :ص173. |
|---|---|

— أبو عبد الله محمد القصار:ص156.

— عصفوني:ص31.

— عبد القادر الراشدي:ص171.

— عبد القادر الجيلاني:ص90.

— عمر بن الخطاب(ض):ص163.

— ابن عبد ربه:ص303.

— عبد المؤمن بن علي:ص156.

.166

— ابن عربي: ص303

حرف الفاء

— فاخر عبد الواحد:ص64.

— فوزية دياب:ص14، 16، 18.

حرف القاف

قدور عباس الرويسي:ص101.

— قيس مرزوق الورياشي: ص229.

حرف الكاف

— كارل بروكلمان:ص125.

— كعب بن مالك:ص117.

— كعب بن زهير:ص87.

حرف اللام

— لطفي قحة:ص267.

— لسان الدين بن الخطيب

:ص304.

حرف الميم

— محمد بن باب حيدة : ص23، 24.

— محمد بن

- محمد صلى الله عليه وسلم: ص 32، 34،
الكبير: ص 178.
- محمد حوتية: ص 99.
- محمد العنابي: ص 24.
- محمد الطيب بن عبد الرحيم: ص 23 — محمد
بن عبد الكريم المغيلي: ص 23، 24، 25،
30، 31، 32، 172، 26.
- محمد بن قاسم الرصاع: ص 24، 31.
- محمد عبد الكريم بن محمد البلبالي: ص 79.
- محمد بن عودة: ص 92.
- محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق: ص 177.
- مروان عبد الملك بن
حبيب: ص 162.
- محمد مقراني: ص 99.
- محمد مصطفى شلبي: ص 103.
- محمد خراز: ص 103.

حرف النون

- نيكولو عبد القادر: ص 20.

حرف الهاء

- هارون الرشيد: ص 32.

حرف الياء

— يوسف ابن تاشفين:ص24.

— يحي بن صفية:ص92.

— يحي بن عمر:ص308.

حرف الألف

- أدرار: ص 124.
- أسترباليا: ص 38.
- إسبانيا: ص 28، 278.
- اسطنبول: ص 278.
- أشير: ص 27.
- إفريقيا: ص 102، 197، 204.
- البرتغال: ص 28.
- الأزواد: ص 274.
- الأندلس: ص 24، 28، 29، 33.
- البليلة: 48.
- الجزائر ص 10، 20، 31، 44، 45، 47، 48، 50، 64، 66، 75.
- 83، 89، 93، 99، 100، 170، 239، 273.
- الحجاز: ص 27، 29.
- القاهرة: ص 171، 172،
- الكويت: ص 281،
- المغرب: ص 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 30، 31، 35، 36، 50، 53، 79.
- 273، 119، 199، 223، 224، 286،
- السودان الغربي ص 20، 21، 24، 25، 35، 36، 119، 311،
- الشام: ص 163.
- السعودية: ص 280، 285، 312.
- الهند 278.
- المهديّة: ص 27.
- القيروان: ص 27، 172.
- الفاتكان: ص 171.
- العراق: ص 87، 291.
- أم البواقي: ص 296.

حرف الباء

— بودة: ص 20، 21، 26، 179،

— بني عباس: ص 174،

— باريس: ص 171،

— برج باجي المختار: ص 124.

— برلين: ص 171.

حرف التاء

— تونس: ص 171، 24، 22، 244،

273.

— تلمسان: ص 48، 92.

— تماسخت: ص 29.

— تافيلالت: ص 95.

— تيطاف: ص 29.

— تاخيف: ص 29.

— تاسفاوت: ص 29.

— تمنطيط: ص 29، 21، 22، 26،

28، 29، 31، 101.

— توات ص 20، 19، 13، 18، 11، 22.

23، 24، 28، 30، 31، 34... في

أغلب الصفحات.

— تيمياوين: ص 125، 124.

حرف الجيم

— جبل نفوسة: ص 54.

حرف الحاء

— حمص: ص 278.

— حلب: ص 278.

حرف الحاء

— خبير:ص55.

حرف الراء

— روما:ص173.

حرف الزاي

— زاقلو:ص101، 124،

— زاوية الشيخ:ص24.

— زاوية كنتة87. 100، 101، 124.

— زاوية الشيخ بن عبد الكريم

المغيلي:ص87.

حرف السين

— سبدو:ص92.

— سوريا: ص278، 290، 299.

— سجماتاسة: ص 27.

حرف الشين

— شبه الجزيرة العربية:ص 283.

— شرشال:ص48.

حرف الطاء

— طرابلس:ص43.

حرف العين

— عزي:ص26.

— عين ماضي:ص153،

— عين تموشنت:ص92.

— عنابة:ص290.

— عين الصفرا:ص44.

حرف الغين

— غليزان:ص92.

— غرميانو :ص25.

حرف الفاء

— فرنسا:ص100.

— فاس:ص 27، 175، 284.

— فلسطين:ص 281 .290.

— فارس 278.

حرف القاف

— بوفارس:ص26.

— قصبة أولاد مولاي لحسن:ص26.

— قصر العرب الكبير:ص43.

— قصبة الأحرار:ص26.

— قسنطينة:ص296،299.

— قصبة أولاد مولاي

— قونيا:ص186.

حرف الكاف

— كوسام:ص25 .176.

حرف الميم

— مراکش:ص175.

— مصر : ص 54، 65، 67، 72 .278.

حرف النون

— نومناس:ص26.

حرف الهاء

— الهند:17-18-25-26-77-78-

292-295-567

فهرس القبائل و الطوائف:

| | |
|--------------------------------|----------------------------------|
| — الفراعنة: ص52،64. | — إخوان الصفا: ص145. |
| — الأندلسيين:ص302. | — الأقباط: ص292. |
| — المعقل:ص25، 26. | — الصوفية:292. |
| — البرامكة:ص32. | — الطوارق:ص 292،312. |
| — العلويين: ص33. | — اليهود: ص24،23، 27، 29،28، 30، |
| — البربر: ص23، 24، 25، 26، 27، | 44، 48، 51، 54، 60. |
| 28، 33. | — المقابل: ص26. |
| — زناتة ص23، 36، 37. | — العرب:ص 25،23، 26، 27، 28، |
| | 33. |

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

— القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المخطوطات

01— الكنتي المختار بن أحمد ، رسالة في زينة النساء، مكتبة محمد أسكر، الخوارة موريتانيا.

02— باي احمد ، محاضرة تتناول التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائرية وحضارتها بمناسبة مرور 486 سنة على وفاة الشيخ المغيلي، مخطوط خزانة كوسام ، أدرار.

03— ابن عبد الرحيم محمد الطيب ، القول البسيط في أخبار تمنطيط. تحقيق فرج محمود فرج، الجزائر، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1977م.

04— مؤلف مجهول، مخطوط أحداث منطقة توات خلال خمسين سنة قبل الميلاد، خزانة وسام، ولاية أدرار.

المطبوعة:

05 — بن الخطيب لسان الدين ، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح محمد بن عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984م، ج2.

06— المقري ، نفح الطيب، دار الكتاب العربي، بيروت، دت، ج1.

07— ابن خلدون عبد الرحمن: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأعظم، تح سهيل زكار و خليل شحاذة ، دار الفكر، بيروت، 2000م.

08— الزبيدي، مختصر صحيح البخري، دار الإمام مالك، الجزائر، ط2، 2013،

- 09- العياشي أبو سالم: الرحلة العياشية ج 2 ، ط1،تح سعيد الفاضلي وسليمان القرشي،دار السويدي، أبو ظبي، 2006م.
- 10- الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية،تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981م.
- 11- الغزالي، إحياء علوم الدين، تح زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم، دار القلم، بيروت،1989م ، ج 3 .
- 12- بن العربي أبو بكر ، أحكام القرآن، مطبعة السعادة، القاهرة،د.ت، ج2.
- 13- الأصبحي مالك بن أنس ، الموطأ، رواية محمد بن الحسن الشيباني، تح عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت، دار القلم، د.ت.
- 14- الناصري احمد أبو العباس ،الاستقصاء لدول المغرب الأقصى ،تح جعفر الناصري الناصري ،دار الكتاب الدار البيضاء،1954م.
- 15- أمين محمد ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية،، هنداوي، مصر،2013م.
- 16 - الفشتالي عبد العزيز ، مناهل الصفا في مأثر موالينا الشرفا ،تح كريك عبد الكريم ، الرباط 1972م.
- 17- المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح محمد السعيد العريان القاهرة، 1963.
- 18- ابن صاحب الصلاة، المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة، وجعلهم الوارثين، تح عبد الهادي التازي، دار الأندلس، بيروت، 1964م.
- 19 - ابن خلدون، المقدمة،تح علي عبد الواحد الوافي، ط1، مطبعة لجنة المغرب العربي،1962م،ج4.

- 20- ابن خلكان أحمد ، وفيات الأعيان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان،تح إحصان عباس، دار الطباعة المصرية،مصر،1972م.
- 21- ابن أبي دينار، المؤنس في ذكر أخبار إفريقيا وتونس،د مكان طبع، 1967م.
- 22- ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972.
- 23 - ابن سحنون، محمود بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، تح: محمد عبد المولى، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر 1981 أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين،كرياط فوترا، القاهرة، ج.3
- 24- مؤلف مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية،تح سهيل زكار و عبد القادر زمانة، الدار البيضاء،1979م.
- 25- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، وماينبغي في روايته وحمله، تق عبد القادر أحمد، بيروت، 1995م.

ثانيا : المراجع

- 26 - إبراهيم كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي - من خلال نوازل الونشريسي ، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1997م.
- 27- أدونيس علي أحمد سعيد، الثابت والمتحول - بحث في الإتياع والابتداع عند العرب، الأصول،ط4، دار العودة ، بيروت، 1983م،ج.1.
- 28- الإدريسي عبد الله حمادي ، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي وتصديه للخطر اليهودي بصحراء توات والصقع السوداني،ط1،ابتكار لنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
- 29- البياوي نورالدين ، الألعاب الشعبية التقليدية بالريف، تقديم، بوبكر خلوج، دار سحر للنشر، تونس 2008م.

- 30- التيجاني عبد الرحمن ،الكتاتيب القرآنية لندرومة، 1900م إلى 1977م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999م.
- 31- الحيدري إبراهيم، إنثولوجية الفنون التقليدية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، اللاذقية،1984م.
- 32- الخشاب مصطفى ، دراسات في الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1985 .
- 33- الزين سميح عاطف ، خاتم النبيين محمد-ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1986م.
- 34 - الشماس عيسى ، مدخل إلى علم الإنسان (الأنثربولوجيا)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004م.
- 35- أحمد الشرياصي،يسألونك في الدين والحياة، دار الجبل ، بيروت، ج3.
- 36- الفأر علي محمود إسلام ، الأنثربولوجية الاجتماعية، الدراسات الحقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية،1976م.
- 37- نصر الثريا، تاريخ أزياء الشعوب، القاهرة، 1998.
- 38- عبد الدائم عبد الله ، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن 20م،ط4، دار العلم للملايين، بيروت،1981م.
- 39- النبهاني يوسف بن إسماعيل ، وسائل الوصول إلى شمائل الرسول، دار المنهاج، لبنان، 2004م.
- 40- المعتصم محمد ، شخصيات تربوية، مطبعة التمدن، الخرطوم، 1963م.
- 41- المنوني محمد ، حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب،1989م.

- 42- الميلّي مبارك بن محمد ، رسالة الشرك ومظاهره، ط3، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1982.
- 43- الدغلي محمد سعد ، الحياة الاجتماعية في الأندلس، دار أسامة، 1984م.
- 44- الفقي عصام الدين عبد الرؤوف ، معالم التاريخ الإسلامي، دار الفكر، القاهرة، د.ت.
- 45- الأهواني، التربية في الإسلام، أو التعليم في رأي القابسي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1955م.
- 46- البصري، البردة، تق التيجاني المحمدي، مكتبة المنار، تونس، د.ت.
- 47- أحمد تيمور باشا ، لعب العرب، هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة 2014م.
- 48- بانبيله حسين عبد الله ، ابن خلدون وتراثه التربوي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1984م.
- 49- بشير عبد الرحمن ، اليهود في المغرب العربي 642-1071م، ط1، عين لدراسات والبحوث الإسلامية، مصر، 2001م.
- 50- بوعزيز يحي ، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية -16-20م ،دار هومة، الجزائر، د.ت.
- 51- بوتشيش القادري ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2000م.
- 52- بكري عبد الحميد ، النبذة في تاريخ توات وأعلامها الطباعة العصرية، الجزائر، 2010م.
- 53- بينول ، اللباس والزينة في العالم العربي، تر. نبيل سليمان، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت لبنان، 1997م.

- 54- بناني عبد الكريم ، محطات مهمة من تاريخ الوقف بالمغرب، مجلة الفقه والقانون، د، عدد، 12 أكتوبر 2010م.
- 55- جابر الجزائري أبو بكر ، عقيدة المؤمن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2004م.
- 56- جمال الدين عبد الله محمد ، الدولة الفاطمية، كلية دار العلوم، القاهرة، 1991م.
- 57 - جعفري أحمد أبا الصافي ، اللهجة التواتية الجزائرية، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2013م ج.1
- 58- جمال الدين عبد الله محمد ، الدولة الفاطمية، كلية دار العلوم، القاهرة، 1991م.
- 59- جودي محمد حسين، تاريخ الأزياء الحديث، (د.ن) 1977، ج.2.
- 60- حوتية محمد الصالح ، توات والأزواد، دار الكتاب العربي، الجزائر ، 2007م.
- 61- حركات إبراهيم: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9-15م ؛ دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 2000 ؛ ج.1.
- 62- حوى سعيد ، تربيتنا الروحية، دار عمار، بيروت، 1989م.
- 63 - خراز عبد الحميد ، فلسفة الزواج وبناء الأسرة في الإسلام، شركة الشهاب، الجزائر، (د،ت).
- 64 - رشدي صالح ، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د،ت).
- 65- سرقة عاشور ، الرقصات والأغاني الشعبية بمنطقة توات ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،وهران ،2004م .
- 66- أبو ريبة عطاء ، اليهود في ليبيا وتونس والجزائر ، ط1 ، أتراك لنشر والتوزيع ،القاهرة ، 2005م.

- 67- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م، ج 2.
- 68- شلبي مصطفى محمد ، أحكام الأسرة في الإسلام مقارنة بين فقه مذاهب السنة والمذهب الجعفري والقانون، ط4، دار الجامعة للطباعة والنشر بيروت، 1983م.
- 69- شلبي أحمد ، تاريخ التربية الإسلامية، ط3، دار الإتحاد العربي، (د.ت).
- 70- شنوف عيسى ، يهود الجزائر، 2000 سنة من الوجود، دار المعرفة، الجزائر، 2000م.
- 71- شلبي أحمد ، التربية والتعليم عند المسلمين ، القاهرة ، 1980، ج1.
- 72- طوالي نور الدين ، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيه البعيني ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م.
- 37- عصمت عبد اللطيف ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار الغرب الإسلامي، المغرب، 1988م.
- 74 - قري غنية ، آثار العلم في حياة المرأة، رسالة المسجد، العدد الثالث، ربيع الأول 1430هـ - مارس 2009م.
- 75- محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم ، القاهرة، 1965م.
- 76- أبو ضيف مصطفى، أثر القبائل العربية في الحياة الغربية خلال عصري الموحدين وبنو مرين، ط1، مطبعة دار النشر المغربي، المغرب، 1982م.
- 77- فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1 1977م.
- 78- فرشوخ محمد أمين ، موسوعة عباقرة الإسلام في العلم والفكر والأدب والقيادة، دار الفكر العربي بيروت، 1996م.

79- مرحبا محمد عبد الرحمن ، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، منشورات عويدات، بيروت، 1983م.

80- منصور محمد ، الشرق الأوسط في موكب الحضارة، دار التأليف، (د.ت) ، ج3.

81 - محمود حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، القاهرة، 1958م.

– المراجع المترجمة

82- حماد الله ولد السالم، المجتمع الأهلي الموريتاني، مدن القوافل ما بين 1591-1898م، دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008.

83- يارو سلاف تشرني، الديانة المصرية القديمة، تر أحمد قدرى، دار الشروق، القاهرة، 1996م.

84- آدم تميز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة الإسلامية، تر محمد عبد الهادي ، أبو ريذة، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986.

ثالثا: القواميس:

85- الأرنأوطي شفيق ، قاموس الأسماء العربية، دراسة شاملة للأسماء العربية ومعانيها ودليل الأبوين في تسمية الأبناء، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1994.

86 - الجاحظ، المعجم الوسيط، المؤسسة الثقافية للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، استانبول تركيا، 1989م.

87- أمين أحمد ، قاموس العادات والتقاليد والتعبير المصرية، مؤسسة هنداوي، مصر، 2013م.

88- الفيروز آبادي محي الدين محمد بن يعقوب ، قاموس المحيط، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ج1.

89— مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة.

رابعاً: الدوريات

90 — الحسنی محمد الهادي ، محند ، الشروق اليومي، إخبارية وطنية، العدد 320، الأربعاء 2001م.

91— الطالبی محمد ، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، مجلة

الأصالة العدد 26، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،

الجزائر، 1975 م.

92 — العربي عبد الرحمن ، رسالة في زينة النساء للمختار الكنتي(ت

1226هـ) ، مجلة رفوف،العدد 3،أدرار الجزائر،ديسمبر .2013

93— المطور عزام أبو الحمام ، الفلكلور (التراث الشعبي)،دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن،2007م.

94— بناني عبد الكريم ، محطات مهمة من تاريخ الوقف بالمغرب، مجلة الفقه والقانون، د،عدد، 12 أكتوبر 2010م.

95— بوركة سعيد ، دعوة الحق، العدد 300، أكتوبر 1993م.

96— قرقوتي حنان ، من تاريخ الحلي في الإسلام، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين،العدد33، السنة التاسعة، ربيع 2016م.

97— مؤنس حسين ، غرناطة تحفة من تحف الفن وعجيبه من عجائب التاريخ، مجلة العربي، العدد 89،الكويت.

98— قرى غنية ، آثار العلم في حياة المرأة، رسالة المسجد، العدد الثالث، ربيع الأول 1430هـ — مارس 2009م.

99- عن حياة الشيخ سيدي أحمد نبيدي (ت1370هـ)، مجلة التراث، عدد1، تمنطيط
ادرار، ماي 2013م.

خامسا: المذكرات الجامعية:

100- بن أحمد أحمد ، ظاهرة الوعدة - وعدة سيدي يحي بصبرة - مذكرة ماجستير،
قسم الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان، 1996م/1997م.

101- الحمدي أحمد ، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره
وآثاره 870 - 909هـ/1465 - 1503م. رسالة ماجستير مخطوطة بقسم الحضارة
الإسلامية، 1999 - 2000م.

102- بن العمودي جليلة ، استراتيجية تنمية قطاع الصناعة التقليدية والحرف بالجزائر
في الفترة 2003 - 2010م، مذكرة ماجستير ، جامعة ورقلة.

103- بابا عبد الله ، الزاوية البكرية ودورها الثقافي والاجتماعي بإقليم توات (1112-
1421هـ/1700-2000م، مخطوط رسالة ماجستير قسم التاريخ ، جامعة أدرار،
2011-2012م.

104- بوسليم صالح ، الصناعة التقليدية بمنطقة تيديكلت - صناعة الفخار والجلود
أنموذجا، رسالة ماجستير ، جامعة تلمسان، 2002-2003.

105- بوشامة عاشور ، علاقات الادولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، ماجستير
، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة، 1991م.

106- بو شقيف عائشة ، الدور الفكري لمحمد بن عبد الكريم المغيلي بإقليم توات
والسودان الغربي ق 15م/9هجري، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ تلمسان
، 2010/2011م.

107— بوعامر مريم ، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأدنى ودورها في الازدهار الحضاري (ق 07هـ / 09هـ)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ ، جامعة تلمسان، 2010/2009م.

108— بومدين علي ، الفنون والعادات التقليدية وأهميتها في التنمية البشرية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2009—2010.

109— حاج أحمد نورالدين ، المنهج الدعوي للإمام المغيلي، مخطوط رسالة ماجستير، قسم أصول الدين ،جامعة باثنة، 2010، 2009.

110— جلييلة بن العمودي، استراتيجيات تنمية قطاع الصناعة التقليدية والحرف بالجزائر في الفترة 2003 — 2010م، مذكرة ماجستير ، جامعة ورقلة.

111— زازوي موفق، الطقوس الجنائزية في منطقة تلمسان، مخطوط رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان ، 2001—2002.

112— صوفي فاطمة الزهراء، اللباس التقليدي للعروس في الجزائر — من خلال بعض النماذج، مذكرة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان ، 2002—2003م.

113— ماجد كريمي ، العلاقة بين المغرب والسودان في العصر المريني ، رسالة لنيل الدبلوم العالي في التاريخ ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1987—1988م.

114— مزيان عبد الله ، الأبعاد التربوية في عادات وتقاليد أهالي مغنية ونواحيها، مخطوط رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2003—2004م.

سادسا: المراجع باللغة الفرنسية:

115—Bouzar Wadi. La mou vance et la pause : regards sur la societe algérienne(essai). T.2.ALGER :SNED ;1983 ;P131

116—ben cheneb Mouhamed, lattare sur l education des enfants par abou hamed el razzely. In revue africaine tome45 ;1901

117—Frantz Fanon. Sociologie d'une révolution: l'an v de la révolution algérienne . Paris: Maspero.1966.p40

118—Chelhad (Joseph). Le sacrifice chez les Arabes : recherches sur l'évolution des rites de sacrifice en Arabie occidentale. Paris : PUF ; 1955 P100 .

فهرس الموضوعات

فهرس المحتويات

الإهداء

الشكر

1 (مقدمة 1

2 (مدخل تمهيدى: التعريف بالعبادات والتقاليد ومنطقة توات 10

3 (- الفصل الأول العادات المرتبطة بدورة الحياة، والاحتفالات.

أ) - المبحث الأول العادات المرتبطة بدورة الحياة والأكل الشعبى.

38 - العادات المرتبطة بدورة الحياة..... 38

38 - الميلاد..... 38

44 - التسمية..... 44

49 - العقيقة..... 49

51 - الختان..... 51

55 - تربية الطفل..... 55

59 - الوفاة..... 59

70 - عادات وطقوس ما بعد الموت..... 70

71 - رمزية اليوم الأربعين..... 71

73 - عادات الحداد والعدة..... 73

73 - العادات المرتبطة بالأكل..... 73

ب)المبحث الثانى: العادات المرتبطة بالاحتفالات.

- 82.....الاحتفالات الدينية..... —
- 82.....إحياء مناسبة العيدين..... —
- 86.....الاحتفال بالمولد النبوي الشريف..... —
- 89.....الاحتفالات الشعبية..... —
- 89.....الزيارات (الوعدة)..... —
- 99.....الاحتفالات الموسمية..... —
- 101.....الزواج..... —
- 102.....الخطبة..... —
- 105.....العرس..... —
- 119.....الأغاني والإيقاعات الشعبية..... —
- 119.....رقصة الحضرة..... —
- 120.....رقصة البارود..... —
- 121.....رقصة العبيد (قرقابو)..... —
- 122.....الطبل..... —
- 123.....رقصة الركبية..... —
- 124.....رقصة بابا عاشور..... —
- 124.....رقصة صار..... —
- 125.....رقصة الحسانية..... —

- 125.....رقصة التوزيع.
- 126.....رقصة برزانة.
- 4) – الفصل الثاني: العادات المرتبطة بالتعليم والنشاطات الاقتصادية
- ا) – المبحث الأول: العادات المرتبطة بالتعليم.
- 129.....تمهيد.
- 133.....المراحل التعليمية.
- 136.....مناهج التعليم.
- 136.....مناهج التعليم عند المسلمين.
- 147.....منهج التعليم بمنطقة توات.
- 148.....سن التعليم.
- 150.....التلقين.
- 151.....الكتابة.
- 153.....الثواب والعقاب.
- 160.....أوقات التدريس.
- 162.....الراحة والعطل.
- 166.....المواد التعليمية.
- 173.....بعض رواد المعلمين بالمنطقة.

ب) – المبحث الثاني: العادات المرتبطة بالنشاطات الاقتصادية

| | | |
|----------|---|---|
| 184..... | تمهيد | — |
| 185..... | العادات المرتبطة بالنشاط الفلاحي: | |
| 188..... | الوسائل المستعملة | — |
| 193..... | وسائل التسميد | — |
| 194..... | الحيوانات المستعملة | — |
| 196..... | المحاصيل الزراعية | — |
| 197..... | طريقة الري (الفقارة) | — |
| 200..... | بعض العادات العامة المرتبطة بالفلاحة | — |
| 203..... | العادات المرتبطة بالنشاط الصناعي | — |
| 204..... | الصناعة الطينية | — |
| 211..... | الصناعة الجلدية | — |
| 213..... | الصناعة الخشبية | — |
| 216..... | الصناعة الحديدية | — |
| | (5) - الفصل الثالث: العادات المرتبطة باللعب واللباس وأدوات الزينة. | |
| | (ا) - المبحث الأول: العادات المرتبطة باللعب والمرح. | |
| 227..... | تمهيد | — |
| 230..... | الألعاب الشعبية بالمنطقة | — |
| 266..... | أهمية الألعاب الشعبية على الطفل | — |

ب)المبحث الثاني: العادات المرتبطة بأدوات الزينة واللباس

- تمهيد.....272
- 272.....المراجع العربية التي اهتمت باللباس
- 277.....المواد المستعملة
- 281تقنيات الصناعة
- 287.....تركيبية اللباس بمنطقة توات
- 288.....ملابس الهيئة الخارجية
- 297.....ملابس الهيئة الخارجي المفصلة المخاطة
- 310.....الحلي التقليدي
- 311.....المواد الأولية
- 315.....بعض الحلي التقليدي بالمنطقة
- 319.....المساحيق ومواد التجميل
- 327.....الخاتمة
- 328.....الملاحق
- 330.....الأشعار
- 231.....الخرائط
- 333.....الصور
- 342.....فهرس الأعلام
- 352.....المصادر والمراجع
- 368.....الفهرس العام

ملخص:

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى التعريف بالعبادات والتقاليد بمنطقة توات، وذلك من خلال الحديث عن العادات المرتبطة بدورة الحياة ، والاحتفالات، والأكل والشرب، واللباس، والحلي، وأدوات الزينة، واللعب والمرح، والتعليم، لأن هذه التقاليد تعكس ثقافة المجتمع وروحه ومعتقداته ، ومستواه الحضاري، وبذلك هي خاصية تميزه عن غيره من المجتمعات. وتضع له زاوية ينظر إليه من خلالها. فلا يمكن تجاهلها ونسيانها فهي بالنسبة لثقافة المجتمع أساسية، كما هو حال الطعام والشراب للجسم.

الكلمات المفتاحية : العادات والتقاليد، المولد، الاحتفالات، أدوات الزينة، التعليم، الأكل الشعبي.

Résumé :

Grâce à cette étude, nous visons à introduire les coutumes et les traditions de la région de Toat, nous parlerons des coutumes liées au cycle de vie, fêtes, manger, boire, habiller, ornements, jouets, éducation ludique, parce que ces traditions reflètent la culture, l'esprit et les croyances de la société. Ainsi, les choses qui la distinguent des autres sociétés, nous devons la mettre dans un grand endroit pour être vu à travers elle. Nous ne pouvons pas être ignorés ou oubliés. Ce sont des choses essentielles pour la culture de la société, comme c'est le cas de la nourriture et des boissons pour le corps.

Mots clés: Coutumes, traditions, anniversaires, fêtes, articles de toilette, éducation et alimentation populaire

Abstract

Through this study we aim to introduce the customs and traditions of Toat region, we will be talking about customs related to life cycle, celebrations, eating, drinking, dress, ornaments, toys, fun and education, because these traditions reflect the culture, the spirit and the beliefs of the society. Thus things distinguishing it from other societies, we must be put it in a great place to be seen through it. We cannot be ignored or forgotten. It is essential things for the culture of society, as it is the case of food and drink for the body.

key words : Customs, traditions, birthdays, celebrations, toiletries, education and popular eating.